مِنْهَاجُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَة
في العقيدةِ والعمل
وَمَوْقِفُهُمْ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِه

للشيخ العلاَّمة

محمد بن صالح العثيمين

مَعَ مَسَائلَ وَأَجْوِبَتِها في الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

للشيخ العلاَّمة

محمد ناصر الدين الألباني

اعتنى بها

أَبُو عَبْدِالله النُّعْمَانيّ الأَثَرِيّ

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

مكتبة الصحابة

الإمارات – الشارقة .
ت: ٥٥١٥٥٧٥ – فاكس: ٥٣٧٤٥٤٤

مكتبة التابعين

القاهرة – عين شمس .
ت: ٤٩٣٨١٤٤ – فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥

منهاج أهل السنة والجماعة
وسؤال وجوب في الأسماء والصفات

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرور أنفُسِنَا وسيئات أعمالِنَا، مَنْ يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَه، ومَنْ يُضْلِلْ فلاهاديَ لَه، وأشهدُ أن لاَّ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

أَمَّا بَعْدُ. . . . فإنَّ أَصْدَقَ الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهَدْيِ هدْيُ محمدٍ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُهَا، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

وبعد، فإن الله تعالى قد أَنْعَمَ على أمةِ الإسلام نعماً كثيرةً لا تُحْصَى، وأَسْبَغَها عليها ظاهرةً وباطنةً، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فجعلها سُبحانه وتعالى خَيْرَ الأُمَم وأفضلها، كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وخَصَّها بأكمل الشَّرائع وأقوم المناهج وأَوْضح المذاهب، واصْطَفَاهَا على غيرها مِنَ الأُمَم؛ قال سبحانه عن نفسه مخاطبَهم: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والْوَسَطُ هنا هم العُدُول الأَخْيَار.

وكذلك اختصها سبحانه بأن عَصَمَهَا من الاجتماعِ على ضلالةٍ أبداً؛ تشريفاً لها، وتعظيماً لنَبِيِّهَا، فقد كان من الجائز في الأُممِ السابقةِ الاجتماعُ على ضلالة، بما في ذلك عُلماؤهم من الأحْبَارِ والرُّهْبَانِ، فلم يكنْ لاجتماعهم عِصْمةٌ أبداً، أمَّا أمتُنَا فقد امْتَنَّ الله عليها فَعَصَمَهَا من ذلك، فجعلَ فيها طائفةً منصورةً، ظاهرةً على الحق معصومةً، فهي على الحق دائمة دائبة، وعن الضلال نائية ناجية، على مَرِّ العصور وكرِّ الدهور، لا يَضُرها مخالفٌ أو مُعَاند، ولا يخذلُها خاذِلٌ أو مجادل، وفيها وردتْ أحاديث صحيحة، منها:

قوله ﷺ: «**لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتي أُمَّةٌ قائمةٌ بأمرِ الله، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهم ولا مَنْ خَالَفَهُم حتى يأتيَ أَمْرُ الله وهم على ذلك**»(١).

وقوله: «**لاَ يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتي ظاهرينَ على الحقِّ حتى يأتيَ أَمْرُ الله وهم ظاهِرون**»(٢)

وقوله: «**لا تزالُ طائفةٌ مِنْ أُمتي منصورينَ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهم حتى تقومَ السَّاعةُ**»(٣).

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم: ٣٦٤١)، ومسلم في «صحيحه» (رقم: ١٠٣٧) من حديث معاوية ـ رضي الله تعالى عنه ـ.

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم: ٣٦٤٠)، ومسلم في «الصحيح» (رقم: ١٩٢١) من حديث المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

أخرجه الترمذي في «الجامع» (رقم: ٢١٩٢)، وابن ماجة في «المقدمة» (رقم: ٦)، وأحمد في «المسند» (٣/٤٣٦و٥/ ٣٤، ٣٥)، وعلى بن الجعد في «مسنده» (رقم: ١١١١)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (رقم: ١٧٢)، والداني في «الفتن» (ص: ١٧١، ١٧٢)، وابن حبان في «صحيحه» (رقم: ٦١)، والحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص: ٢)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (رقم: ١١، ٤٤، ٤٥)، وغيرهم من طريق شعبة: ثنا معاوية بن قرة =

فإذا أجمعت الأمةُ على أمر من الأمور، في عصر من العصور؛ كان إجماعُهَا من الضلال معصوماً، ورأيُهَا من الخطأ محفوظاً؛ وفي ذلك يقول ربُّنا جل وعلا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، ويقول النبي ﷺ: «**لاَ يَجْمَعُ الله أُمتي على ضَلاَلَةٍ أَبَدَاً**»(١)، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

= عن أبيه مرفوعاً: «**إذا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلاَ خَيْرَ فيكُم، لا تزال طائفة....**» الحديث.

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

قلت: وإسناده صحيح على شرط الشيخين، خلا قرة -رضي الله عنه-؛ فإنه من رجال السنن الأربعة.

وفي الباب عن عمران بن حصين، وجابر بن عبدالله، وجابر بن سمرة، وعمر بن الخطاب، وأبي هريرة، ومعاذ بن جبل، وأبي أمامة، وعبد الله بن عمرو، وغيرهم.

وهو حديث متواتر؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاقتضاء» (ص: ٦)، والسيوطي في «قطف الأزهار المتناثرة» (ص: ٢١٦)، والكتاني في «نظم المتناثر» (ص: ٩٣)، وشيخنا الألباني - حفظه الله - في «صلاة العيدين» (ص٣٩-٤٠)، وغيرهم.

(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ.**

أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١١٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم: ٧٠٢) من طرق عن عبد الرزاق: أنا إبراهيم بن ميمون العدني: أخبرني عبدالله بن طاوس أنه سمع أباه يحدِّث أنه سمع ابن عباس - رضي الله عنهما - يحدِّث أن النبي ﷺ قال: ... (فذكره)، وفي آخره: «**ويَدُ اللهِ على الجماعة**».

وأخرج آخِرَهُ من نفس الطريق: الترمذيُّ في «الجامع» (رقم: ٢١٦٦)، وقال: «**حسنٌ غريبٌ**».

قلت: وإسناده صحيح، خلافاً لمن مَرَّ عليه مرور الكرام مضعِّفاً إيَّاه؛ قال الحاكم: «فإبراهيم بن ميمون قد عدَّله عبد الرزاق، وأثنى عليه، وعبد الرزاق إمام أهل اليمن، فتعديله حجة».

أقول: ووثقه ابن معين أيضا؛ كما في: «تلخيص المستدرك» للذهبي، و«التهذيب» لابن حجر.

وللحديث شواهد كثيرةٌ جداً، يتقوَّى بها؛ منها:

☆ حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعاً.

أخرجه الترمذي في «الجامع» (رقم: ٢١٦٧)، و«العلل الكبير» (ص: ٨١٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (رقم: ٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١١٥-١١٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٧)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (رقم: ١٥٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» =

كما امْتَنَّ عليها سُبحانهُ وتعالى وخَصَّهَا بأنْ يَبْعَثَ لها كُلَّ مِئَةِ عَامٍ مَنْ يُجَدد لها دينَها، فَيُحْيي ما انْدَرَسَ مِنَ الدِّينِ، ويَرُدَّ تأويلَ الجاهلينَ، وانتحالَ المبطلين، وتحريفَ المُحَرِّفين، ويُبَيِّن السُّنَّةَ من البدعةِ، فَيَنْصُر أهلَ السُّنَّةِ، ويكْسِر أهلَ البدعة، فهم المتمسكون بسنة النبي ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، في الاعتقاد والقول والعمل، فهم أعلامُ الهدى، ومصابيحُ الدُّجَى، وهم الذين استقاموا على الاتباع، وجانبوا الابتداع، فأنعمْ بهمْ من أَئمةٍ مجددينَ وعلماءَ مصلحينَ، ففيهم ورد قوله ﷺ:

= (رقم: ١٣٦٢٣)، والدولابي في «الكني» (٢/ ٥٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص: ٤٠٧، ٣٢٢)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٦٠-١٦١)، وابن حزم في «الإحكام» (٤/ ١٩٢)، وابن حجر في «موافقة الخُبْرِ الخَبَرَ» (١/ ١٠٩) بسند ضَعَّفَهُ الإمامُ الترمذيُّ وغيره.

☆ حديث أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «**إنَّ اللهَ أَجَارَكُمْ مِنْ ثَلاثٍ... وأنْ لا تجتمعوا على ضلالةٍ**».

أخرجه أبو داود في «السنن» (رقم: ٤٢٣٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (رقم: ٩٢)، والداني في «الفتن» (رقم: ٣٦٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم: ٣٤٤٠)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٦٠)، وابن حجر في «موافقه الخبر الخبر» (١/ ١٠٦) عنه بسند ضعفه الزركشي في «المعتبر» (ص: ٥٨) وابن حجر في «التلخيص» (٣/ ١٤١).

☆ حديث سمرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً.

أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٠٨) بسند ضعيف.

☆ حديث أبي بصرة الغفاري ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «**سألتُ ربي عز وجل أربعاً، فأعطاني ثلاثاً ومَنَعَني واحدةً، سألتُ اللهَ أن لا يَجْمع أُمتي على ضلالةٍ؛ فأَعْطَانِيها....**».

أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٩٦)، وابن مردويه ـ كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٤٢) ـ، وابن أبي خيثمة ـ كما في «المقاصد الحسنة» (رقم: ١٢٨٨) ـ، والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم: ٢١٧١)، وابن عبد البرفي «الجامع» (١/ ٧٥٦/ ١٣٩٠)، وابن حجر في «موافقة الخبر الخبر» (١/ ١٠٥-١٠٦) بسند ضعيف.

قال الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ص: ٤٦٠/ رقم: ١٢٨٨):

«وبالجملة: فهو حديث مشهور المتن، ذو أسانيد كثيرة، وشواهد متعددة في المرفوع وغيره».

قلت: وقد صححه شيخنا الألباني ـ حفظه الله ـ في «صحيح الجامع» (رقم: ١٨٤٨)، وانظر «الصحيحة» (رقم: ١٣٣١).

«إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لهذهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»[١].

(١) حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

أخرجه أبو داود في «السنن» (رقم: ٤٢٩١)، وأبو عمرو الداني في «الفتن» (٣/ ٧٤٢/ ٣٦٤)، والهروي في «ذم الكلام» (ص: ٢٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٢٢)، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (١/ ٢٠٨/ ٤٢٢) و«مناقب الشافعي» (١/ ١٣٧)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ١٢٣)، وابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» (٥١، ٥٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٦١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ٣٢٣-٣٢٤/ ٦٥٢٧)، وابن حجر في «توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس» (ص: ٤٦) من طرق عن ابن وهب: أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن شَرَاحيل بن يزيد المَعَافرى عن أبي علقمة عن أبي هريرة ـ فيما أعلم ـ عن رسول الله ﷺ قال: . . . (فذكره).

ووقع عند الحاكم والهروي: «شرحبيل» بدل «شراحيل»! وهو خطأ؛ قال شيخنا في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ١٥١): «ولا أراه محفوظاً، وقد أشار إلى ذلك الحافظ في ترجمة شرحبيل بن شريك من التهذيب».

قال الطبراني عقب الحديث: «لا يُروى هذا الحديثُ عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد، تفرد به ابنُ وهب».

وقال العراقي وغيره ـ كما في «فيض القدير» (٢/ ٢٨٢) ـ: «سنده صحيح».

وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ١٢٢)، وابن الدِّيْبَع الشيباني في «تمييز الطيب من الخبيث» (ص: ٥١): «وسنده صحيح، رجاله كلهم ثقات، وكذا صححه الحاكم».

وحكى المناوي في «الفيض» (٢/ ٢٨٢) وغيره تصحيح الحاكم له.

وقال السيوطي ـ كما في «عون المعبود» (١١/ ٢٦٧)-: «اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح، وممن نص على صحته من المتأخرين: أبو الفضل العراقي وابن حجر، ومن المتقدمين: الحاكم في «المستدرك» والبيهقي في «المدخل»».

ورمز لصحته في «الجامع الصغير» (رقم: ١٨٤٥)، وقال شيخنا في «صحيحه» (رقم: ١٨٧٤): «صحيح».

وقال في «الصحيحة» (رقم: ٥٩٩): «والسند صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم».

قلت: وهو كما قالوا، وقد صححه الإمام أحمد كما في «السير» (١٠/ ٤٦)، لكن تصحيح الحاكم لم أجده في مطبوع «المستدرك»، قال شيخنا: «فلعله سقط ذلك من النسخ المطبوعة من «المستدرك»».

قلت: أو يكون مَنْ نَسَبَ تصحيحَهُ للحاكم من العلماء إنما هو بناءً على إخراجه إيَّاه في «المستدرك»، =

. . . . . .

= فاستلزموا صحته عنده من ذلك، ولعل في كلمة العلامة السخاوي في «المقاصد» بعد حكايته تصحيح الحاكم له: «فإنه أخرجه في مستدركه» ما يؤيد ذلك، والله أعلم.

هذا؛ وقد غمز الإمام أبو داود ـ رحمه الله ـ في صحته بعد أن أخرجه في «السنن»، فقال: «رواه عبد الرحمٰن بن شريح الاسكندراني، لم يَجُزْ به شراحيل».

يريد ـ رحمه الله ـ أن عبد الرحمن أعضله، فأسقط أبا علقمة وأبا هريرة، وهذا لا يقدح في الحديث لسببين:

الأول: أن سعيد بن أبي أيوب أرفع منزلة من عبد الرحمن بن شريح، قال الحافظ في «التقريب» (رقم: ٢٥١٠) فيه: «ثقة ثبت»، بينما قال في عبد الرحمن (رقم: ٤٣٤٢): «ثقة فاضل».

الثاني: أن مع سعيد زيادة علم، وهي زيادة ثقة، فيجب أن تقبل. أفاده السخاوي، وانظر: «الصحيحة» (٢/ ١٥١).

وقول الراوي: «فيما أعلم» ليس بشك في وصله، بل قد جعل وصله معلوماً له، كما قال السخاوي، وقد اعتمد الأئمة هذا الحديث.

وقد أعلَّه بعضُهم (!) باختلاف الناس في تحديد المجدِّدين، وأن كل طائفة تدَّعي أن إمامها هو المجدد، وتلك علَّةٌ عليلةٌ!! إذ المُجدِّد لا يشترط أن يكون واحداً فقط، بل يمكن أن يكون أكثر من واحد؛ كما قال صاحب «عون المعبود» (١١/ ١٦٤) وغيره.

قال الحافظ ابن كثير ـ كما في «كشف الخفاء» (١/ ٢٨٣) وغيره ـ: «وقد ادَّعى كلُّ قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه يَعُمُّ حملةَ العلم من كل طائفةٍ وكلَّ صنفٍ من أصناف العلماء: من مفسرين، ومحدِّثين، وفقهاء، ونحاة، ولغويين، إلى غير ذلك من الأصناف».

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٢٩٥): «لا يلزم أن يكون في رأس كل مئة سنة واحد فقط... وهو مُتَّجَهٌ؛ فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوعٍ من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخصٍ واحدٍ، إلا أن يُدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز...، فعلى هذا؛ كل من كان مُتَّصفاً بشيءٍ من ذلك عند رأس المئة هو المراد، سواء تَعَدَّدَ أم لا».

وقال في «توالي التأنيس»: «حمل بعض الأئمة (مَنْ) في الحديث على أكثر من واحد، وهو ممكن بالنسبة للفظ الحديث».

قلت: فـ (مَنْ) تصلُحُ للواحد فما فوقه؛ كما أفاده المناوي ـ أيضا- في «الفيض» (٢/ ٢٨٢).

ثم رأيتُ في «ذم الكلام» للهروي (ص: ٢٤٦)، و«الحلية» لأبي نعيم (٩/ ٩٧-٩٨)، =

وقد كان مِنْ هؤلاء الأئمةِ المُجَدِّدين الإمامان الجليلان: شيخنا العلامة **محمد ناصر الدين الألباني**، وشيخنا العلامة **محمد بن صالح العُثَيْمين**، حفظهما الله ورعاهما، وأبقاهما زُخْراً للإسلام والمسلمينَ، ونَفَعَنَا بعلومِهِمَا أجمعين. وهما غَنِيَّانِ عن التعريف، وأَشْهَرُ مِنْ أنْ يُعرفهما مِثْلي!.

وقد كتب الله تعالى لكلمتهما وكُتُبِهما القَبُولَ في الأرض، وجَعل لها صَدَىً عظيماً في أَرْجاءِ المعمورةِ، فَما مِنْ عالمٍ أو طالبِ علمٍ إلا وقد نَهَلَ مِنْ عِلْمِهِمَا الشيءَ الكثيرَ، وما ذلك إلا لما عَلِمَ الله تعالى من إِخلاصِهِمَا له وصِدْقِهما في الدعوةِ إليه.

هذا، وإنه مما يُثْلج صدري ويُسْعدني أن أُقدم لإخواني المسلمين هذه الكلماتِ المشرقةَ والعباراتِ المضيئةَ في «منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل،

= و«توالي التأنيس» لابن حجر (ص: ٤٨) من طريق حميد بن زنجويه: سمعت أحمد بن حنبل يقول: يُروى في الحديث عن النبي ﷺ: **«إنَّ اللهَ يَمُنُّ على أهلِ دينهِ في رأسِ كلِّ مئةِ سنةٍ برَجُلٍ مِنْ أهلِ بيتي يُبَيِّنُ لهم أَمْرَ دِينِهم»**.

وسنده صحيح إلى الإمام أحمد، وقال السبكي في «الطبقات» (١/١٩٩): «وهذا ثابت عن الإمام أحمد».

وله طريق أخرىٰ عند ابن عبد البر في «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء» (ص: ١٢٦).

قلت: لكن متنه فيه نكارة؛ إذ حَصَرَ المجدِّدَ في رجلٍ واحدٍ، وأن يكون مِنْ أهل البيت، هذا مع ضعف إسناده؛ لجهالتنا بالإسناد فيما فوق الإمام أحمد؛ نقول هذا ـ وإن كان الظاهر احتجاج أحمد به- ؛ لأنه لا يجوز نسبةُ حديث إلى رسولِ اللهِ ﷺ إلا بعد ثبوت صحة الإسناد إليه ﷺ لدينا، وهذا غيرُ متوفرٍ لنا في مثل هذا اللفظ للحديث، وقد علمتَ أن الذي ثبت لدينا بالإسناد الصحيح هو اللفظ السابق.

وقال أبو بكر البزار ـ كما في «توالي التأنيس» ـ: «سمعت عبد الملك بن عبد الحميد الميموني: قال أحمد بن حنبل: رُوي عن النبي ﷺ أنه يقول: **إنَّ اللهَ يُقَيِّضُ في رأسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُعلِّم الناسَ دِينَهُمْ**» أ هـ بتصرف.

وسنده صحيح إليه ـ أيضاً ـ؛ عبدالملك ثقة فاضل، لازم أحمد أكثر من عشرين سنة، كما في «التقريب» (رقم: ٤٦٩٢).

وموقفهم من أسماء الله وصفاته» لفضيلة الشيخ ابن عُثيمين ـ حفظه الله ـ، وكان أصْلُها محاضرتين له ـ حفظه الله ـ، ثم طُبِعَا في «مجموع الفتاوى» له في رسالتين، فلما قرأتُهما وجدتُ فيهما الشيءَ الكثيرَ مِنَ الفوائدِ والدُّرَر، ورأيتُ إفرادَهُمَا بالنشر أعظم نفعاً لإخواني طلبة العلم والدعاة، فقمتُ بضبط النصِّ وتصحيح ما نَدَّ من أخطاء مطبعية أو إملائية، وتخريج الأحاديث، والتعليق عليها بما يتناسبُ مع الوقت والحال.

ولما كانتْ الرسالةُ الثانية منهما تتعلق بموضوع الأسماء والصفات وموقف أهل السنة منها؛ رأيت إردافها بسؤال وجواب حول نفس الموضوع من أشرطة وبعض كتب شيخنا الألباني -حفظه الله-؛ تتميماً للفائدة. وقد وضعتُ لبعضِ فقراتِهَا أسئلةً من عندي، ولم أتصرف فيما كان من كلامه في الأشرطة إلا ما لابد منه؛ من تغيير كلمة عامية، أو حذف عبارة مكررة يَحْسُنُ حذفُهَا، أو ما أشبه، وقد أشرتُ إلى أكثر هذه المواطن ـ إن لم يكن كلها ـ بوضع ( ).

هذا، واللهَ أسألُ أن ينفعني به ومَنْ رَامَ الانتفاعَ به من إخواني، وأن يجعلَه من الأعمال التي لا ينقطعُ عني نفعُهَا بعد أنَ أُدْرَجَ في أكفاني؛ إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

وصلى الله على نبيِّنَا محمدٍ وآلِهِ وصحبهِ والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

وكتبه

أَبُو عَبْدِ الله فُؤَادُ بْنُ الشِّتَاوِي النُّعْماني الأَثَري

مِصْر ـ المنصورة

نزيل عمانَ ـ الأردن

غرة رجب الحرام لسنة (١٤١٩هـ)

الموافق: الحادي والعشرين من الشهر العاشر لسنة (١٩٩٨)

مِنْهَاجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْعَمَلِ

الحمدُ لله، نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنَا، ومن سيئاتِ أعمالِنَا، من يهدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ الله تعالى بيْن يَدَيْ الساعةِ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلَّغ الرسالَةَ، وأدَّى الأمانةَ، ونصحَ الأُمَّةَ، وجاهدَ في الله حقَّ جهادِهِ، فصلوات الله وسلامُهُ عليه، وعلى آلِهِ، وأصحابِهِ، ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

المرادُ بأهلِ السنةِ والجماعةِ وبيانُ طريقِهم

أهلُ السنةِ والجماعةِ هم الذين هداهم الله تعالى لما اخْتُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنه، والله يهدي مَنْ يشاء إلى صراطٍ مستقيم، وكُلُّنا نَعْلم أن رسول الله ﷺ بُعِثَ بالهُدَى ودينِ الحقِّ، الهدى: الذي ليس فيه ضلالة، ودين الحق: الذي ليس فيه غواية، وبقي الناس في عهده على هذا المنهاجِ السليمِ القويمِ، وكذلك عامَّة زمن خلفائِه الراشدين، ولكن الأمة بعد ذلك تَفَرَّقتْ تفرُّقاً عظيماً متبايناً، حتى كانوا على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً كُلُّهَا في النار إلا واحدةً، وهي ما كان عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، بهذا نقول: إن هذه الفِرقة هي فِرْقَة أهل السنة والجماعة.

وهذا الوصْفُ لا يحتاج إلى شرح في بيان أنهم هم الذين على الحق؛ لأنهم أهل السنة المتمسكون بها، وأهل الجماعة المجتمعون عليها. ولا تكادُ ترى طائفةً سواهم إلا وهم بعيدون عن السنة بقدر ما ابتدعوا في دين الله سبحانه وتعالى، ولا تَجِدُ فرقةً غيرهم إلا وجدتهم فرقةً مُتَفَرِّقِينَ فيما هم عليه مِنَ النِّحْلَةِ.

وقد قال سبحانه وتعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

إِذَنْ؛ لا حاجةَ لنا إلى التطويل بتعريف أهل السنة والجماعة؛ لأن هذا اللَّقَبَ يُبَرْهِنُ على معناه برهاناً كاملاً وأنهم المتمسكونَ بالسنةِ المجتمعون عليها، ونحن نُلَخِّصُ الكلامَ في نقاطٍ رئيسيةٍ، هي:

أولاً: بيان طريق أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته مع أمثلةٍ توضح تلك الطريقة:

أهل السنة والجماعة طريقتُهم في أسماء الله وصفاته: أنهم يعتبرون أن ما ثَبَتَ من أسماء الله وصفاته في كتاب الله أو فيما صَحَّ عن رسول الله ﷺ -وهو حق على حقيقته- يُرَادُ به ظاهرُه، ولا يحتاج إلى تحريف المُحَرِّفِينَ، وذلك لأن تحريف المُحَرِّفين مَبْنِيٌّ

على سُوءِ فَهْمٍ أو سوءِ قصدٍ، حيثُ ظنوا أنهم إذا أثبتوا تلك النصوصَ أو تلك الأسماءَ والصفاتِ على ظاهرها ظنوا أن ذلك إثباتٌ للتمثيل، ولهذا صاروا يُحَرِّفُون الْكَلِمَ عن مواضعه، وقد يكونون ممن لم يفهموا هذا الفهم ولكن لهم سُوء قصدٍ في تفريق هذه الأمةِ الإسلامية شيعاً كل حزبٍ بما لديهم فرحون.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن ما سَمَّى الله به نفسَهُ وما وصفَ الله به نفسَه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فهو حق على حقيقته وعلى ظاهره، ولا يحتاج إلى تحريف المحرِّفين، بل هو أبعد ما يكون عن ذلك، وهو أيضاً لا يمكن أن يُفْهَمَ منه ما لا يَلِيقُ بالله عز وجل من صفاتِ النقص أو المماثلة بالمخلوقين[١]، بهذه الطريقة المثلى يَسْلَمُون من الزَّيْغِ والإلحادِ في أسماء الله وصفاته، فلا يُثْبِتون لله إلا ما أَثْبَتَه لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، غير زائدين في ذلك ولا ناقصين عنه، ولهذا كانت طريقتهم أن أسماءَ الله وصفاتِه تَوْقِيفيةٌ لا يمكن لأحدٍ أن يُسمي اللهَ بما لم يُسَمِّ به نفسَه، أو أن يصفَ الله بما لم يَصِفْ به نفسَه[٢].

فإن أيَّ إنسانٍ يقول: إن من أسماء الله كذا، أو ليس من أسماء الله، أو: إن من صفات الله كذا، أو: ليس من صفات الله، بلا دليل، لأنه[٣] لا شك قولٌ على الله بلا علمٍ، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

---

(١) انظر: «الفتوى الحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

(٢) أسماء الله تعالى [وصفاته] توقيفية، لا مجال للعقل فيها، وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء [والصفات]، فوجب الوقوف في ذلك على النص...، ولأن تسميتَهُ تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكارَ ما سمى به نفسه جنايةٌ في حقِّه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص. أ هـ من «القواعد المثلى» (ص: ١٣).

(٣) لعل الصواب: «فإنه»، أو يكون سقط قبلها نتيجة القول بلا دليل وهو مثلاً: «فقد ارتكب إثماً».

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ثم إن طريقتهم في أسماء الله تعالى: أن ما سَمَّى الله به نفسَه.

● فإن كان من الأسماءِ المُتَعَدِّيَةِ فإنهم يَرَوْنَ من شرط تحقيق الإيمان به ما يلي:

١- أن يؤمن المرْءُ بذلك الاسم اسماً له عز وجل.

٢- أن يؤمن بما دَلَّ عليه من الصِّفَةِ، سواء كانت الدّلالة تَضَمُّناً أو ٱلْتِزاماً.

٣- أن يؤمن بأثر ذلك الاسم الذي كان مما دَلَّ عليه الاسمُ من الصفةِ.

ونحن هنا نضرب مثلاً:

من أسماء الله تعالى: «السميع»، يجب على طريق أهل السنة والجماعة أن يُثْبَتَ هذا الاسمُ من أسماء الله، فَيُدْعَى الله به، ويُعْبَدُ به. فيقال -مثلاً-: عبد السميع. ويقال: يا سميع، يا عليم، وما أشبه ذلك؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وكذلك أيضاً يُثْبَت ما دَلَّ عليه هذا الاسمُ من الصفةِ، وهي السمع، فنُثْبِتَ لله سمعاً عامّاً شاملاً لا يخفى عليه أيُّ صوتٍ وإن ضَعُفَ.

كما نُثْبِتُ أيضاً أثر هذه الصفة، وهي أن الله تبارك وتعالى يسمعُ كلَّ شيءٍ. وبهذا نتفعُ انتفاعاً كبيراً من أسماء الله؛ لأنه يلزم من هذه الأمور الثلاثة التي أثبتناها في الاسم إذا كان متعدياً أن نتعبد الله بها، فنُحقِّق قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فأنتَ إذا آمنتَ بأن الله يسمعُ؛ فإنك لن تُسْمِعَ ربَّكَ ما يُغْضِبُه عليك، لن تُسْمِعَه إلا ما يكون به راضياً عنك؛ لأنك تؤمن أنك مهما قُلْتَ من قولٍ سَوَاء كان سراً أم علناً فإن الله تبارك وتعالى يسمعُه، وسوف يُنَبِّئُكَ بما كنتَ تقول يوم القيامة[1]،

(١) في المطبوع: «في يوم القيامة».

وسوف يحاسبُك على ذلك على حسبِ ما تَقْتَضِيه حكمتُه في كيفيةِ مَنْ يُحَاسِبُهم تبارك وتعالى.

إِذَنْ: القاعدةُ عند أهل السنة والجماعة: أن الاسم من أسماء الله إذا كان متعدِّياً فإنه لا يمكن تحقيق الإيمان به إلا بالإيمان بهذه الأمور الثلاثة:

١- أن نؤمن به اسماً من أسماء الله، فنُثبِته من أسمائه.

٢- أن نؤمن بما دَلَّ عليه من صفةٍ.

٣- أن نؤمن بما يَتَرَتَّبُ على تلك الصفة من الأثر.

وبهذا يتحقق الإيمان بأسماء الله تبارك وتعالى المتَعدِّية.

● أما إذا كان الاسم لازماً فإنهم يثبتون هذا الاسم من أسماء الله، ويُسَمُّون الله به ويَدْعُون الله به، ويُثْبِتُون ما دلَّ عليه الاسم من صفةٍ على الوجه الأكمل اللائق بالله تعالى، ولكن هنا لا يكون أثر؛ لأن هذا الاسم مُشْتَقٌّ من شيءٍ لا يتعدَّى موصوفُه، فلذلك لا يكون أثر.

ونضرب مثلاً بـ «الحي»:

فإن «الحي» من أسماء الله عز وجل، نُثْبِتُه اسماً لله، فنقول: من أسماء الله تعالى: «الحي»، وندعو الله به، فنقول: «يا حي، يا قيوم».

ونؤمن بما دل عليه من صفة، سواء كان ذلك تضمناً أو التزاماً، وهي الحياة الكاملة التي تتضمن كل ما يكون من صفات الكمال في الحي من علمٍ، وقُدْرةٍ، وسَمْعٍ، وبصرٍ، وكلامٍ، وغير ذلك.

فعلى هذا نقولُ: إذا كانَ الاسم من أسماء الله غيرَ مُتَعَدٍّ فإن تحقيقَ الإيمان به يكون مرين:

أحدهما: إثباته اسماً من أسماء الله.

والثاني: إثبات ما دل عليه من الصفة على وجه الكمال اللائق بالله تبارك وتعالى[١].

أما الصفات فإننا لا نَصِفُ الله إلا بما وَصَفَ به نفسه[٢]، سواء ذَكر الصفةَ وحدَها بدون أن يتسَمَّى بما دلَّتْ عليه، أو كانت هذه الصفة مما دلَّتْ عليها أسماؤه، فإنه يجب علينا أن نؤمن بهذه الصفة على حقيقتها[٣].

مثال ذلك: أَثْبَتَ الله تبارك وتعالى لنفسه أنه استوى على عرشه[٤]. وهويخاطبنا بالقرآن النازل باللسان العربي المبين[٥]وكل الناس الذين لهم ذَوْق في اللغة العربية

---

(١) قال الشيخ -حفظه الله- في«القواعد المثلى» (ص: ١٠):
«أسماء الله تعالى إن دلَّت على وصف متعد؛ تضمنت ثلاثة أمور:
أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.
الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.
الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها...
وإن دلَّت [أي: أسماء الله تعالى] على وصف غير متعد؛ تضمنت أمرين:
أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.
الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل».

(٢) أو وصفه به رسوله ﷺ، أي: بما ورد في الكتاب والسنة.

(٣) وما ورد نفيه في[الكتاب أو السنة] وجب نفيه مع إثبات كمال ضده.
وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه، فلا يثبت ولا ينفى؛ لعدم ورود الإثبات والنفي فيه.
وأما معناه؛ فيفصَّل فيه:
فإن أريد به حق يليق بالله تعالى فهو مقبول.
وإن أريد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب رده.
انظر: «القواعد المثلى» (ص: ٢٩-٣٣).

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

(٥) قال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [طه: ١١٣]، لذلك كان الواجب هو إجراء نصوص القرآن =

. . . . . .

= والسنة على ظاهرها دون تحريف، لا سيما نصوص الصفات؛ حيث لا مجال للرأي فيها، إلا أن يمنع منه دليل شرعي، وإلا؛ لاختلفت الآراء، وتفرقت الأمة، وكان كثير مما وصف الله به نفسه لايعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه! ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء؛ إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبياناً للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين وأن يبين للناس ما نزل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه -وهو ما أخبر به الرب عن صفاته- لا يعلم أحد معناه! فلا يعقل ولا يتدبر ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم ولا بلغ البلاغ المبين!!

وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحدٍ ومبتدعٍ: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك؛ لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، ولا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به!! فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، فتحاً لباب من يعارضهم ويقول: إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء؛ لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون، فضلاً عن أن يبينوا مرادهم!

ثم يقال للمُحَرِّف: هل أنت أعلم بالله ورسوله منه سبحانه؟ فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل ما أخبر الله به عن نفسه أو أخبر عنه رسوله صدق وحق؟ فسيقول: نعم.

ثم يقال له: هل تعلم كلاماً أفصح وأبين من كلام الله تعالى أو كلام رسوله ﷺ؟ فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل تظن أن الله سبحانه وتعالى أو رسوله ﷺ أراد أن يعمي الحقَّ على الخلق في هذه النصوص ليستخرجوه بعقولهم؟ فسيقول: لا.

فيقال له: إذا كنت تقر بذلك، فلماذا لا يكون عندك الإقدام والشجاعة في إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ على حقيقته وظاهره اللائق بالله؟!

وكيف يكون عندك الإقدام والشجاعة في نفي حقيقته تلك وصرفه إلى معنىً يخالف ظاهره بغير علم؟.

وماذا يضيرك إذا أثبتَّ لله تعالى ما أثبتَه لنفسه في كتابه أو سنة نبيه على الوجه اللائق به، فأخذت بما جاء في الكتاب والسنة إثباتاً ونفياً؟ أفليس هذا أسلم لك وأقوم لجوابك إذا سئلت يوم القيامة: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؟!

أو ليس صرفك لهذه النصوص عن ظاهرها وتعيين معنىً آخر مخاطرةٌ منك؛ فلعل المراد يكون -على تقدير جواز صرفها- غير ما صرفتَها إليه؟!

انظر: «درء تعارض العقل مع النقل» (١/١١٦- مع «منهاج السنة»)، و«القواعد المثلى» (ص: ٣٣، ٤٢-٤٣).

يَعْلَمون معنى (اسْتَوَى) في اللغة العربية[١]، ولهذا قال الإمام مالك رحمه الله تعالى -وقد سُئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. كيف استوى؟ فقال-: «الاستِوَاءُ معلومٌ، والكَيْفُ مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعةٌ». هذا هو اللفظ المشهور عنه واللفظ الذي نُقِلَ عنه بالسَّنَد قال: «الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكَيْفُ غيرُ معقولٍ، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[٢]. وهذا اللفظ أدقُّ من اللفظ

---

(١) أَصْلُ الاستواءِ في اللُّغةِ: هو الارتفاعُ والعلو على الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤].

وذكر العلامة ابن القيم -رحمه الله- في كتابه القيم «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (٢/ ١٢٦-١٢٧/ مختصره) **أن الاستواء في لغة العرب نوعان: مطلقٌ، ومُقَيَّدٌ:**

فالمطلقُ: ما لم يُوصَل معناه بِحَرْفٍ، مثل: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤]، وهذا معناه: كَمُلَ وتَمَّ.

وأما المقيدُ؛ فثلاثةُ أضرب:

الأول: المقيد بـ «إلى»؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، واستوى فلانٌ إلى السطح وإلى الغرفة، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

الثاني: مقيد بـ«على»؛ كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣]، وقوله: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، وهذا معناه -أيضاً-: العلو، والارتفاع، والاعتدال؛ بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بواو المعية، التي تعدي الفعل إلى المفعول معه؛ نحو: استوى الماءُ والخشبةُ. بمعنى: ساواها. أ هـ بتصرف.

وانظر: «تاج العروس» للزبيدي (١٠/ ١٨٨/ ١٨٩)، و«لسان العرب» (١٤/ ٤١٤)، و«جامع البيان» للطبري (١/ ١٩١-١٩٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١/ ٢٥٥)، و«التمهيد» لابن عبد البر (٧/ ١٣١-١٣٢).

(٢) **أَثَـرٌ صَحِيـحٌ.**

أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢/ ٣٩٨)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٣٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٥٠-١٥١) و«الاعتقاد» (ص٥٦)، وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف» (ص١٧، ١٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥- ٣٢٦)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٥١)، والذهبي في «العلو» (ص١٠٣-١٠٤) وفي «السير» (٨/ ٨٩-٩٠، ٩٥) من طرق عنه. =

الذي سقناه قَبْلُ؛ لأن كلمة «الكيف غير معقول» تدل على أنه إذا انتفى عنه الدليلان النقلي والعقلي فإنه لا يمكن التَّكَلُّم به.

هذه الصفة من صفات الله لم يَرِدْ اسمٌ من أسماء الله مُشْتَقٌّ منها، فلم يرد من أسمائه (المستوي)[1]، ولكننا نقول: إنه استوى على العرش. ونؤمن بهذه الصفة على الوجه

= وقال الذهبي: «هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة».

وقال ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٧): «وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب...» فذكره.

قلت: وذكر هذا الأثر البغوي في «شرح السنة» (١/ ١٧١)، وابن قدامة في «العلو» (ص١١٩/ رقم ١٠٤)، والسيوطي في «الدرالمنثور» (٣/ ٤٧٣)، وانظر: «مختصر العلو» (ص: ١٤١-١٤٢) لشيخنا الألباني - حفظه الله-.

وقوله: «الاستواء معلوم» أي: معلوم المعنى في اللغة العربية التي نزل بها القرآن، وله معان بحسب إطلاقه وتقييده بالحرف، وهو هنا: علو الله تعالى على عرشه علواً خاصاً يليق به، وليس هو العلو المطلق على سائر المخلوقات.

وقوله: «والكيف مجهول» أو «والكيف غير معقول» أي: كيفية الاستواء غير مدركة بالعقل، فله كيفية مجهولة لنا؛ لأن الله تعالى أعظم وأجل من أن تدرك العقول كيفية صفاته.

وقوله: «والإيمان به واجب»، أي: والإيمان باستواء الله تعالى على عرشه على هذا الوجه واجب، لوروده في الكتاب والسنة.

وقوله: «والسؤال عنه بدعة» أي: السؤال عن الكيف بدعة؛ لأنه لم يعرف في عهد النبي ﷺ ولا أصحابه، وهو من الأمور الدينية، فكان إيراده بدعة وتنطع أيضاً.

وانظر: «تقريب التدمرية» (ص٤٠-٤١) و«شرح لمعة الاعتقاد» (ص٣٥).

(١) ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تعالى (المجيء، والإيتان، والأخذ، والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١١]، وقال: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]، وقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال النبي ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا» [متفق عليه]. =

اللائق به،ونعلم أن معنى الاستواء هو العُلُوُّ، فهو عُلُوٌّ خاصٌّ بالعرش، ليس العلو المُطْلَق على جميع المخلوقات، بل هو عُلُوٌّ خاصٌّ، ولهذا نقول في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. أي: عَلاَ واسْتَقَرَّ علَى وجهٍ يليقُ بجلالِهِ وعظمَتِه. وليس كاستواء الإنسان على البعير والكرسي مثلاً؛ لأن استواءَ الإنسان على البعير والكرسي استواءُ مُفْتَقِرٍ إلى مكانه الذي يستوي عليه، أما استواءُ الله جل ذكره فإنه ليس استواءَ مفتقرٍ، بل إن الله تبارك وتعالى غَنِيٌّ عن كل شيء، كل شيء مفتقرٌ إلى الله، والله تبارك وتعالى غنيٌّ عنه(١).

ومن زعم أنه بحاجة إلى عرشٍ يُقِلُّه فقد أساء بربه عز وجل؛ فهو سبحانه وتعالى غيرُ مُفْتَقِرٍ إلى شيءٍ من مخلوقاته، بل جميع مخلوقاته مفتقرةٌ إليه.

وكذلك النزول إلى سماءِ الدنيا حينما يبقى ثلثُ الليل الآخر نؤمن به على أنه نزولٌ حقيقيٌّ، لكنه يليق بالله عز وجل لا يُشْبِه نزولَ المخلوقين(٢).

= فنصفُ اللهَ تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد ولا نسميه بها، فلا تقول: إن من أسمائه: الجائي والآتي والآخذ والممسك والباطش والمريد والنازل ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به. أهـ «القواعد المثلى» (ص: ٢١)، وانظر ما سيأتي (ص: ٩٤-٩٥).

(١) ثم قد عُلِمَ أن الله تعالى خلق العالَم بعضَه فوق بعض، ولم يجعل عاليه مفتقراً إلى سافله؛ فالهواء فوق الأرض وليس مفتقراً إلىأن تحمله الأرض، والسحاب -أيضاً- فوق الأرض وليس مفتقراً إلى أن تحمله، والسموات فوق الأرض وليست مفتقرة إلى حمل الأرض لها، فالعلي الأعلى رب كل شيء ومليكه إذا كان فوق جميع خلقه: كيف يجب أن يكون محتاجاً إلى خلقه أو عرشه؟!أو كيف يستلزم علوه على خلقه هذا الافتقار وهو ليس بمستلزم في المخلوقات؟! وقد علم أن ما ثبت لمخلوق من الغنى عن غيره فالخالق سبحانه وتعالى أحق به وأولى!!! .أهـ. «التدمرية» (ص: ٥٥-٥٦).

(٢) قال الإمام ابن عبد البر في كتابه العجاب «التمهيد» (١٤٣/٧) بعد إيراده حديث النزول: «الذي عليه جمهور أهل السنة: أنهم يقولون: ينزل كما قال رسول الله ﷺ، ويصدقون بهذا الحديث، ولا يُكَيِّفُون، والقول في كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء، والحجة في ذلك واحدة». أهـ. =

ومن هنا نقول: إنه يجب على المؤمن أن يَتَحَاشى أمراً يلقيه الشيطانُ في باله، أمراً خطيراً للغاية -وهو أَمْرٌ حَمَلَ أهلَ البدع على تحريف النصوص مِن أجل هذا الأمر الذي يجعله الشيطانُ في قلوب الناس-، ألا وهو تَخَيُّل كَيْفِيَّةِ صِفَةٍ من صفات الله، أو تَخَيُّل كَيْفِيةِ ذات الله عز وجل!

فاعلم أنه لا يجوز أبداً أن يتخيل كيفية ذات الله، أو كيفية صفة من صفاته، واعلم أنك إن تَخَيَّلْتَ أو حاولتَ التخيل فإنك لا بد أن تقع في أحد محذورين: إما التحريف والتعطيل، وإما التمثيل والتشبيه[1].

ولهذا يجب عليكم أيها الأخوة أن لا تتخيلوا أيَّ شيءٍ من كيفية صفات الله عز وجل، لا أقول: لا تثبتوا المعنى؛ لأن المعنى يجب أن يُثبَتَ، لكن تَخَيُّل كيفية تلك الصفة لا يمكن أن تتخيلها، وعلى أيِّ مقياس تقيس هذا التخيل؟!

لا يمكن أبداً أن تتخيل كيفية صفات الله عز وجل لا بالتقدير ولا بالقول! يجب عليك أن تتجنب هذا؛ لأنك تحاول مالا يمكن الوصول إليه! بل تحاول ما يخشى أن يوقعك في أمر عظيم لا تستطيع الخلاص منه إلا بسلوك التمثيل والتعطيل! وذلك لأن الرب جَلَّتْ عظمتُه لا يمكن لأحدٍ أن يتخيله على كيفية معينة؛ لأنه إن فعل ذلك فقد قَفَا ما ليس له به عِلم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وإن تخيله على وصفٍ مقارب بمثيلٍ فقد مَثَّلَ الله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

= وانظر «شرح حديث النزول» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«الصواعق المرسلة» للإمام ابن القيم (٢/ ٢٣٢)، و«كتاب النزول» للإمام أبي الحسن الدارقطني -رحم الله الجميع-.

(١) التمثيل: هو اعتقاد المثبِت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين.

والتشبيه كالتمثيل، وقد يفرق بينهما بأن التمثيل، التسوية في كل الصفات، والتشبيه: التسوية في أكثر الصفات. انظر: «القواعد المثلى» (ص: ٢٧).

وبهذا نعلم أنَّ مَنْ أنكر صفات الله أنكرها لأنه تَخَيَّلَ أولاً، ثم قالوا: هذا التخيل يلزم منه التمثيل، ثم حَرَّفُوا! ولهذا نقول: إن كل معطِّلٍ ومُنْكِرٍ للصفات فإنه مُمَثِّلٌ سبق تمثيلُه تعطيلَه. مَثَّلَ أولاً وعَطَّلَ ثانياً[1]. ولو أنه قدَرَ الله حَقَّ قَدْرِهِ ولم يتعرض لتخيل صفاته سبحانه ما احتاج إلى هذا الإنكار وإلى هذا التعطيل.

ثانياً: طريقة أهل السنة والجماعة في عبادة الله:

طريقتهم أنهم يعبدون الله، لله، وبالله، وفي الله.

أما كونهم يعبدون الله لله؛ فمعنى ذلك الإخلاص، يخلصون لله عز وجل، لا يريدون بعبادتهم إلا ربَّهم، لا يتقربون إلى أحد سواه، إنما ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾، ما يعبدون الله لأن فلاناً يراهم، وما يعبدون الله لأنهم يُعَظَّمون بين الناس، ولا يعبدون الله لأنهم يُلَقَّبون بَلَقب العابد! لكن يعبدون الله لله.

وأما كونهم يعبدون الله بالله؛ أي: مستعينين به، لا يمكن أن يفخروا بأنفسهم، أو أن يروا أنهم مُسْتَقِلُّون بعبادتهم عن الله، بل هم محقِّقُون لقول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: يعبدون الله لله، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: يعبدون الله بالله. فيستعينونه على عبادته تبارك وتعالى.

---

(١) قال الشيخ -حفظه الله- في«القواعد» (ص٤٧-٤٨): «تنبيه: عُلم مما سبق أن كل معطِّل ممثِّل، وكل ممثِّل معطِّل.

أما تعطيل المعطل فظاهر، وأما تمثيله فلأنه إنما عطل لاعتقاده أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه، فمثَّل أولاً وعطَّل ثانياً، كما أنه بتعطيله مثله بالناقص!

وأما تمثيل الممثل فظاهر، وأما تعطيله فمن ثلاثة أوجه:

الأول: أنه عطل نفس النص الذي أثبت به الصفة حيث جعله دالاً على التمثيل مع أنه لا دلالة فيه عليه، وإنما يدل على صفة تليق بالله عز وجل.

الثاني: أنه عطل كل نص يدل على نفي مماثلة الله لخلقه.

الثالث: أنه عطل الله تعالى عن كماله الواجب، حيث مثَّله بالمخلوق الناقص!»

قلت: وانظر بيان بطلان مذهب المعطلة في«القواعد المثلى» (ص: ٤٠-٤٧) بكلامٍ علميٍّ متينٍ.

وأما كونهم يعبدون الله في الله؛ أي: في دين الله، في الدين الذي شرعه على ألسنة رُسُلِهِ، وهم وأهل السنة والجماعة في هذه الأمة يعبدون الله بما شرعه على لسان رسوله محمد ﷺ، لا يزيدون فيه ولا ينقصون منه، فهم يعبدون الله في الله في شريعته في دينه لا يخرجون عنه لا زيادةً ولا نقصاً، لذلك كانت عبادتهم هي العبادةَ الْحَقَّةَ السالمةَ من شوائب الشرك والبدع؛ لأن من قصد غير الله بعبادته فقد أشرك به، ومن تَعَبَّدَ الله بغير شريعته فقد ابتدع في دينه، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

فعبادتهم لله في دين الله لا يبتدعون ما تستحسنه أهواؤهم[1]، لا أقول: ما تستحسنه عقولهم؛ لأن العقول الصحيحة لا تستحسن الخروجَ عن شريعة الله؛ لأن لُزُومَ شريعةِ الله مُقْتضى العقلِ الصريح، ولهذا كان الله سبحانه وتعالى ينعي على المكذبين لرسوله عقولهم ويقول: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

لو كنا نتعبَّد لله بما تهواه نفوسُنا وعلى حسب أهوائنا لَكُنَّا فِرَقاً وشيعاً، كل يستحسن ما يريد، فيتعبَّد لله به! وحينئذٍ لا يتحقق فينا وصفُ الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

ولْننظرْ إلى هؤلاء الذين يتعبَّدون لله بالبدع التي ما أَذِنَ الله بها ولا أنزل بها من سُلطان، كيف كانوا فِرَقاً يُكَفِّر بعضُهم بعضاً ويُفسِّق بعضُهم بعضاً، وهم يقولون إنهم مسلمون! لقد كُفِّر بعضُ الناس ببعض أمور لا تخرج الإنسان إلى الكفر! ولكن الهوى أصمَّهم وأعمى أبصارهم.

نحن نقول: إننا إذا سرنا على هذا الخط لا نعبد الله إلا في دين الله فإننا سوف نكون أمةً واحدةً، لو عَبَدْنَا الله تعالى بشرعه وهداه لا بهوانا لَكُنَّا أمةً واحدةً، فشريعةُ الله هي الهدى وليست الهوى.

---

(١) في المطبوع: «تستحسنهم أهوائهم».

إِذَنْ: لو أن أحداً من أهل البدع ابتدع طريقةً عَقَدِيَّةً [١] (أي تعود للعقيدة) أو عَمَلِيَّةً (تعود إلى العمل) من قول أو فعل، ثم قال: إن هذه حسنة، والنبي ﷺ يقول: «**مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنةً حسنةً فله أجرُهَا وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها إلى يوم القيامة**»[٢]. قلنا له بكل بساطة: هذا الْحُسْنُ الذي ادَّعَيْتَ أنه في هذه البدعة هل كان خافياً لدى الرسول عليه الصلاة والسلام، أو كان معلوماً عنده لكنه كتمه، ولم يَطَّلِع عليه أحدٌ من سَلَفِ الأمة حتى ادُّخِرَ لك عِلْمُه؟!

والجواب: إن قال بالأول فشرٌ، وإن قال بالثاني فأَطَمُّ وأشرُّ.

فإن قال: إن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يعلم حُسْنَ هذه البدعة ولذلك لم يشرعها.

---

(١) في الأصل: «طريقة عقيدة»، ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، رقم ١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله البجلي -رضي الله عنه- قال:

كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ، فجاءه قوم مجتابي النمار -أو العباء-، متقلِّدي السيوف، عامتهم من مُضَر، بل كلهم من مُضَر، فتَمَعَّرَ وجهُ رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل، ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى، ثم خطب، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]؛ والآية الأخرى التي في آخر الحشر [رقم: ١٨]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، تَصَدَّقَ رجلٌ من دِيناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرِّه، من صاع تمره»، حتى قال: «ولو بشق تمرة»، فجاء رجل من الأنصار بِصُرَّةٍ كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيتُ كومين من طعام وثياب، حتى رأيتُ وجهَ رسول الله ﷺ يتهلَّل كأنه مُذْهَبَةٌ، فقال رسول الله: «**مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً فله أجرها وأجر مَنْ عَمِلَ بها مِن بعده من غير أن يُنْقَصَ من أجورهم شيءٌ، ومن سَنَّ في الإسلام سنةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر مَنْ عمل بها من غير أن يُنْقَصَ من أوزراهم شيءٌ**».

وقوله: «مجتابي النمار» أي: لابسيها، والنمار: كل شملة مخططة من مآزر الأعراب، كأنها أخذت من لون النمر؛ لما فيها من السواد والبياض، وهي من الصفات الغالبة، والمراد أنه جاءه ﷺ قوم لابسي أزر مخططة من صوف، وقوله: «كأنه مذهبة» إما أن معناه: كأنه فضة مذهبة؛ لشدة حسن وجهه وإشراقه، وإما أنه تشبيه لحسن وجهه ونوره بالمذهبة من الجلود، وهي شيء كانت العرب تضعه وتجعل فيه خطوطاً مذهبة يُرى بعضُها إثْر بعض. وللمزيد انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي -رحمه الله-.

قلنا: رَمَيْتَ رسولَ الله ﷺ بأمرٍ عظيمٍ، حيث جهَّلْتَه بدين الله[١] وشريعته!!

وإن قال: إنه يَعْلَمُ ولكن كَتَمَه عن الخلق.

قلنا له: وهذه أدهى وَأَمَرُّ؛ لأنك وصفتَ رسولَ الله ﷺ الذي هو الأمين الكريم وَصَفْتَه بالخيانة وعدم الجود بعلمه، وهذا أشر من وَصْفِه بعدم الجود بماله، مع أنه ﷺ كان أجودَ الناس! وهنا شرٌّ قد يكونُ احتمالاً ثالثاً بأن الرسول ﷺ عَلِمَهَا وبلَّغها ولكنْ لم تَصِلْ إلينا.

فنقول له: وحينئذٍ طَعنتَ في كلام الله عز وجل؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وإذا ضاعتْ شريعةٌ من شريعةِ الذِّكْرِ فمعنى ذلك أن الله لم يَقُمْ بحفظه، بل نَقَصَ من حفظه إياه بقدر ما فات من هذه الشريعة التي نزل من أجلها هذا الذكر!!.

وعلى كل حال: فإن كل إنسان يبتدع ما يتقرب به إلى ربه من عقيدة أو عمل قولي أو فعلي فإنه ضال؛ لقول رسول الله ﷺ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»[٢] وهذه كُلِّيَّةٌ عَامَّةٌ لا يُسْتثنى

---

(١) في المطبوع: «في دين الله».

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم: ٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- ضمن حديث.

وهو ثابت -أيضاً- في **حديث العرباض بن سارية** -رضي الله عنه- عند أحمد (٤/ ١٢٦-١٢٧)، والدارمي (١/ ٤٤)، وأبي داود (رقم: ٤٦٠٧)، والترمذي (رقم: ٢٦٧٦)، وابن ماجه (رقم: ٤٣، ٤٤)، والهروي في «ذم الكلام» (ص: ١٥٠، ١٥١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (رقم: ٤٨، ٤٩)، واللالكائي في«شرح أصول الاعتقاد» (رقم: ٧٩)، والآجري في «الشريعة» (ص: ٤٧)، وابن حبان (رقم: ٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٢٤٥-٢٤٦)، و«مسند الشاميين» (٤٣٧و٤٣٨)، والحاكم (١/ ٩٥)، والبيهقي (٦/ ٥٤١) و«الاعتقاد» (ص٣٢٩-٢٣٠) و«مناقب الشافعي» (١/ ١٠-١١)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (رقم١١٨٧)، والبغوي في «شرح السنة» (رقم١٠٢)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢/ ٢٢٢، ٢٢٤)، وغيرهم من طرق عنه.

وقد احتج بالحديث الإمام أحمدُ -كما في «مسائل أبي داود» له (ص: ٢٧٧)-.

وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وقال البزار: «حديث ثابت صحيح»، كما في «جامع بيان العلم». =

منها شيءٌ إطلاقاً، فكل بدعةٍ في دين الله فإنها ضلالة وليس فيها من الحق شيء؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

ثم نقول: إن الحديث لا يدل على كل بدعة! بل قال: «**مَنْ سَنَّ في الإسلام**». وما خرج عن شريعة الرسول ليس من الإسلام، بل قد قال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**». وبهذا نعرف أنه لا بد أن تكون هذه السنة مما أثبته الإسلام، وإلاَّ ليست سنة في الإسلام، ومن عَلِمَ سَبَبَ الحديث الذي ذكرناه عَلِمَ أن المراد بالسنة: المبادرة بالعمل، أو السبق إلى تنفيذ سنة كان أسبق الناس بها؛ لأن سبب الحديث معلومٌ وهو أن جماعةً جاؤا إلى النبي ﷺ، وكانوا فقراء، فَحَثَّ المسلمين على التصدق عليهم، فأتى رَجُلٌ من الأنصار بصرةٍ قد أثقلَتْ يده فوضعها بين يديه ﷺ، فقال: «**مَنْ سَنّ في الإسلام سُنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها**». وبهذا عرفنا المراد أن مَنْ سَنَّها ليس مَنْ شَرَعَهَا، لكن مَنْ عَمِلَ بها أولاً؛ لأنه بذلك (أي بعمله أولاً) يكون هو إماماً للناس فيها، فيكون قدوةَ خيرٍ وحسنة، فيكون له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة[1].

= وقال ابن عبد البر عقبه: «وهو كما قال البزار- رحمه الله-، حديث العرباض حديث ثابتٌ».
وقال أبو نعيم في «المستخرج»: «حديث جيد من صحيح حديث الشاميين».
وقال البغوي: «هذا حديث حسن».
وقال ابن حجر في «موافقة الخبر الخبر» (١/ ١٣٧): «حديث صحيح».
وصححه أيضاً شيخنا الألباني -حفظه الله- في «الإرواء» (رقم: ٢٤٥٥) و«الصحيحة» (رقم: ٩٣٧)، وانظر الاستدراك (رقم: ١٢/ ص: ٧١٨) فيها.

(١) فهنا يكون معنى (السَّنّ): سن العمل تنفيذاً، وليس سنه تشريعاً، فصار معنى «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» أي: من عمل بها تنفيذاً لا تشريعاً، لأن التشريع ممنوع؛ «**كل بدعة ضلالة**».
وقد أجاب الشيخ -حفظه الله- عن الحديث بجوابين آخرين كما في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٥٢)، لا بأس من ذكرهما هنا لإتمام الفائدة، قال -حفظه الله-:
«إن من قال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» هو القائل: «**كل بدعة ضلالة**» ولايمكن أن يصدر عن الصادق المصدوق قول يكذب له قولاً آخر، ولا يمكن أن يتناقض كلام رسول الله ﷺ أبداً، ولا يمكن أن يرد على معنى واحد مع التناقض أبداً، ومن ظن أن كلام الله تعالى أو كلام رسوله ﷺ متناقض فليعد النظر، فإن هذا الظن صادر إما عن قصور منه، وإما عن تقصير. ولا يمكن أن يوجد =

ولا يَرِدُ على ذلك ما ابْتُدِعَ من الوسائل الموصِّلَة إلى الأمور المشروعة؛ فإن هذه وإن تَلَجْلَجَ بها أهلُ البدع وقَعَّدُوا بها بدعَهم فإنه لا نصيب لهم منها، إلا أن يكون الراقم على الماء له نصيب من الحروف بارزة في الماء!

أقول: إن بعض الناس يستدلون على تحسين بدعهم التي ابتدعوها في دين الله والتي يلزم منها ما سبق ذكره بما أحدث من الوسائل لغايات محمودة.

احتجوا على ذلك بجمع القرآن، وبتوحيده في مصحف واحد وبالتأليف، وببناء دور العلم وغير ذلك مما هو وسائل لا غايات! فهناك فرق بين الشيء الذي يكون وسيلةً إلى غايةٍ محمودةٍ مثبتةٍ شرعاً لكنها لا تتحقق إلا بفعل هذه الوسيلة؛ فهذه الوسيلة طبعاً تتجدد بتجدد الزمن وتختلف باختلاف العصور، ها هو قوله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وإعدادُ القوة على عهده عليه الصلاة والسلام غير إعداد القوة في زمننا هذا، فإذا ما أحدثنا عملاً معيناً نتوصل به إلى إعداد القوة فإن هذه بدعةُ وسيلةٍ وليستْ بدعةُ غايةٍ يتقرب بها إلى الله، ولكنها بدعةُ وسيلةٍ، ومن القواعد المقررة عند أهل العلم أن للوسائل أحكام المقاصد وبهذا نعرف أن ما تلجْلجَ به مبتدع الحوادث في دين الله باستدلالهم بمثل هذه القضايا أنه ليس لهم فيها دليل أبداً؛ لأن كل ما حصل فهو وسائل لغايات محمودة.

فَجَمْعُ القرآن من تصنيفٍ وما أشبه ذلك كله وسائل لغايات هي مشروعة في نفسها، فيجب على الإنسان أن يفرق بين الغاية والوسيلة، فما قصد لذاته فقد تم تشريعه

= في كلام الله تعالى أو كلام رسوله ﷺ تناقض أبداً.

وإذا كان كذلك فبيان عدم مناقضة حديث «**كل بدعة ضلالة**» لحديث «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» أن النبي ﷺ يقول: «**من سن في الإسلام**» والبدع ليست من الإسلام، ويقول «حسنة» والبدعة ليست بحسنة، وفرق بين السن والتبديع.

وهناك جواب لا بأس به: أن معنى «من سن»: من أحيا سنة كانت موجودة فعدمت فأحياها، وعلى هذا فيكون «السن» إضافياً نسبياً كما تكون البدعة إضافية نسبية لمن أحيا سُنة بعد أن تركت».

من عند الرسول عليه الصلاة والسلام بما أوحاه الله إليه من الكتاب العظيم ومن السنة المطهرة، ولدينا ولله الحمد آية نتلوها في كتاب الله، وهي قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] فلو كان من المحدثات ما يكمل به الدِّين لكانت قد شُرِعَتْ وبُيِّنَتْ وبُلِّغَتْ وحُفظَتْ، ولكن ليس فيها شيء يكون فيه كمال الدين، بل نقصٌ في دين الله[١].

قد يقول بعض الناس: إننا نجد في هذه الحوادث[٢] عاطفةً دينيةً ورقةً قلبيةً واجتماعاً عليها.

فنقول: إن الله تعالى أخبر عن الشيطان أنه قال: ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ [الأعراف:١٧] يُزَيِّنُها الشيطانُ في قلب الإنسان ليصده عما خُلِقَ له، عن عبادة الله التي شرع، فترضخ النفس بواسطة تسلُّط الشيطان على المرءِ حتى يصدَّه عن دين الحق، وقد أخبر الرسول ﷺ بأن «**الشيطانَ يجري مِن ابن آدم مَجْرَى الدم**»[٣]،

(١) قال الشيخ -حفظه الله- في «مجموع الفتاوى» (٢٤٦/٥): «إذا تقرر ذلك عندك أيها المسلم، فاعلم أن كل من ابتدع شريعة في دين الله ولو بقصد حسن فإن بدعته هذه مع كونها ضلالة -تعتبر طعناً في دين الله عز وجل؛ تعتبر تكذيباً لله تعالى في قوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة:٣]؛ لأن هذا المبتدع الذي ابتدع شريعة في دين الله تعالى وليست في دين الله تعالى كأنه يقول بلسان الحال: إن الدين لم يكمل؛ لأنه قد بقي عليه هذه الشريعة التي ابتدعها يتقرب بها إلى الله عز وجل».

(٢) في المطبوع بعدها زيادة كلمة: «نجد».

(٣) يشير -حفظه الله- إلى ما رواه **البخاري** في «صحيحه» (كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد، رقم:٢٠٣٥)، **ومسلم** في «صحيحه» (كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة كانت زوجة أو محرماً له أن يقول: هذه فلانة، ليدفع ظن السوء به، رقم:٢١٧٥) عن أم المؤمنين صفية بنت حيَيٍّ -رضي الله عنها- قالت: كان النبي ﷺ مُعتكِفاً، فأتَيْتُه أزُوره ليلاً، فحدَّثْتُه، ثم قمتُ لأنقَلِبَ، فقامَ معي ليقْلِبَني، فمرَّ رجلان من الأنصار -رضي الله عنهما-، فلمَّا رأَيَا النبيَّ ﷺ أسْرَعَا. فقال ﷺ: «**على رِسْلِكُمَا؛ إنها صفيةُ بنتُ حُيَيٍّ**». فقالا: سبحان الله يا رسولَ الله!؟ فقال: «**إنَّ الشَّيْطَانَ يجري من ابنِ آدمَ مَجْرى الدَّم، وإني خشِيتُ أن يَقْذِفَ في قلوبِكُما شرّاً**» -أو قال: شيئاً-».

بل في القرآن قبل ذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠] فجعل الله للشيطان سلطاناً على من تولاه وأشرك به، أي جعل لله شريكاً به بواسطة الشيطان.

وكل من جعل له متبوعاً في بدعة من دين الله فقد أشرك بالله عز وجل، وجعل هذا المتبوع شريكاً لله تعالى في الحكم! وحُكْمُ الله الشرعي والقدري لا شريك له فيه أبداً ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ﴾ [يوسف: ٤٠] وركَّزْتُ على هذا الأمر لكي يعلم أهل الإحداث المُحْدِثُون أنه لا حجة لهم فيما أحدثوه.

واعلم رحمك الله أنه لا طريق إلى الوصول إلى الله عز وجل وإلى دار كرامته إلا من الطريق الذي وضعه هو سبحانه وتعالى على لسان رسوله ﷺ.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ﴾: لو أن ملكاً من الملوك فتح باباً للدخول عليه، وقال: من أراد أن يَصِلَ إليَّ فليدخل مِن هذا الباب، فما ظنكم بِمَنْ ذهب إلى أبوابٍ أخرى، هل يَصِلُ إليه؟ كَلَّا بالطبع.

والملك العظيم، ملك الملوك، وخالق الخلق، جعل طريقاً إليه خاصّاً بما جاءه به رسله وعلى رأسهم خاتمهم محمد ﷺ، الذي بعد بعثه لا يمكن لأي بشر أن ينال السعادة إلا من طريقه ﷺ.

والحقيقة أن تعظيم الرسول ﷺ، وأن الأدب مع الرسول ﷺ، أن نسلك ما سلك، ونذر ما ترك، وأن لا نتقدم بين يديه فنقول في دينه ما لم يقل، أو نُحْدِثَ في دينه ما لم يشرع.

هل من مَحَبَّةِ الرسول عليه الصلاة والسلام وتعظيمه أن نُحْدِثَ في دينه شيئاً يقول هو عنه: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَة**»(١). ويقول: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلا ليس عليه أَمْرُنَا فهو رَدٌّ**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه قبل حديث.

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، رقم ١٧١٨) من حديث عائشة -رضي الله عنها-. =

هل هذا من محبة الرسول؟! هل هذا من محبة الله عز وجل؟! أن تُشَرِّعَ في دين الله مالم يشرع؟ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل‌عمران: ٣١][(١)].

ثالثاً: طريقة أهل السنة والجماعة في حق الرسول ﷺ:

من المعلوم أنه لا يتم الإسلام إلا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والشهادة لا تَتَحَقَّقُ إلا بثلاثة أمور:

١- عقيدة في القلب.

٢- نطق باللسان.

٣- عمل بالأركان[(٢)].

= وهذا حديث جليل، عظيم القدر، بالغ الأهمية، فهو من جوامع كلمه ﷺ، وهو من قواعد الدين العظيمة، وهو حديث صريحٌ في رد كل البدع والمحدثات. وانظر -إن شئت-: «شرح صحيح مسلم» للإمام النووي -رحمه الله- (١٢/ ١٦).

(١) وإنك لتعجب من قوم يعرفون قول رسول الله ﷺ: «**إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»، ويعلمون أن قوله: «**كل بدعة**» كلية عامة شاملة، مُسَوَّرَة بأقوى أدوات الشمول والعموم (كل)؛ وأن الذي نطق بهذه الكُلِّية صلوات الله وسلامه عليه يعلم مدلول هذا اللفظ، وهو أفصح الخلق، وأنصح الخلق للخلق، لا يتلفظ إلا بشيء يقصد معناه - وإذا تم في الكلام هذه الأمور الثلاثة (كمال النصح، والإرادة، وكمال البيان والفصاحة)؛ دل ذلك على أن الكلام يراد به ما يدل عليه من المعنى-، ثم يزعمون أن البدعة تنقسم ثلاثة أقسام أو خمسة أقسام!! ولا يصح هذا ألبتة!

وما ادعاه العلماء من أن هناك بدعة حسنة؛ فلا تخلو من حالين:

١- أن لا تكون بدعة، لكن يظنها بدعة.

٢- أن تكون بدعة، فهي سيئة، لكن لا يعلم عن سوئها.

فكل ما ادُعي أنه بدعة حسنة؛ فالجواب عنه بهذا. أهـ. باختصار وتصرف يسير من «مجموع الفتاوى» للشيخ ابن عثيمين -حفظه الله- (٥/ ٢٤٨).

(٢) في المطبوع: «نطق في اللسان، عمل في الأركان». =

ولهذا يقول المنافقون للرسول عليه الصلاة والسلام إذا جاؤوه: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾. ويقول الباري جل ذكره فيهم: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] لماذا؟ لأن هذه الشهادة فُقِدَ منها أعظمُ رُكْنٍ فيها وهو العقيدة، فهم يقولون بألسنتهم ما لا يعتقدونه في قلوبهم.

فمن قال: أشهد أن محمداً رسول الله. ولكن قلبه خالٍ من هذه الشهادة فإنه لم يُحَقِّقْ شهادةَ أن محمداً رسول الله.

ومن اعتقد ذلك ولم يَقُلْه بلسانه فإنه لم يحقِّق شهادة أن محمداً رسول الله.

ومن قال ذلك لكن لم يتبعه في شريعته فإنه لم يحقق شهادة أن محمداً رسول الله. وكيف تخالفه وأنت تعتقد بأنه رسول رب العالمين وأن شريعة الله هو ما جاء به؟!

كيف تقول أنك شهدتَ أن محمداً رسول الله على وجه التحقيق؟! لهذا نعتقد أن كل مَنْ عصى الله ورسولَه فإنه لم يحقق شهادة أن محمداً رسول الله.

لَسْتُ أقول: إنه ما يشهد، ولكنه لم يحقق، وقد نقص من تحقيقه إياه بقدر ما حصل منه مِنْ مخالفة[١].

---

(١) فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نحمله شبهة أو شكاً، أو نقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما نوحِّد المُرْسِلَ بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما، توحيد المرسِل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا نحاكم إلى غيره، ولا نرضى بحكم غيره، ولا نوقف تنفيذَ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه، فإن أذنوا له نَفَّذه وقبل خبره، وإلاّ فإن طلب السلامة فوضه إليهم وأعرض عن أمره وخبره، وإلاَّ حرَّفه عن مواضعه، وسمى تحريفه تأويلاً وحملاً، فقال: نؤوله ونحمله. فلأن يلقى العبدُ ربَّه بكل ذنب -ما خلا الإشراك بالله- خير له من أن يلقاه بهذه الحال.

بل إذا بلغه الحديث الصحيح يعدُّ نفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ، فهل يسوغ له أن يؤخِّر قبوله والعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وكلامه ومذهبه؟! بل كان الفرضُ المبادرة إلى امتثاله =

إذَنْ: طريقةُ أهل السنة والجماعة في حقِّ رسولِ الله عليه الصلاة والسلام الشهادةُ له بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم أنه رسول الله، كذلك -أيضاً- يُحِبُّونَه حب تقدير حبّاً تابعاً لمحبةِ الله عز وجل.

وليسوا يحبونه من باب التعبد له بمحبته؛ لأن الرسولَ عليه الصلاة والسلام يُتَعَبَّدُ لله به -أي بشَرْعِه-، ولكنه لا يُعْبَدُ هو.

فَهُمْ يحبون الرسولَ عليه الصلاة والسلام لأنه رسولُ ربِّ العالمين. ومحبتهم له مِنْ محبة الله تبارك وتعالى، ولولا أن الله أرسل محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي لكان رجلاً من بني هاشم لا يَسْتحق هذه المرتبةَ التي استحقها بالرسالة.

إذَنْ: نحن نحبه ونعظمه لأننا نُحِبُّ الله ونُعظِّمه، فمن أَجْل أنه رسول الله وأن الله تبارك وتعالى هَدَى به الأمةَ، حينئذٍ نحبه.

فالرسول عليه الصلاة والسلام عند أهلِ السنةِ والجماعةِ محبوب، لأنه رسولُ ربِّ العالمين، ولا شك أنه أحق الناس، بل أحق الخلق وأَجْدَرُهم بتحمُّل هذه الرسالة العظيمة عليه الصلاة والسلام.

كذلك -أيضاً- يعظِّمون الرسولَ عليه الصلاة والسلام حقَّ التعظيم وَيَرَوْنَ أنه أعظم الناس قدراً عند الله عز وجل.

لكن مع ذلك لا يُنْزِلُونَهُ فوق منزلتِهِ التي أَنزلَهُ الله، يقولون: إنه عبد الله، بل هو أَعْبَدُ الناس لله عز وجل حتى إنه يقوم حتى تَتَوَرَّمَ قدماه، فيقال: كيف ذلك وقد غَفَرَ لك الله

= من غير التفات إلى سواه، ولا يستشكل قوله لمخالفته رأي فلان، بل يستشكل الآراءَ لقوله، ولا يعارض نصَّه بقياس، بل نهدر الأقيسة ونتلقى نصوصه، ولا نحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولاً! نعم، هو مجهول، وعن الصواب معزول! ولا يوقف قبلول قوله على موافقة فلان دون فلان، كائناً مَنْ كان. أهـ من «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- (ص: ٢١٧-٢١٨).

ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: «**أَفَلاَ أَحِبُّ أَنْ أكونَ عبداً شكوراً**»(١).

من يحقق العبادة كتحقيق الرسول عليه الصلاة والسلام؟! ولهذا قال: «**إِنِّي والله أَخْشَاكُمْ لله وأَعْلَمُكُمْ بما أتقي**»(٢). فهو بلا شك أعظم العابدين عبادة وأشدهم تحقيقاً لها ﷺ، ولهذا حين تحدَّث عن البصلِ والكراثِ قال المسلمون: حرمت. فقال: «**أَيُّهَا الناسُ! إنه ليسَ لي تَحْرِيمُ مَا أَحَل الله**»(٣).

---

(١) **مُتَّفَقٌ عَلَيْه.**

رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ الليل، رقم: ١١٣٠)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، رقم: ٢٨١٩) عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان النبي ﷺ يقوم مِنَ اللَّيلِ حتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَماهُ، فقلتُ له: لِمَ تَصنَعُ هذا يا رسول الله وقد غُفِرَ لك ما تقدمَ من ذنبك وما تأخر؟! قال: «**أَفَلا أكونُ عبداً شَكوراً؟!**».

وأخرجاه -أيضاً- من حديث المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه- بنحوه.

(٢) **مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.**

رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم: ٥٠٦٣)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد المؤنة، رقم: ١٤٠١) من حديث أنس -رضي الله عنه-، وهاك نصُّه:

«جاءُ ثلاثةُ رهطٍ إلى بيوتِ أزواجِ النَّبيِّ ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلمَّا أُخْبروا كأنهم تقالُّوها، وقالوا: وأين نحن مِنَ النَّبيِّ ﷺ؟! قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأُصلي الليلَ أبداً. وقال آخر: وأنا أصومُ الدهرَ ولا أُفطر. وقال الآخر: وأنا أعتزلُ النساءَ فلا أَتزوجُ أبداً. فجاء رسولُ الله ﷺ إليهم، فقال: «**أنتم الذين قُلْتُم كذا وكذا؟! أما والله! إنِّي لأَخْشَاكُم لله وأَتْقَاكُمْ له، لكنِّي أصومُ وأفطرُ، وأصلي وأَرْقُدُ، وأتزوجُ النساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عن سُنتي فليس مِنِّي**».

فائدة: قال الحافظ العسقلاني في «فتح الباري» (٩/ ١٠٥) في قوله ﷺ: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»: «المراد بالسنة: الطريقة، لا التي تقابل الفرض. والمراد: من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية؛ فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفوا بما التزموه. وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة؛ فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل».

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» (كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها، رقم: ٥٦٥) من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-. =

انظروا إلى هذا الأدب مع الله عز وجل! هكذا العبودية، ولهذا هم يقولون: إن رسول الله ﷺ، عَبْدٌ من عباد الله، وهو أكمل الناس في عبوديته لله.

ويؤمنون -أيضاً- بأن الرسول ﷺ لا يَعْلَمُ الغيبَ إلا ما أَطْلَعَهُ الله عليه، لا يملكُ لنفسه ضرّاً ولا نفعاً ولا لغيره. والله تعالى قد أمره أن يُبَلِّغَ ذلك إلى الأمة فقال: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وما هي وظيفته؟ ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأحقاف: ٩]. ومَنْ زَعم أن الرسولَ عليه الصلاة والسلام يَعْلم شيئاً من الغيب غير ما أَطْلَعَهُ الله عليه فهو كافرٌ بالله ورسوله؛ لأنه مكذبٌ لله ورسوله.

فإن الرسول أمر أن يقول -وقال[1]- قولاً يُتْلَى إلى يوم القيامة قوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠][2].

---

(١) في «الأصل»: «أن يقول وقال: قال»، ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) وهنا فتوى للجنة الدائمة ضمن مجموع «فتاوى إسلامية» (١/ ١٣٤-١٣٥/ جمع المسند) رداً على سؤال ملخصه: هل النبي ﷺ يعلم الغيب؟، فرأيت من تمام الفائدة نقله هنا، وإليك نصها:

«الأصل في الأمور الغيبية اختصاصُ الله بعلمها؛ قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

لكن الله تعالى يُطلع من ارتضى من رسله على شيء من الغيب؛ قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩]. وثبت في حديث طويل من طريق أم العلا أنها قالت: لما توفي عثمان بن مظعون أدرجناه في أثوابه، فدخل علينا رسول الله ﷺ، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، شهادتي عليك: لقد أكرمك الله عز وجل، فقال رسول الله ﷺ، «وما يُدريكِ أن الله أكرمه؟» فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي! فقال رسول الله ﷺ: «أما هو فقد جاءه اليقين من ربِّه، وإني لأرجوا له الخير، والله! ما أدري -وأنا رسول الله- ما يفعل بي». فقلت: والله! لا أزكي بعده أحداً أبداً». =

وبمناسبة هذه الآية الكريمة أَوَدُّ أن أقولَ: إن القرآن الكريم أحياناً تُصَدَّرُ الأخبارُ فيه بكلمة ﴿قُلْ﴾ وكلُّ شيءٍ صُدِّرَ بهذه الكلمة معناه: أن الله سبحانه وتعالى اعْتَنى بهِ عنايةً خاصةً؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام، قد أُمِرَ أن يقولَ كلَّ القرآنِ؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] لكن هذا الذي خُصَّ بكلمة ﴿قل﴾ فيه عنايةٌ خاصةٌ استحقَّ أن يُصَدَّرَ بالأمر بالتبليغ على وجه الخصوص، مثل هذه الآية ومثلها في الأحكام: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] والأمثلةُ كثيرةٌ في القرآن.

إذن: الرسول عليه الصلاة والسلام لايعلم الغيبَ إلاَّ ما أَطْلَعه الله، ولا يَمْلِكُ لنفسه ضرّاً ولا نفعاً، بل ولا لغيره أيضاً؛ ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١] ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢] لو أراد الله بي شيئاً ما أجارني أحدٌ منه ولن أجدَ من دونه مُلْتحداً.

ويعتقدون أن الرسول عليه الصلاة والسلام بَشَرٌ ليس له من شئون الربوبية شيء، ولا يعلم الغيبَ إلا ما أطلعه [الله] عليه، حتى إنه عليه الصلاة والسلام يُسْأل أحياناً عن شيءٍ من الأحكام الشرعية، فيتوقف حتى يأتيه الوحي، حتى إنه أحياناً يُصْدِرُ القولَ، فيأتيه الاستثناءُ أو الاستدراكُ من عند الله عز وجل؛ فقد سُئلَ عليه الصلاة والسلام عن الشهادة: هل تُكَفِّرُ كلَّ شيء؟ فقال: «**نعم**». ثم قال: «**أينَ السَّائلُ؟**» فقال: «**إلاَّ الدَّيْنَ؛ أَخْبرني بذلكَ جبريلُ آنفاً**»(١). أحياناً يجْتَهِدُ عليه الصلاة والسلام ولكن

= رواه أحمد والبخاري في كتاب الجنائز من «صحيحه»، وفي رواية له: «**ما أدري -وأنا رسول الله ما يفعل بهِ**». وقد ثبت في أحاديث كثيرة أن النبي ﷺ قد أعلمه الله بعواقب بعض أصحابه فبشرهم بالجنة. وفي حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه، عند البخاري ومسلم-: أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»، ثم لم يزد على أن أخبره بأماراتها.

فدل على أنه علم من الغيب ما أعلمه الله به دون ما سواه من الغيبيات، وأخبره عند الحاجة». أهـ.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كُفِّرتْ خطاياه إلا الدَّين، رقم ١٨٨٥) من حديث أبي قتادة - رضي الله عنه-، و نصُّ جواب النبي ﷺ: «**نعم، وأنتَ صابرٌ محتسِبٌ، مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ**»، ثم قال: «. . . **إلا الدَّينْ، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك**».

يأتيه الْوَحْيُ من الله عز وجل بأن الخيرَ في كذا وكذا خلافَ ما اجتهد فيه ﷺ[١].

إذن: الرسول عليه الصلاة والسلام عبد عابد لله عز وجل وليس له من شئون الربوبية شيء، هذا هو قول أهل السنة والجماعة في رسول الله ﷺ.

يعتقد أهل السنة والجماعة أيضاً: أن رسول الله ﷺ بَشَرٌ تَجُوزُ عليه كُلُّ الخصائص البشريةِ والجسديةِ: فينامُ، ويأكلُ، ويَشربُ، ويَمرضُ، ويَتألَّمُ، ويَحْزَنُ، ويَرضىَ، ويَغضب -عليه الصلاة والسلام-، ويَموتُ كما يموتُ الناسُ؛ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٤٤]. ولا ريب أن رسول الله ﷺ، قد مات مَيْتَةً جسديَّةً فارقَتْ رُوحُه جَسَده فيها، وقامَ أهلُه وأصحابُه بما يقومون به في غيره من شئون الموتى، سوى أنه عليه الصلاة والسلام لم يُجَرَّدْ عند تغسيله، والمعروف أنه لم يُصَلّ عليه جَمَاعة، إنما كان الناس يُصلُّون عليه أفراداً؛ لأنه الإمام عليه الصلاة والسلام.

ومن زَعَمَ أنه حيٌّ في قبره حياةً جسديةً لا حياةً برزخيةً وأنه يصلي ويصومُ ويحجُّ وأنه يعلمُ ما تقوله الأمةُ وتفعله فإنه قد قال قولاً بلا عِلْمٍ[٢].

---

(١) كما وقع في قصة أسارى بدر، ونزول قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]، والقصة بطولها في «صحيح مسلم» (كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، رقم: ٦٧٦٣)، وانظر مقدمتي لـ «شرح الحديث القدسي يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي» لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

(٢) وكَذَبَ في قوله؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى توفَّى نبيَّه ﷺ. ولإجماع الصحابة وغيرهم على أنه ﷺ قد مات، فقد غسَّلوه وصلوا عليه ودفنوه، وجاءت فاطمة بنت رسول الله تطلب إرثها من أبيها ﷺ لاعتقادها موته، ولم يخالفها في ذلك أحد من الصحابة -رضي الله عنهم-، وقد أجابها أبو بكر -رضي الله عنه- بأن الأنبياء لا يورِّثون. ولأن الصحابة -رضي الله عنهم- قد اجتمعوا لاختيار خليفة للمسليمن يخلفه، =

فالرسول عليه الصلاة والسلام انقطع عمله بموته؛ كما قال هو نفسه: «**إذَا مَاتَ الإنسانُ انقطَعَ عملُه إلاَّ مِنْ ثَلاثٍ؛ صَدَقَةٍ جَارِيةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالحٍ يدعو لَه**»(١).

فعمله الذي يعملُه بنفسه انقطعَ بموته. ولكن ولا شك أن كل علمٍ عَلِمْنَاهُ من شريعةِ الله فإنه بواسطته عليه الصلاة والسلام، وحينئذٍ فيكونُ مُنْتَفعاً مِنْ كل هذه العلوم التي عَلِمْنَاهَا بعد موته ﷺ، وكذلك الأعمالُ الصالحةُ التي نعملُها كانت بدلالته ﷺ، فيكونُ له مِثْلُ أجرِ العاملين.

رابعاً: طريقة أهل السنة والجماعة في حقِّ الصحابة -رضي الله عنهم-:

أهل السنة والجماعة يعرفون للصحابة قَدْرَهُمْ، وأنهم خير القرون بشهادة النبي ﷺ؛ فإنه ﷺ قال -فيما ثبت عنه من حديث عمران بن حُصَيْن-: «**خَيْرُ الناسِ قَرني،**

= وتم ذلك بعقد الخلافة لأبي بكر -رضي الله عنه-، ولو كان ﷺ حيّاً كحياته في دنياهُ. لما فعلوا ذلك، فهو إجماع منهم على موته وأن حياته حياةٌ برزخيةٌ وسطٌ بين حياته في الدنيا وحياته في الآخرة. وأيضاً وقعت الفتن والمشكلات وكثرت في عهد عثمان وعلي -رضي الله عنهما- وقبل ذلك وبعد، فلم يذهبوا إلى قبره لاستشارته أو سؤاله في المخرج من تلك الفتن والمشكلات وطريقة حلها، ولو كان حياً كحياته في دنياه لما أهملوا ذلك، وهم في ضرورة إلى من ينقذهم مما أحاط بهم من البلاء.

فالصواب هو ما عليه أهل السنة والجماعة من أنه ﷺ حي في قبره حياة برزخية تصحح له التنعم في قبره بما أعدَّه الله له من النعيم، جزاءً وفاقاً بما كسب في دنياه، ولم تعد إليه روحه ليعيش حياً كما كان في دنياه، ولم تتصل به وهو في قبره اتصالاً يجعله حياً كحياته يوم القيامة، بل هي حياة برزخية وسط بين حياته في الدنيا وحياته في الآخرة. انظر: «فتاوى إسلامية» (١/ ١٣٢-١٣٣- جمع المسند).

(١) رواه مسلم في «الصحيح» (كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم ١٦٣١) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-. =

ثُمَّ الذين يَلُونَهم، ثُمَّ الذين يَلُونهم، ثم الذين يلونهم»[(١)]. فالصحابةُ خير هذه الأمة بلا شك، ولكنهم على مراتبٍ: بعضُهم أفضلُ مِنْ بعضٍ.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠] وقال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥].

ولكن [مع][(٢)] هذه المراتب وهذه الفضائل يجب أن نعرف أن الواحد فيهم له مرتبة على الإطلاق وله مرتبة خاصة، أي أنه قد يكون أفضل من غيره على سبيل العموم والإطلاق، ويكون في غيره خصلةٌ هو أفضلُ منه فيها. وأهل السنة والجماعة يقولون: **إن أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة، وأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، يرتبونهم في الفضل حسب ترتيبهم في الخلافة، ولكن لا يلزم من كون أبي بكر أفضل الصحابة ألا يتميز أحد من الصحابة عن أبي بكر بمنقبةٍ خاصةٍ.**

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم: ٢٦٥١)، ومسلم في«صحيحه» (كتاب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم ، رقم: ٢٥٣٥).

وقد أثنى الله تعالى على الصحابة، ورضي عنهم، ووعدهم الحسنى، كما قال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا...﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾ [الأنفال: ٧٢]، وقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨-٩] إلى غير ذلك من الآيات. وانظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٥٢٨-فيما بعد).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من المطبوع.

وقد يكون لعلي بن أبي طالب منقبةٌ ليست لأبي بكر، وقد يكون لعمر منقبةٌ ليست لأبي بكر، كذلك قد يكون لعثمان، ولكن الكلام على الفضل المُطْلَق والمرتبة الكُلِّيَّةِ العامة؛ فإن مراتب الصحابة تختلف اختلافاً اتفق عليه أهل السنة والجماعة وهو دلالة القرآن ودلالة السنة أيضاً.

فإن خالدَ بنَ الوليد وعبدَ الرحمن بنَ عوفٍ تنازعا في أمرٍ، فقال النبي ﷺ لخالد: **«لا تَسُبُّوا أصحابي، فَوَالَّذي نَفْسِي بيدِهِ لَوْ أَنفق أحدُكُم مِثْلَ أُحُدٍ ذهباً ما بلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم ولا نَصِيفَه»**[(١)].

كذلك أيضاً أهل السنة والجماعة يقولون: إن بعض الصحابة له مزيةٌ ليست لغيرهم، فيجب أن نُنْزِلَهم في مَنَازِلهم، فإذا كان الصحابي من آل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام كعلي بن بي طالب، وحمزة، والعباس، وابن عباس وغيرهم؛ فإننا نُحِبَّه أكثر من غيره؛ من حيث قُرْبِهِ من الرسول عليه الصلاة والسلام، لا على سبيل الإطلاق. فنعرف له حقه بقرابته من رسول الله ﷺ، ولكنه لا يلزم من ذلك أن نُفَضِّلَهُ على غيره تفضيلاً مطلقاً ممن له قَدَمٌ راسِخٌ في الإسلام أكثر من هذا القريب من الرسول ﷺ؛ لأن المراتب والفضائل هي صفاتٌ يتميز الإنسان بصفةٍ منها لا يتميز بها الآخر.

وأهل السنة والجماعة في آل البيت لا يَغْلُونَ غُلُوَّ الرَّوَافِضِ، ولا يَنْصِبُونَ العَداوةَ لهم نَصْبَ النَّوَاصِبِ. ولكنهم وسطٌ بين طرفين، يعرفون لهم حقَّهم بقرابتهم من الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكنهم لا يتجاوزن بهم منزلتهم[(٢)].

---

(١) **مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.**

رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً، رقم: ٣٦٧٣)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب فضائل الصحابة، باب سب الصحابة -رضي الله عنهم-، رقم: ٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-.

(٢) وأهل السنة والجماعة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها، بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب، فإن ذلك من البغي الذي هو مجاوزة الحد، كما قال تعالى: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: ١٧]، وانظر: «شرح الطحاوية» (ص: ٥٣١-٥٣٣). =

خامساً: طريقة أهل السنة والجماعة في حقِّ الأولياء، والأئمة:

أَئمَّةُ هذه الشريعة الإسلامية ولله الحمد أئمةٌ مشهورون أَثْنَتْ عليهم الأمَّةُ وعَرَفَتْ لهم قَدْرَهُمْ، ولكنها لا تَعْتَقِدُ فيهم العِصْمَةَ، فليس عند أهل السنة والجماعة أحدٌ معصومٌ من الخطأ ولا من الإقرار على الخطأ إلا الرسول عليه الصلاة والسلام؛ فإنه معصومٌ من الإقرار على الخطأ. أما غيره مهما بلغت إمامته فإنه ليس معصوماً أبداً، كل يخطىء وكل يُؤْخَذُ من قوله ويُتْرَكُ إلا رسول الله ﷺ الذي أَمَرَنَا الله تعالى بطاعته على الإطلاق.

فهم يقولون: لا شك أن في هذه الأُمةِ أئمةً، ولا شك أن فيها أولياء، ولكننا لا نريد بذلك أن نُثْبِتَ العصمةَ لأحدٍ من هؤلاءِ الأئمةِ، ولا أن نُثبتَ لأحدٍ من الأولياء أنه يعلمُ الغيبَ أو يتصرف في الكوْن، وهم أيضاً لا يجعلون الولي مَنْ قال عن نفسه أنه ولي، أو أتى بالدعايات الباطلة لأجل أن يَجْلِبَ الناسَ إليه، يقولون: إن الولي بَيَّنَه الله تعالى بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] هؤلاء الأولياء: الذين آمنوا، وكانوا يتقون. فالإيمان: العقيدة. والتقوى: العمل قولاً كان أوفعلاً. وأَخَذَ شيخُ الإسلام من هذه الآية عبارةً طيبةً وهي قوله: «مَنْ كان مؤمناً تقيّاً كانَ لله وَلِيّاً»[1]. هذا الوليُّ حقيقةً، لا الوليّ الذي يجلبُ الناسَ إليه، ويجمع الحاشيةَ ويقول: أنا أفعل، ويستعين بالشياطين على معرفة الخفي، ثم يبهر الناسَ بما يقول، فيقولون: هذا ولي. لا؛ لأن الولاية تكون باتِّباع الرسول عليه الصلاة والسلام، وبإيمانه وتقواه. فإن كان مؤمناً تقياً فهو ولي.

ولكن هؤلاء الأولياء أيضاً لا يَلْزَم في كل ولي أن يجعلَ الله له كرامةً! فما أكثر الأولياء الذين لا كرامةَ لهم؛ لأن الكرامة في الغالب لا تأتي إلا لنصر حق أو دفع باطل، لا لتثبيت شخص بعينه، فلا يلزم -إذن- أن يكون لكل ولي كرامةٌ. قد يَحْيَى الوليُّ

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٩٠) له -رحمه الله-، و«تفسير العلامة السّعدي» -رحمه الله- (ص: ٣٥٢، ٥٨٧).

ويموتُ وليس له كرامةٌ، وقد يكون له كراماتٌ متعددةٌ [١]، وهذه الكراماتُ قال أهل العلم: كل كرامةٍ لوليٍّ فإنها آيةٌ للنبي الذي اتبعه. ولا أقول: «مُعْجِزَةٌ»؛ لأن الأوْلى أن تُسمَّى آيةٌ؛ لأن هذا التعبير القرآني، والآية أَبْلَغُ من المعجزة؛ لأن الآية معناها: العَلَامةُ على صِدْق ما جاء به هذا الرسول، والمعجزةُ قد تكون على يد مُشَعْوِذٍ أو على يد إنسانٍ قويٍّ يفعل ما يعْجز عنه غيره، لكن التعبير بـ «الآية» أبلغُ وأدقُّ وهي التعبير القرآني، فنسمِّي المعجزاتِ بالآياتِ، هذا هو الصواب.

يوجد أناسٌ حسب ما نَسمع في هذه الأمة يَدَّعُون أنهم أولياء! ولكن مَنْ تأمَّل حالَهم وجد أنهم بعيدون عن الولاية، وأنه لا حَظَّ لهم فيها! لكن لهم شياطين يُعينونهم على ما يُرِيدون فيخدعون بذلك البُسَطَاءَ مِنَ الناس.

سادساً: طريقة أهل السنة والجماعة في إصلاح المجتمع:

يَرى أهل السنة والجماعة أن المجتمع الإسلامي لا يَكْمُلُ صلاحُه إلا إذا تمشَّى مع ما شَرَعَه الله سبحانه وتعالى له، ولهذا يَرَوْنَ الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر، والمعروف: كل ما عرفه الشرع وأقره، والمنكر: كل ما أنكره الشرع وحرمه. فهم يَرَوْن

(١) وعلى كل حال، فينبغي على العبد أن يكون طالباً للاستقامة، لا طالباً للكرامة؛ كما قال أبو علي الجوزجاني. ولا يتطلع إلىٰ ما أتاه الله غيره من الكرامات وخوارق العادات، فينكسر قلبه، ويتهم نفسه في صحة عمله، وتضعف عبادته؛ فإن ما يبتلي الله به عبده من السر بخرق العادة أو بغيرها أو بالضراء فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه، بل قد سعد بها قوم إذا أطاعوه، وشقي بها قوم إذا عصوه؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٥-١٧]؛ فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات، ولم يسخر له شيء من الكونيات؛ لا ينقص ذلك من مرتبته عند الله، بل قد يكون ذلك أنفع له.

فعلى العبد أن يكون طالباً للاستقامة، لا طالباً للكرامة، وليكن -ما استطاع- مؤمناً تقياً؛ فهذا هو ميزان الولاية، لا خرق العادات وحصول الكرامات، والله الموفق.

وانظر كلام شارح «الطحاوية» (ص: ٥٥٩-٥٦٢).

أن المجتمع الإسلامي لا يَصلُح إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]؛ لأننا لو فقدنا هذا المَقوِّمَ لحصل التفرق، كما يشير إليه قول الله عز وجل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

وهذا المقوم وللأسف في هذا الوقت ضاع أو كاد؛ لأنك لا تجد شخصاً يأمر بالمعروف وينْهى عن المنكر حتى في المحيطِ القليلِ المحصورِ إلا ما نَدَر. وإذا تُرِكَ الناسُ هكذا، كلُّ إنسان يعمل ما يريد؛ تَفَرَّقَ الناسُ. ولكن إذا تآمروا بالمعروف وتَناهَوْا عن المنكر؛ صاروا أُمَّةً واحدةً.

ولكن لا يَلزم إذا رأيتَ أمراً معروفاً أن يكون عند غيرك! إلا في شيء لا مجال للاجتهاد فيه[٢]؛ إنما ما للاجتهاد فيه مجال فقد أَرى أن هذا من المعروف ويرى الآخرُ أنه ليس منه. وحينئذٍ يكون المرجع في ذلك كتابَ الله وسنةَ رسولِهِ ﷺ؛ ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ﴾ [النساء: ٥٩] ولكن طريقة أهل السنة والجماعة في هذا الباب العظيم الذي فضلت فيه هذه الأمة على غيرها أنهم يَرَوْنَ الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر من مَقَوِّمات المجتمع الإسلامي، ولكنه يحتاج إلى أمور:

---

(١) قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في «مدارج السالكين» (٣/ ١٢٣):

«ومن تأمل الرسل مع أممهم وجدهم كانوا قائمين بالإنكار عليهم أشد قيام، حتى لقوا الله تعالى، وأوصوا من آمن بهم بالإنكار على من خالفهم، وأخبر النبي ﷺ أن المتخلِّص من مقامات الإنكار الثلاثة ليس معه من الإيمان حبة خردل، وبالغ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أشد المبالغة حتى قال: «**إن الناسَ إذا تركوه أَوْشَكَ أن يَعُمَّهُم الله بعقابٍ من عنده**» [رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة. وهو في «الصحيحة» (رقم: ١٥٦٤)]. وأخبر أن تركه يمنع إجابة دعاء الأخيار، ويوجب تسلُّط الأشرار. وأخبر أن تركه يوقع المخالفة بين القلوب والوجوه، ويُحلُّ لعنة الله كما لعن الله بني إسرائيل على تركه».

(٢) **هذا كلام قويٌّ متينٌ، من إمام نحرير، ينبغي التنبه له، فعُضَّ عليه بالنواجذ**، وانتبه لما سيذكره الشيخ -حفظه الله- بعد قليل.

أولاً: أن يكون الإنسان عالماً بالحكم بحيث يعرف أن هذا معروفٌ وأن هذا منكر[١]. أما أن يأتي عن جهلٍ ثم يأمر بشيءٍ يراه معروفاً في ظنه وهو ليس بمعروف فهذا قد يكون ضَرُّه أكبرَ من نَفْعِه! لذلك لو فرضنا شخصاً تربَّى في مجتمع يرون أن هذه البدعة معروفٌ، ثم يأتي إلى مجتمعٍ جديدٍ غيره يجدهم لا يفعلونها، فيقوم ويُنْكِرُ عليهم عدم الفعل ويأمرهم بها، فهذا خطأ! فلا تأمر بشيءٍ إلاَّ حيثُ تَعرف أنه معروفٌ في شريعة الله، ليس بعقيدتك أنت وما نشأتَ عنه! فلا بدَّ من معرفةِ الحكم وأن هذا معروفٌ حتى تأمرَ به وكذلك المنكر.

ثانياً: لا بد أن تعلم أن هذا المعروف لم يُفْعَلْ، وأن هذا المنكر قد فُعِلَ، وكم من إنسانٍ أمر شخصاً بمعروفٍ فإذا هو فاعله، فيكون في هذا الأمر عِبْئاً على غيره! وربما يضع ذلك من قَدْرِهِ بين الناس.

وإذا رأينا هدي النبي ﷺ، وجدنا أن هذه طريقته؛ دخل رَجُلٌ يوم الجمعة والنبيُّ ﷺ يخطبُ، وجلسَ، فقال النبي ﷺ: «**أَصَلَّيْتَ؟**» قال لا. قال: «**فَقُمْ فَصَلِّ ركعتَيْنِ**»[٢].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٩):

«العلم: هو ما بعث الله به رسوله ﷺ، وهو السلطان؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ [غافر: ٥٦]، فمن تكلَّم في الدين بغير ما بعث الله به رسوله ﷺ كان متكلماً بغير علم، ومن تولاه الشيطان فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير».

وقال -رحمه الله- (١٥/ ٣٣٧): «والله سبحانه قد أمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالشيء مسبوق بمعرفته، فمن لا يعلم المعروف لا يمكنه الأمر به، والنهي عن المنكر مسبوق بمعرفته، فمن لا يعلمه لا يمكنه النهي عنه. وقد أوجب الله علينا فعل المعروف وترك المنكر؛ فإن حب الشيء وفعله وبُغض ذلك وتركه لا يكون إلا بعد العلم بهما؛ حتى يصبح القصد إلى فعل المعروف وترك المنكر؛ فإن ذلك مسبوق بعلمه، فمن لم يعلم الشيءَ لم يُتَصَوَّر منه حب له ولا بغض ولا فعل ولا ترك، لكن فعل الشيء والأمر به يقتضي أن يُعْلَم علماً مفصلاً يمكن معه فعله والأمر به إذا أمر به مفصلاً».

(٢) **مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ**:

أخرجه البخاري في «الصحيح» (كتاب الجمعة، باب إذا رأى الإمام رجلاً جاء وهو يخطب أمره =

صلاةُ الركعيتن لداخل المسجد من المعروف ولا شك، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام ما أمره به مباشرة حتى علم أنه لم يفعله. فأنتَ قد تأمر هذا الرجل أن يفعل شيئاً، وإذا هو قد فَعَلَه، فَتُنْسَب[1] إلى التعَجُّلِ وعدم التريُّثِ وتَحُطّ من قَدْرِك، ولكن اسألْ وتحقق، إذا لم يفعل حينئذ تأمر به.

وكذلك أيضاً بالنسبة للمعاصي، فبعضُ الناس قد ينهى شخصاً عما يراه منكراً وليس بمنكر، **مثال ذلك**:

رأيتَ رجلاً يصلِّي الفريضةَ وهو جالس، فنهيتَه بأنْ ليس له حق أن يصلِّي وهو جالسٌ. فهذا غيرُ صحيحٍ! لكن اسأل أولاً: لماذا جلس؛ قد يكون له عذرٌ في جلوسه وأنت لا تعلم! حينئذٍ تكون متسرِّعاً، ويكون ذلك ناقصاً مِن قَدْرِكَ! هذا أمر أيضاً لا بد منه: أن تعرف الحكمَ الشرعيَّ، وأن تعرف الحال التي عليها المأمور والمنهي حتى تكون على بصيرةٍ من أَمْرِكَ.

ثالثاً: أن لا يترتب على فِعْلِ المعروفِ ما هو مُنْكَرٌ أعظمُ مفسدةً من منفعةِ المعروف. فإنْ ترتبَ على فعل المعروف مُنكر هو أشدُّ ضرراً من المنفعة الحاصلة بهذا المعروف فإنَّ دَرْأَ المفاسدِ أوْلى من جَلْبِ المصالح.

وهذه الكلمة المعروفة هي القاعدة التي دل عليها القرآن ليست أيضاً على إطلاقها! أي: أنه ليست كل مفسدةٍ دَرْؤُهَا أوْلى من جلْب مصلحةٍ، بل إذا تكافئت مع المصلحة فَدَرْءُ المفسدة أولى، وإذا كانت أعظم من المصلحة فدرءُ المفسدة أولى، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨] فَسَبُّ آلهةِ المشركين كلٌّ يعلمُ أنه مصلحة وأن فيه خيراً، لكن إذا تضمَّنت هذه المصلحة ما هو أنكر -وأنكر من باب التفاضل الذي ليس في الطرف

= أن يصلي ركعتين. رقم:٩٣٠)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الجمعة، باب التحية، والإمام يخطب، رقم: ٨٧٥) من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-.

(١) في المطبوع: «فتسبب»، ولعل الصواب ما أثبته.

الآخر منه شيء- إذا تضمن مفسدةً عظيمةً فإنها تترك؛ لأننا إذا سَبَبْنَا آلهتهم ونحن نَسُبُّهَا بحقٍّ سَبُّوا الله عَدْوَاً بغير عِلم[١]. فهذه نقطة ينبغي أن نتفطن لها عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما إذا كانت المفسدة تنغمر في جانب المصلحة؛ فإننا نفضل المصلحة ولا يهمنا وهذا عليه شيء كثير من أحكام الله الشرعية والكونية. فمثلاً: هذا المطر الذي يَنزل وفيه مصلحةٌ عامة، لكن فيه ضرراً على إنسان بَنَى سَقْفَهُ الآن وجاء المطر فأفسده لكن هذه المفسدة القليلة مُنْغَمِرَةٌ في جانب المصلحةِ العامة.

وهكذا أيضاً الأحكام الشرعية كالأحكام الكونية وهذا أمر ينبغي التنبه له، وهو أننا قد لا يكون من المصلحة أن ننهى عن هذا المنكر لأنه يتضمن مفسدةً أكبر، ولكننا نتريَّثُ حتى تَتمَّ الأمور[٢].

---

(١) انظر: «إغاثة اللهفان» لابن القيم -رحمه الله- (١/ ٣٦١)، و«إرشاد الفحول» (٢٤٢)، و«مذكرة الشنقيطي» (ص: ١٦٨-١٦٩)، و«أصول الفقه» (ص: ٢٥٨) لأبي زهرة.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «الأمر بالمعروف» (ص: ٢٠-٢١):

«وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد، والحسنات والسيئات، أو تزاحمت؛ فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد فإن الأمر والنهي -إن كان مُتَضَمِّنَاً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة- فينظر في المعارض له:

فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل أكثر؛ لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته...

وإن كان المنكر أغلب؛ نُهي عنه، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمراً بمنكر، وسعياً في معصية الله ورسوله».

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في «الإعلام» (٣/ ٤-٥):

«فإنكار المنكر أربع درجات: الأولى: أن يزول ويخلُفُه ضدُّه. الثانية: أن يقل وإن لم يزُلْ بجملته. الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله. الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة...

=

ولهذا جاءت الشريعةُ الإسلاميةُ بالتدرج في التشريع حتى يَقْبَلَها الناسُ شيئاً فشيئاً، وهكذا المنكرُ لا بدَّ أن نأخذَ الناسَ فيه بالمعالجة حتى يَتِمَّ الأمرُ.

وهذه هي الأمور الثلاثة:

١- العلمُ بالحكمِ.

٢- العلمُ بالحالِ.

٣- أن لا يترتبَ على فِعْلِ المعروفِ مُنْكَرٌ أعظمُ مفسدةً.

سابعاً: قول أهل السنة والجماعة في الإيمان:

الإيمان حقيقته عند أهل السنة والجماعة هو: «اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح»(١). ويستدلُّون لقولهم هذا بقول النبي ﷺ: «**إن الإيمانَ بِضْعٌ وسبعونَ شعبةً، أعلاَها: قول (لا إله إلا الله)، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق. والحياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمان**»(٢). فالقولُ: قول اللسان (لاإله إلا الله)، وعمل الجوارح وعمل القلب:

= وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه، ونور ضريحه- يقول: «مررتُ أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه! وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسَبْي الذرية وأخذ الأموال، فَدَعْهُمْ».

(١) ولشيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله- مصنف في ذلك ضمن «مجموع الفتاوى»، ومطبوع مستقلاً بتحقيق شيخنا الألباني -حفظه الله-، فلينظر؛ فإنه هام في بابه. وانظر -أيضاً-: «شرح الطحاوية» لابن أبي العز (ص: ٣٧٣)، و«فتح الباري» لابن حجر (١/ ٦٢).

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم: ٩)، ومسلم في«صحيحه» (كتاب الإيمان، بيان عدد شعب الإيمان، رقم: ٣٥)- واللفظ له-؛ ولفظ البخاري: «بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان».

ورجَّحَ شيخُنَا الألباني -حفظه الله- في«السلسلة الصحيحة» (رقم: ١٧٦٩) في بحث نفيس له لفظ «بضع وسبعون» على لفظ «بضع وستون»، فراجعه إن شئت. =

(الحياء) (وإماطة الأذى عن الطريق). أما عقيدةُ القَلْب فقوله ﷺ: «**الإيمانُ أن تُؤْمِنَ بالله وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسلِهِ، واليوم الآخرِ، والقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ**»(١).

وهم أيضاً يقولون: إن الإيمان يزيدُ ويَنقصُ، فالقرآن قد دلَّ على زيادته، والضرورةُ العقليةُ تقتضي أن كل ما ثبت أنه يزيد فهو يَنقصُ؛ إذ لا تُعقل الزيادة بدون نقص؛ ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤] ولا شك في ذلك، ومتى قلنا: إن الإيمان قول وعمل؛ فإنه لا شك أن الأقوال تختلف؛ فليس من قال: «سبحان الله والحمد لله، والله أكبر» مرةً كَمَنْ قالها أكثر! وكذلك أيضاً نقول: إن الإيمان الذي هو عقيدة القلب يختلفُ قوةً وضعفاً. وقد قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]؛ فإنه **لَيْسَ الْخَبَرُ كالْمُعَايَنَةِ** والمشاهدة(٢).

= وانظر في شرح الحديث: «صحيح ابن حبان» (١/ ٣٨٧-٣٨٩)، و«فتح الباري» لابن حجر (١/ ٥٢-٥٣).

(١) رواه مسلم في«صحيحه» (كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٨) من حديث عمر -رضي الله عنه-.

(٢) هذا جزء من حَدِيثٍ صَحِيحٍ.

أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢١٥، ٢٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (رقم: ٨٩٩٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم: ١٢٤٥١)، وفي «المعجم الأوسط» (رقم: ٢٥)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٥٩٦)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (رقم: ٥)، وابن حبان في «صحيحه» (رقم: ٦٢١٣، ٦٦١٤)، وعبد بن حميد، وابن مردويه -كما في «الدرالمنثور» (٣/ ٥٦٤)-، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢١، ٣٨٠)، والبزار في «مسنده» (رقم: ٢٠٠)، والخطيب في«تاريخ بغداد» (٦/ ٥٦)، وغيرهم من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً: «**ليس الخبر كالمعاينة**».

قال الحاكم: «حديث صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

وفي الباب عن أنس، وأبي هريرة -رضي الله عنها-.

رَجُلٌ أُخْبِرَ بخبر، أَخْبرَه رجلٌ واحدٌ؛ حَصَلَ عنده شيءٌ من هذا الخبر، فإذا جاء ثانٍ، ازدادَ قوةً فيه، وإذا جاءه الثالث؛ ازدادَ قوةً. وهَلُمَّ.

وعليه نقول: الإيمان يزيدُ وَينقصُ حتى في عقيدة القلب. وهذا أمر يَعْلَمُه كلُّ إنسانٍ من نَفْسِه، وأما مَن أَنكرَ زيادتَهُ ونقصانَه فإنه مخالفٌ للشرع والواقع. فهو يزيد وينقص[1].

وبهذا تَمَّ ما أردنا الكلام عليه، والله الموفق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

---

(١) والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جداً.

أما من الكتاب؛ فمنها: قوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وقوله: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقوله: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٥].

وأما الأحاديث؛ فكثيرة، منها على سبيل الإجمال: حديث شعب الإيمان السابق قبل قليل، ومنها: حديث الشفاعة وأنه «**يخرج من النار من في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان**».

وأما الآثار السلفية؛ فكثيرة -أيضاً-، منها: قول عمر -رضي الله عنه- لأصحابه: «هلموا نزدد إيمانا»، فيذكرون الله تعالى. ومنها: قول ابن مسعود -رضي الله عنه-: «اللهم! زدنا إيماناً، ويقيناً، وفقهاً». ومنها: قول ابن عباس وأبي هريرة وأبي الدرداء -رضي الله عنهم-: «الإيمان يزيد وينقص».

لذلك قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ثم تلا: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]. وقال الإمام أحمد -رحمه الله-: «الإيمان يزيد وينقص، فزيادته بالعمل، ونقصانه بترك العمل».

وانظر هذا المبحث بتوسع في كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«شرح الطحاوية» (ص: ٣٨٤- فما بعد)، و«فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١/ ٦٢).

أسماءُ الله وصفاتُه ومَوْقِفُ أهلِ السُّنَّةِ منها

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا. مَنْ يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلَّغ الرسالةَ، وأدَّى الأمانةَ، ونصح الأمةَ، وجاهد في الله حق جهاده، بلسانه، ويده، وماله، حتى أتاه اليقين. فصلواتُ الله وسلامهُ عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها الأخوة الحاضرون! فإني أُذَكِّركم ونفسي بما أنعم الله به على هذه البلاد من نعمة الإسلام قديماً وحديثاً، هذه البلاد التي كانت محل الرسالة، رسالة محمد ﷺ خاتم النبيين، الذي بُعِثَ إلى الناس كافة، بل إلى الجن والإنس.

هذه البلادُ التي كما بَدَأَ منها الإسلامُ فإليها يعود؛ كما ثَبَتَ به الحديث عن النبي ﷺ حيثُ قال: «**إنَّ الإيمَانَ لَيَأْرِزُ إلى المدينةِ كما تَأْرِزُ الحيَّةُ إلى جُحْرِهَا**»(١).

---

(١) **مُتَّفَقٌ عَلَيْه**.

رواه البخاري في «صحيحه» (كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة، رقم: ١٨٧٦)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يأرز بين المسجدين، رقم: ١٤٧) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

وفي الباب عن ابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن عوف -رضي الله عنهم-، وغيرهم.

وقوله ﷺ: «ليأرز» أي: ينضم ويجتمع. وقوله: «كما تأرز الحية إلى جحرها» أي: أنها تنتشر من =

هذه البلاد التي لا أعلم -والله شاهدٌ على ما في قلبي، لا أعلم- بلاداً إسلامية في عصرنا أقوى منها تمسكاً بدينِ الله، لا بالنسبة لِشَعْبِهَا ولكن بالنسبة لشعبها ومن ولاّهُ الله أَمْرَهَا. وهذه النعمةُ الكبيرة أيها الأخوة إذا لم نشكرْهَا فإنها كغيرها من النعم توشك أن تزول! يوشك أن يحل بدل الإيمان الكفر، وبدل الإسلام الاستكبار! إذا لم نُقَيِّدْ هذه النعمة بالمحافظة عليها وحمايتها والمدافعة دونها.

أيها الأخوة. .إن هذه البلاد بما أنعم الله به عليها من هذه النعمة العظيمة، وهي نعمة الإسلام أولاً وأخيراً كانت مركزاً لتوجيه الضربات عليها من أجل صَدِّ أهلها عن دينهم، ليس في الأخلاق فحسب ولكن في الأخلاق والعقائد،ولذلك كان لزاماً على شبابها -وأَخُصُّ الشبابَ لأسباب ثلاثة: لأنهم رجال المستقبل، ولأنهم أقوى عزيمةً وأشد حزماً ممن بردت أنفسهم بالشيخوخة، ولأنهم الذين تُرَكِّزُ عليهم هذه الضربات.

إنني أوجه إلى الشباب -أن يَحْمُوا بلادَهم من كَيْدِ أعداءِهم؛ فإن أعداءهم يوجهون الضربات تلو الضربات ليقضوا على هذه المِنَّةِ العظميةِ التي منّ الله بها علينا، أَلاَ وهي دين الإسلام.

أيّها الشباب: استعينوا بالله سبحانه وتعالى بما عَلَّمَكُم من شريعته، ثم بحكمة الشيوخ ذوي الثقة والأمانة والعلم والبرهان، فاستعينوا بذلك على حماية بلادكم مِنْ كَيْد أعدائها، واعلموا أن الدنيا تبع للدين، وأنها لن تتم النعمة، ولن تتم الحياة الدنيا، ولن تكون حياةً طيبةً إلا بالإيمان والعمل الصالح؛ كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

= جحرها في طلب ما تعيش به، فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها، كذلك الإيمان انتشر في المدينة، وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبته في النبي ﷺ، فيشمل ذلك جميع الأزمنة؛ لأنه في زمن النبي ﷺ للتعلم منه، وفي زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم للاقتداء بهم، ومن بعد ذلك للصلاة في مسجده ﷺ وغير ذلك. وانظر: «فتح الباري» لابن حجر (٤/ ١١٢).

أيها الأخوة: إن المشكلاتِ في عصرنا هذا كثيرةٌ وإني اخْتَرْتُ الكلامَ في:

أسماء الله وصفاته ومَوْقِف أهل السُّنَّةِ منها:

ولعل الكثير منكم يقول: لماذا اخترت هذا الموضوع بالذات، ألسنا كلنا وبالأخص أهل هذه الجزيرة، ألسنا كلنا نؤمن بأسماء الله وصفاته على ما يَلِيقُ به ولا نَتَعَرَّضُ لها بتحريفٍ ولا تعطيلٍ؟! أليست العجوز منا والشيخ والصغير والذكر والأنثى كُلٌّ على حَدٍّ سَواءٍ لا يَجُولُ في أفكارهم شيءٌ من التحريف أو الانحراف في أسماء الله وصفاته! فلماذا اخترتَ هذا الموضوع بالذات؟

وإن جوابي على هذا أن أقول: **إنني اخترتُ هذا الموضوع لأمريْن هامَّيْن:**

أحدهما: أهمية هذا الموضوع؛ فإن هذا الموضوع ليس كما يظن بعض الناس -ولا أعني ببعض الناس عامتهم، بل حتى بعض طلبة العلم، يظنون- أن البحث في هذا الباب -في باب أسماء الله وصفاته- ليس بذي قيمةٍ تُذْكَر!! والحقيقة أن هذا الفكر فِكْرٌ خاطئٌ؛ لأن معرفة الله تعالى بأسمائه -وتوحيده بذلك- وصفاته هو أحد أقسام التوحيد الثلاثة:

فقد قَسَّمَ أهلُ العلمِ التوحيدَ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

أحدها: توحيد الربوبية.

والثاني: توحيد الألوهية.

والثالث: توحيد الأسماء والصفات.

إِذَنْ: فهو عنصر هام في باب التوحيد يجب علينا أن نعرفه، كما أنه أيضاً- أعني معرفة الأسماء والصفات- هو أحد أركان الإيمان بالله؛ **فإن الإيمان بالله لا يَتِمُّ إلا بأربعةِ أمورٍ:**

أحدها: الإيمان بوجوده تعالى.

والثاني: الإيمان بربوبيته، وعموم مُلْكِه، وقوة سلطانه.

والثالث: الإيمان بألوهيته، وأنه وحده المستحق للعبادة، وأن ما سواه فعبادته باطلة.

أما الأمر الرابع -من أركان الإيمان بالله التي لا يمكن أن يتم الإيمان بالله إلا بها وهو موضوع محاضرتنا هذه، -فهو الإيمان بأسماء الله وصفاته.

إنني لا أتصور أن أحداً يمكن أن يعبد ربّاً لا يَعرفُ أسماءَهُ وصفاتِهِ! وكيف يكون ذلك وهو يَمُدُّ يديْه له: يا رب، يا رب! إذا كان لا يَعلمُ أن له صفاتٍ وأسماءً يُدْعَى بها فكيف يَتَّخِذه إلهاً قادراً ملجئاً ومعاذاً ونصيراً؟! ولهذا قال إبراهيم الخليل لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢].

فمعرفة أسماء الله وصفاته أَمْرٌ مهمٌّ في دين الله ولا بد أن يعرفه الإنسان ويحَققه.

أما السبب الثاني لاختياري هذا الموضوع: فهو كثرة الكلام فيه بالباطل في الأوِنَةِ الأخيرةِ، كنا في وَقْتِ الطَّلَبِ نقرؤه زمناً ومكاناً، ولكننا وجدناه الآن فيما بَيْنَنا في الصحف المقروءة، وكذلك في الكتب المقررة في بعض جهات التعليم!!

إذن: لا بد أن نعرفَ موقفَ أهل السنةِ والجماعةِ لأسماء الله وصفاتِهِ، حتى نكونَ يَقِظِينَ حَذِرِينَ، وعَالِمين بما نحكم به فيما ينشر أو فيما يُقَرَّر.

فالكلام في أسماءِ الله وصفاتِهِ في الآونةِ الأخيرة كثر اللَّغَطُ فيه، وكَثُرَ القولُ فيه بالحقِّ تارةً، وبالباطل تاراتٍ، ولهذا لا بد أن نُحقِّق هذا الأمر تحقيقاً بالغاً حتى لا تجرف بنا الأهواءُ أو الأفكارُ التي على خطإٍ وليست على صواب في هذا الأمر.

وإنني أُلَخِّصُ الكلامَ في العناصر التالية:

العُنْصُر الأول: في موقف أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات.

العنصر الثاني: في نصوص الأسماء والصفات.

العنصر الثالث: في العُدُول عن هذا الموقف.

العنصر الرابع: في أن التطرف في التنزيه يستلزم إبطالَ الدِّينِ كلِّه.

العنصر الخامس: في أن بعض أهل التحريف والتعطيل اعْتَدُوا على أهل السنة فَرَمُوهُمْ بالتشبيه والتمثيل والتجسيم!

العنصر السادس: في أن أهل التحريف والتعطيل ادَّعُوا على أهل السنة أنهم أَوَّلُوا بعضَ النصوص لِيُلْزِمُوا أهلَ السنةِ بالتأويل في بقيةِ النصوصِ أو بالمداهَنَةِ[1].

العُنْصُرُ الأوَّل: مَوْقفُ أهلِ السنةِ من[2] أسماءِ الله تباركَ وتعالى:

أسماءُ الله تعالى: كلُّ ما سَمَّى به نفسَه في كتابه، أو سَمَّاه به أَعْلَمُ الخلقِ به رسوله محمد ﷺ.

وموقف أهل السنة من هذه الأسماء: **أنهم يؤمنون بها على أنها أسماءٌ لله تَسَمَّى بها عز وجل، وأنها أسماءٌ حُسْنى ليس فيها نقصٌ بوجه من الوجوه**؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا[3] كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فَهُمْ يُثْبِتُون الأسماءَ على أنها أسماء الله، ويُثبتون أيضاً ما تَضَمَّنَتْهُ هذه الأسماءُ من الصفاتِ.

فمثلاً: من أسماء الله: «العليم» فَيُثْبِتُون العليم اسماً لله سبحانه وتعالى، ويقولون: يا عليم. فَيُثْبتون أنه يُسَمَّى بالعليم، ويثبتون بأن العِلمَ صفةٌ له؛ دلَّ عليها اسمُ العليم، فالعليم اسمٌ مُشْتَقٌّ من العلم، وكل اسمٍ مشتق من معنىً فلا بد أن يتضمَّن ذلك المعنى الذي اشْتُقَّ منه، وهذا أمر معلومٌ في العربية واللغات جميعاً.

---

(١) بعدها في الأصل زيادة «وفي إبطال هٰذه الدعوى»!

(٢) في الأصل: «في».

(٣) في المطبوع: «بما»!

ويثبتون كذلك ما دلّ عليه الاسم من الأَثَرِ إن كان الاسم مشتقّاً من مَصْدَرٍ مُتَعَدٍّ.

فمثلاً: «الرحيم» من أسماء الله، يؤمنون بالرحيم على أنه اسم من أسمائه، ويؤمنون بما تَضَمَّنه من صفةِ الرحمة، وأن الرحمة صفة حقيقية ثابتة لله دلّ عليها اسم الرحيم، وليست إرادة الإحسان، ولا الإحسان نفسه، وإنما إرادة الإحسان والإحسان نفسه من آثار هذه الرحمة، كذلك يؤمنون بأَثَرِ هذه الرحمة، والأثرُ: أنه يَرْحَمُ بهذه الرحمةِ مَنْ يَسْتَحِقُّها؛ كما قال الله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت: ٢١].

هذه قاعدة أهل السنة والجماعة بالنسبة للأسماء:

[**أولاً**][1]: يؤمنون بأنها أسماء تَسَمَّى الله بها، فَيَدْعُونَ الله بها.

ثانياً: يؤمنون بما تَضَمَّنَه الاسمُ مِن الصِّفَةِ؛ لأن جميعَ أسماء الله مشتقةٌ، والمشتقُّ كما هو معروف يكون دالاً على المعنى الذي اشْتُقَّ منه.

ثالثاً: يؤمنون بما تضمَّنه الاسمُ من الأَثَرِ إذا كان الاسم مُتَعَدِّياً؛ كالعليم، والرحيم، والسميع، والبصير.

أما إذا كان الاسم مشتقاً مِن مَصْدَرٍ لازمٍ فإنه لا يتعدَّى مُسَمَّاه.

مثل: الحياة؛ فالله تعالى من أسمائه: «الحي»، و«الحي» دلّ على صفة الحياة، والحياة وصف لِلْحَيِّ نفسِه لا يَتَعَدَّى إلى غيره.

ومثل: «العظيم»؛ فهذا الاسم، والعظمة هي الوصف، والعظمة وَصْفٌ للعظيم نفسه لا تتعدَّى إلى غيره.

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة مني يقتضيها السياق.

فعلى هذا تكون الأسماء على قسمين: متعدي، ولازم. والمتعدي لا يتم الإيمان به إلا بالأمور الثلاثة: الإيمان بالاسم، ثم بالصفة ثم بالأثر.

وأما اللاَّزم فإنه لا يتمُّ الإيمان به إلا بإثبات أمْرَيْن:

أحدهما: الاسم. والثاني: الصفة[١].

أما موقف أهل السنة والجماعة في الصفات فهو: إثْباتُ كُلِّ صِفَةٍ وَصَفَ اللهُ بها نفسَه، أو وَصَفَه بها رسولُه محمدٌ ﷺ، لكن إثباتاً بلا تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تحريفٍ ولا تعطيلٍ، سواء كانت هذه الصِّفَة مِن الصفات الذَّاتِيَّة أم مِن الصفات الفِعْلية[٢].

فإذا قال قائلٌ: فَرِّقوا لنا بين الصفاتِ الذاتيةِ والصفاتِ الفعليةِ.

قُلنا: الصفاتُ الذاتيةُ هي التي تكونُ مُلاَزِمَةً لِذاتِ الخالقِ. أي: أنه مُتَّصِفٌ بها أزلاً وأبداً.

---

(١) قال الشيخ -حفظه الله- في «القواعد المثلى» (ص: ١٠، ١١):
«أسماء الله تعالى.
إن دلَّت على وصف متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور:
أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.
الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.
الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها...
وإن دلت على وصف غير متعدٍّ تضمنت أمرين:
أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.
الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل».

(٢) هذا موقف أهل السنة والجماعة من صفات الله تعالى الثبوتية، وهناك قسم آخر من صفاته سبحانه، وهي الصفات السلبية، وهي: ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه، -كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب-، فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل...، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]؛ فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته..». أهـ من «القواعد» (ص: ٢٣).

والصفاتُ الفِعْلِيَّة هي التي تَتَعَلَّقُ بمشيئته، فَيَفعلُها الله تبعاً لحكمته سبحانه وتعالى.

مثال الأوَّل: صِفَةُ (الحَيَاة)، صِفَةٌ ذاتيَّةٌ؛ لأن الله لم يَزَلْ ولا يزال حياً، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣] وفَسَّرها النبيُّ ﷺ، بقوله: «**أَنتَ الأوَّلُ فليْسَ قَبْلَكَ شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فليسَ بعدكَ شيء**»[1]. وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٨].

كذلك (السَّمْع) و(البَصَر) و(القدرة) كلُّ هذه من الصفاتِ الذاتيةِ، ولا حاجةَ إلى التعداد؛ لأننا عرفناها بالضابط: «كلُّ صِفَةٍ لم يَزَل الله ولا يَزَالُ مُتَّصِفاً بها فإنها من الصفات الذاتية»؛ لملازمتها للذات.

وكل صفة تتعلق بمشيئته يفعلها الله حيث اقتضتها حكمته فإنها من الصفات الفعلية.

[مثال الثاني]: استواؤه[2] على العرش، ونُزوله إلى السماءِ الدنيا.

فاسْتواءُ الله على العرش من الصفاتِ الفعلية؛ لأنه متعلِّقٌ بمشيئته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فجَعَل الفِعلَ معطوفاً على ما قبله بـ «ثم» الدالة على الترتيب.

ثم النزولُ إلى السماءِ الدنيا وَصَفَهُ به أَعْلَمُ الخَلق به رسولُ الله ﷺ حيث قال -فيما ثَبَتَ عنه ثُبوتاً متواتراً-: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إلى السماءِ الدنيا حين يَبْقَى ثُلُثُ الليلِ الآخِرِ**

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: ٢٧١٣) عن سهيل بن أبي صالح قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: «**اللهم ربَّ السموات وربَّ الأرض وربَّ العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء؛ فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدَّين، وأغننا من الفقر**». وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

(٢) في المطبوع: «استوائه» وما بين المعقوفتين زيادة مني يقتضيها السياق.

فيقولُ: مَنْ يَدْعُوني فأستجيبَ له. مَنْ يَسْأَلُني فَأُعْطِيه. مَنْ يَستغْفِرُني فَأَغْفِرَ له»[١].
وهذا النزول من الصفات الفعلية؛ لأنه مُتَعلِّقٌ بمشيئة الله تعالى[٢].

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك، ولكنهم في هذا الإيمان يَتَحَاشَوْن التمثيلَ أو التكييفَ؛ أي: أنهم لا يمكن أن يقع في نفوسهم أن نزولَه كنزول المخلوقين، أو استواءَهُ على العرش كاسْتِوَائهم، أو إتيانَه للفَصْل بيْنَ عباده كإتْيانهم؛ لأنهم يؤمنون بأن الله ليسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ وهو السَّميعُ البصيرُ، ويَعْلَمون بمقتضى العقل ما بْينَ الخالقِ والمخلوقِ من التَّبَايُن العظيم في الذَّاتِ والصفاتِ والأفعال[٣]، ولا يمكن أن يقع في نفوسهم كيف ينزل،

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.
أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، رقم: ١١٤٥)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم: ٧٥٨) من حديث أبي هريرة، وانظر ما سيأتي (ص: ١٦٧).
وفي الباب عن أبي سعيد، وابن مسعود، وعلي، وجبير بن مطعم، ورفاعة بن عرابة الجهني -رضي الله عنهم-.
قال الإمام أبو زرعة الرازي: «أحاديث النزول متواترة، وهي عندنا صحاح قوية» أ.هـ. «عمدة القاري» للعيني (٦/ ٢١١)، وقد أفرده شيخ الإسلام ابن تيمية بشرح رائع ماتع، طبع عدة طبعات، أحسنها الطبعة الأخيرة بتحقيق الشيخ حمد بن عبد المحسن التويجري.

(٢) وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين؛ كالكلام؛ فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله تعالى لم يزلْ ولا يزالُ متكلِّماً، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].
وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته، وقد تكون الحكمة معلومة لنا وقد نعجز عن إدراكها، لكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئاً إلا وهو موافق للحكمة؛ كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأنسان: ٣٠]. أهـ. «القواعد المثلى» (ص: ٢٥).

(٣) أما إبطال التشبيه بدلالة العقل فمن وجوه:
الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تبايناً في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات؛ كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات. =

أو كيف استوى على العرش، أو كيف يأتي للفصلِ بين عباده يوم القيامة! أي أنهم لا يُكَيِّفُون صفاتِهِ مع إيمانهم بأن لها كَيْفِيَّةً لكنها غير معلومةٍ لنا، وحينئذٍ لا يُمكن أبداً أن يَتصوَّرُوا الْكَيْفِيَّةَ، ولا يُمكن أن ينْطِقُوا بها بألسنتهم أو يعتقدوها في قلوبهم؛ يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] ويقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] ولأن الله أَجَلُّ وأعظمُ من أن تُحيطَ به الأفكارُ؛ قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وأنت متى تخيَّلْتَ أيَّ كَيْفيةٍ فعَلى أيِّ صُورةٍ تتخيلها؟! إن حاولْتَ ذلك فإنك في الحقيقة ضالٌّ، ولا يمكن أن تَصِلَ إلى حقيقة؛ لأن هذا أمر لا يمكن الإحاطة به، وليس من شأن العبد أن يتكلَّم فيه أو أن يَسأل عنه. ولهذا قال الإمام مالك رحمه الله فيما اشْتُهِرَ عنه بين أهل العلم حين سأله رجل فقال: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيفَ اسْتَوى؟ فأَطْرَقَ مالكٌ برأسِهِ حتى عَلاَهُ الرّحضَاء- يعني: العَرَقُ،

= الثاني: أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهاً في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله؟! وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق؟!!

الثالث: أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة؛ فإننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية؛ ككلمة (رأس) إذا أضيفت إلى الإنسان وإلى الطريق وإلى الجبل.

وأما إبطال التكييف بدلالة العقل:

فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته أو العلم بنظيره المساوي له أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل، فوجب بطلان تكييفها.

ولأن أيَّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذباً فيها؛ لأنه لا علم لك بذلك. ثم إن الله تعالى أعظم وأجل من أي كيفية تقدرها في ذهنك. وانظر ما سيأتي بعد قليل.

فأهل السنة والجماعة لا يمكن أن يشبهوا أو يكيفوا. وانظر: «القواعد المثلى» (ص: ٢٦-٢٨).

وصار يَنْزِفُ عَرَقاً؛ لأنه سؤال عظيم-، ثم قال تلك الكلمةَ المشهورةَ: «الاسْتِواءُ معلومٌ والكَيْفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بِدْعةٌ». ورُوي عنه أنه قال: «الاسْتواء غيرُ مجهولٍ، والكَيْفُ غيرُ معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤال عنه بدعة»[1].

فإذن: نحن نَعلم معاني صفات الله، ولكننا لا نَعلم الكَيْفِيَّةَ، ولا يَحِلُّ لنا أن نَسأل عن الكيفيةِ، ولا يحل لنا أن نُكَيِّفَ، كما أنه لا يحل لنا أن نُمَثِّلَ أو نُشبِّه؛ لأن الله تعالى يقول في القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فَمَنْ أَثْبتَ لله مَثِيلاً في صفاته فقد كَذَّبَ القرآنَ، وظَنَّ بربِّه ظنَّ السَّوْءِ وقد تَنَقَّصَ ربَّه حيث شبَّهَه وهو الكامِل مِنْ كُلّ وجهٍ بالناقص، وقد قيل:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنقُصُ قَدْرُهُ إذا قِيلَ إنَّ السيفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا

وأنا أقول هذا على سبيل التوضيح للمعنى، وإلاَّ ففَرْقٌ عظيمٌ بيْن الخالق والمخلوق، فرق لايوجد مثله بين المخلوقات بعضها مع بعض.

المهم أيها الإخوة: أنه يجبُ علينا أن نؤمن بكلِّ ما وَصَفَ الله به نفسَه وما وَصَفَهُ به رسولُه ﷺ، سَوَاء كانت تلك الصفةُ ذاتيةً أم فِعْليةً، ولكن بدون تَكْييفٍ وبدون تمثيلٍ.

التكييفُ ممتنعٌ؛ لأنه قول على الله بغير عِلْمٍ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

والتمثيلُ ممتنعٌ؛ لأنه تكذيب لله في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقولٌ بما لا يَليقُ بالله تعالى من تشبيهه بالمخلوقين.

---

(١) **أَثَرٌ صَحِيح**. وسبق تخريجه (ص: ٢٠).

العنصر الثاني: في نصوص الأسماء والصفات:

المعتَرَكُ بين أهل السنة وأهل البدعة في هذه النصوص مُعْتَرَكٌ يتبيَّنُ به الفرْقُ الشاسع بين أهل السنة وأهل البدعة، فأهل السنة يُثْبِتون النصوص على حقيقتها وظاهرها اللائق بالله من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ. هذه الطريق التي مشى عليها أهل السنة والجماعة.

واخترنا كلمة (تحريف) على كلمة (تأويل)؛ لأن التحريف معناه باطل بكل حال، ذَمَّ الله تعالى مَن سلكه في قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦] أما التأويل ففيه ما هو صحيحٌ مقبول، وفيه ما هو فاسدٌ مردودٌ، والفاسد المردود هو بمعنى التحريف، ولهذا اختار شيخُ الإسلام ابنُ تيمية -رحمه الله- في «العقيدة الواسطية[1]» -وهي خلاصة عقيدة أهل السنة والجماعة- اختار (التحريف) بدل (التأويل)، وإن كان يوجد في كثير من كُتُبِ العقائد التعبير بـ (التأويل). لكنهم يُرِيدون بالتأويل ما هو بمعنى التحريف، أي: التأويل الذي لا دليل عليه، بل الدليل نقيضه وهذا في الحقيقة تحريف[2].

---

(١) (ص: ٤٨)، وانظر لزاماً: «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٦٥) له -رحمه الله-.

(٢) **فائدة**: التأويل يُطلق على معانٍ ثلاثة:

الأول: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام. وعامة ما ورد في القرآن الكريم بهذا المعنى؛ كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ...﴾ [الأعراف: ٥٣].

الثاني: التفسير. وهو توضيح الكلام بذكر معناه المراد به. كما في سورة يوسف [٣٦]: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾، ومنه قول ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين.

الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره بدليل. وهذا اصطلاح الأصوليين، فإن كان ثَمَّ دليلٌ فهو مقبولٌ، وإلا فهو مذمومٌ، وهو الذي عناه أكثر من تكلَّم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات، وهو في الحقيقة تحريف وليس تأويلاً كما قال الشيخ -حفظه الله-.

وانظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٢٨٨-٢٩١)، و«تقريب التدمرية» (ص: ٧٥-٧٨)، و«مباحث في علوم القرآن» (ص: ٢٧) للقطان، و«تيسير أصول الفقه» للأخ الفاضل الشيخ عبد الله يوسف الجديع (ص: ٢٩٦).

فأهل السنة والجماعة يقولون: نحن نؤمن بهذه الآيات، والأحاديث ولا نحرفها؛ لأن تحريفها قولٌ على الله بغير عِلْمٍ من وجهين:-

يتبيَّن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] قال أهل السنة والجماعة: جاءَ ربُّك أي: هو نفسُه يجيء سبحانه وتعالى، لكنه مجيءٌ يَلِيقُ بجلالِهِ وعظَمتِهِ لا يُشْبِهُ مجيءَ المخلوقين، ولا يمكن أن نُكَيِّفَه، وعلينا أن نضيف الفعل إلى الله كما أضافه الله إلى نفسه- فنقول: إن الله تعالى يجيء يوم القيامة مجيئاً حقيقياً، يجيء هو نفسه-، وقال أهل التحريف معناه: وجاء أمرُ ربِّكَ! وهذا جِنَايةٌ على النَّصِّ من وجهيْن-:

الوجه الأول: نفي ظاهره! فأين لهم العلم مِنْ أن الله تعالى لم يُرِدْ ظاهره؟ هل عندهم عِلْمٌ مِنْ أن الله لم يُرِدْ ظاهر ما أضافه لنفسه؟! والله تعالى يقول عن القرآن إنه نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] فعلينا أن نأخذ بدلالة هذا اللفظ حسب مُقْتَضَى هذا اللسان العربيِّ المبين. فَمِنْ أين لنا أن يكونَ الله تعالى لم يُرِدْ ظاهرَ اللفظ؟ فالقول بنفي ظاهر النَّصِّ قولٌ على الله بغير علم.

الوجه الثاني: إثبات معنىً لم يدل عليه ظاهر اللفظ! فهل عنده علم أن الله تعالى أراد المعنى الذي صرف ظاهر اللفظ إليه؟! هل عنده علم أن الله أراد مجيءَ أمره؟! قد يكون المراد جاء شيءٌ آخرُ يُنْسَبُ إلى الله غير الأمر!

فإذن: كلٌّ مُحَرِّف. أي: كلُّ مَنْ صرفَ الكلامَ عن ظاهره بدون دليلٍ من الشرع فإنه قائلٌ على الله بغير علم من وجهين: **الأول**: نفيه ظاهر الكلام. **الثاني**: إثباته خلاف ذلك الظاهر.

لهذا كان أهل السنة والجماعة يَتَبَرَّؤُون من التحريف، ويرون أنه جِنَايةٌ على النصوص، وأنه لا يمكن أن يخاطبنا الله تعالى بشيءٍ ويريدُ خلاف ظاهره بدون أن يُبَيِّنَ لنا، وقد أنزل الله الكتاب تبياناً لكل شيءٍ، والنبي ﷺ بَيَّن للناس ما أُنزل إليهم من ربهم بإذن ربهم.

أما التمثيل: فَمِنَ الواضح أن القولَ به تكذيب للقرآن؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ولهذا كان عقيدة أهل السنة والجماعة -بل طريقة أهل السنة والجماعة- في نصوص الصفات من الآيات والأحاديث: هو إثباتُهَا على حقيقتِهَا وظاهرِهَا اللائقِ بالله، بدون تحريفٍ وبدون تعطيل[١] وقد حكى إجماعَ أهل السنة على ذلك ابنُ عبد البر في كتابه: «التمهيد»[٢]. ونقله عنه شيخُ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله[٣]- وكذلك نقل عن القاضي أبي يَعْلى[٤] أنه قال: «أجمعَ أهلُ السنة على تحريم التشاغُلِ بتأويل آياتِ النصوصِ وأحاديثها، وأن الواجب إبقاؤها على ظاهرها».

العنصر الثالث: العُدُولُ عن هذا الموقفِ تَطَرُّفٌ دَائرٌ بين الإفراطِ والتفريطِ:

العدول عن هذا الموقف -أعني موقف أهل السنة والجماعة- تطرف: إما إفراط، وإما تفريط؛ لأن الناس انقسموا في هذا الباب إلى ثلاثةِ أقسام: طرفان، ووسط. طرفٌ غلا في التنزيه حتى نفى ما أَثْبَتَه اللهُ لنفسه! وطرفٌ آخر غلا في الإثبات حتى أَثْبتَ ما نفاه اللهُ عن نفسه!

---

(١) وما ورد نفيه في الكتاب والسنة وجب نفيه مع إثبات كمال ضده، وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه، فلا يثبت ولا ينفى؛ لعدم ورود الإثبات والنفي فيه. وأما معناه فَيُفَصَّل فيه: فإن أريد به حق يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أريد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب رده. أهـ. «القواعد المثلى» (ص: ٣٠)، وانظر: «شرح الطحاوية» (ص: ٢٣٩)، و«تقريب التدمرية» (ص: ١٧، ٣٧).

(٢) (٧/ ١٤٥)، وانظره: (٧/ ١٢٨-١٢٩، ١٣٤، ١٣٨-١٣٩).

(٣) في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٨٧-٨٩).

(٤) في المطبوع: «ابن يعلى»، وهو خطأ!
وانظر: «إبطال التأويل» (١/ ٧١).

فإن مِنْ أهل البدع من أَثبتَ النصوصَ على ظاهرها، ولكنه جعل هذا الظاهر مِنْ جنس صفات المخلوقين والعياذ بالله. فأثبتَ النقصَ لربِّه بإلحاقه بالمخلوقِ الناقص، وأخطأَ في ظنِّهِ أن ظاهرَهَا التمثيل! أَثبَتَ أن لله تعالى سمعاً، وأن لله تعالى وجهاً، وأن لله تعالى عيناً، وأن له يداً، لكنه جَعَلَ ذلك كلَّه من جِنْسِ صفات المخلوقين، غلا في الإثبات حتى بلغ به إلى التمثيل! وقد قال نُعَيْم بنُ حَمَّاد الخُزَاعِيُّ شيخُ البخاري: «مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِه فقد كَفَر»(١). ولا شك أنه كافرٌ وأن الله سبحانه وتعالى لم يُرِدْ بهذه النصوصِ هذا الظاهرَ الذي ادَّعَاه هذا الممثِّل(٢).

---

(١) **أَثَرٌ صَحِيحٌ.**

وتمامه: «ومن جحد ما وصف اللهُ به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف اللهُ به نفسَه ولا رسولُه تشبيهاً».

أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (رقم: ٩٣٦)، والذهبي في «السير» (١٣/ ٢٩٩) و«العلو» (ص: ١٢٦) بإسناد صحيح.

قال الذهبي: «رويناه بأصح إسناد». وصححه شيخنا الألباني -حفظه الله- في «مختصر العلو» (ص: ١٨٤).

(٢) ثم إن هذا الذي فهمه المشبه من النصوص مخالف لما فهمه السلف منها -وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم-، فيكون باطلاً؛ لأنهم أبرُّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقُها علماً، وأقلُّها تكلُّفاً.

فإن قال المشبهِ: (أنا لا أعقل من نزول الله ويده إلا مثل ما للمخلوق من ذلك، والله تعالى لم يخاطبنا إلا بما نعرفه ونعقله)؛ فجوابه من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الذي خاطبنا بذلك هو الذي قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ونهى عن عباده أن يضربوا له الأمثال أو يجعلوا له أنداداً فقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤] وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وكلامه تعالى كله حق يصدق بعضه بعضاً ولا يتناقض.

ثانيها: أن يقال له: ألست تعقل لله ذاتاً لا تشبه الذوات؟ فسيقول: بلى، فيقال له: فَلْتَعْقِلْ له صفات لا تشبه الصفات؛ فإن القول في الصفات كالقول في الذات، ومن فرق بينهما فقد تناقض!

ثالثها: أن يقال: ألستَ تشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية؟ فسيقول: بلى. فيقال له: إذا عقلْتَ التباين بين المخلوقات في هذا، فلماذا لا تَعْقِلُهُ بين الخالق والمخلوق مع أن التباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم، بل التماثل مستحيل بين الخالق والمخلوق!! أهـ. انظر: «القواعد المثلى» (ص: ٣٩-٤٠).

وقد يقول القائل: أين دليلك على أن الله ما أرادَه؟

فأقول: الدليل عندي نَقليٌّ، وعَقْليٌّ:

أما النقلي فآياتٌ متعدِّدةٌ تنفي المماثلةَ عن الله، وأصرحُهَا وأبيَنُها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وأما الدليل العقلي: فإنه لا يمكن أبداً أن يكون الخالقُ مماثلاً للمخلوق في أي صِفَةٍ من صفاته؛ لظهور الفَرْق العظيم بينهما في الذات والصفات والأفعال.

ومِنْ أهل البدع مَنْ حَرَّفَ النصوصَ عن ظاهرها ونفى مدلُولَها اللائقَ بالله!

وهؤلاء المحرِّفون انقسموا إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول(١): قسمٌ غلا في ذلك غلوّاً عظيماً حتى نفى النقيضيْن في حقِّ الله، فقال: لا تَقُلْ: إن الله موجودٌ، ولا تَقُلْ: غير موجود؛ إن قُلْتَ: موجود شَبَّهْتَهُ بالموجودات، وإن قُلْتَ: غير موجود شبَّهتَه بالمعدُومات!

ولا ريب أن هذا تُنكره العقولُ كلُّها، لأن رفعَ أحدِ النقيضين أَمرٌ مستحيلٌ، والتقابل بين الوجود والعدم من تقابل النقيضين اللذين لا يمكنُ اجتماعُهما ولا ارتفاعُهما!!

القسم الثاني(٢): مَنْ قال: نُثْبِتُ السَّلْبَ ولا نُثْبت الإيجابَ، فلا نَصِفُ اللهَ بصفاتٍ ثُبُوتيةٍ، ولكن نَصِفُهُ بالأُسْلُوب والإضافاتِ ونُثْبِتُ الأسماءَ مُجَرَّدَةً عن المعاني!! وهذا ما عليه عامَّةُ الجهمية والمعتزلة.

القسم الثالث(٣): مَنْ يقول: نُثْبِتُ بعضَ الصفاتِ لدلالةِ العقل عليها، ونُنْكِرُ بعضَ الصفات لأن العقلَ لا يُثْبِتُهَا، وبعضهم يقول: لأن العقل يُنْكِرها!

---

(١) وهم الباطنية القرامطة.

(٢) وهم عامة الجهمية والمعتزلة، كما ذكر الشيخ نفسه.

(٣) وهم الأشاعرة والماتريدية.

وكلُّ هذه الأقسام الثلاثة -وإن كانت تختلف مِنْ حيث البُعْد عن الحق -كلها على غير صواب فهي متطرفة![1]

فالقولُ الوَسَطُ -ما عليه أهلُ السنة والجماعة-: أن نُثْبِتَ لله ما أَثْبَتَهُ لنفسه من الصفات، ولكنه إثباتٌ مُجَرَّدٌ عن التكييفِ وعن التمثيل. وبذلك نكون عَمِلْنَا بالنصوص الشرعية من الجانبين، ولم ننظرْ بعين أعور، وبذلك نكون قد تأدبنا مع الله ورسوله؛ فلم نُقدِّم بين يدي الله ورسوله، وإنما الْتزمنا غايةَ الأدب (سَمِعْنَا وآمنا، وأَطَعْنَا) ما أَثْبَتَهُ اللهُ لنفسه أثبتْنَاه، وما أثبتَهُ له رسولُه أثبتْنَاه، وما نفاهُ اللهُ عن نفسه نفيناه، وما نفاه عنه رسولُه نفيناه، وما سَكَتَ عنه سكتْنَا عنه.

---

(١) **ومذهب هذه الطائفة بأقسامها الثلاثة باطل من وجوه:**

أحدها: أنه جناية على النصوص؛ حيث جعلوها دالة على معنىً باطل غير لائق بالله ولا مراد له سبحانه وتعالى.

الثاني: أنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ عن ظاهره دون دليل صحيح، وهذا لا يجوز؛ لأنه قول على الله بلا علم، وذلك من وجهين:

الأول: أنه زَعَمَ أنه ليس المراد بكلام الله تعالى ورسوله كذا مع أنه ظاهر الكلام!

الثاني: أنه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر لا يدل عليه ظاهر الكلام!

وإذا كان من المعلوم أن تعيين أحد المعنيين المتساويين في الاحتمال قولاً بلا علم، فما ظنك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام؟!!

فالواجب حمل كلام الله ورسوله على ظاهره المفهوم باللسان العربي، غير أنه يجب أن يصان عن التكييف والتمثيل في حق الله عز وجل.

الثالث: أن صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه السلف الصالح وعلى رأسهم الصحابة!

الرابع: أنه يلزم هؤلاء المحرِّفون لوازم باطلة، **وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.** فمن هذه اللوزام:

-التشبيه؛ إذ تحريفهم فرع عنه!!

-رمي السلف- بما فيهم الصحابة- بالجهل، أو التقصير؛ لعدم بيانهم ما ذهب إليه هؤلاء المعطِّلة!!

-جواز نفي ما أثبته الله ورسوله؛ لأنه عندهم مجاز!!

انظر: «القواعد المثلى» (ص: ٤٠-٤٦).

العُنصُر الرابعُ: التطرفُ في التنزيه يستلزمُ إبطالَ الدِّين كُلِّه:

ذكرنا أنَّ مِنْ الناس مَن تَطَرَّف في التنزيه حتى أَنكَر الصفات، أو أنكرَ بعضَها، أو أنكرَ الإيجابيَّةَ منها، أو أنكرَ الإيجابيَّ والسَّلْبيَّ، فأقول:

إن التطرف في التنزيه في كُلِّ أقسامه يؤدي إلى إبطال الدِّين كلِّه.

مثال ذلك: إذا كان المنزِّه يُثْبِتُ بعضَ الصفاتِ ويُنْكرُ بعضَها قلنا له: لماذا تُثبتُ ولماذا تُنكر؟

قال: أُثبتُ هذه الصفاتِ لأن العقل دلَّ عليها، وأُنكر هذه الصفاتِ لأن العقل لم يدُل عليها أو دلَّ على نفيها.

فيقول له القومُ الآخرون: نحن نُنْكر جميعَ الصفات لأن العقل لا يدلُّ عليها، أو لأن العقل دلَّ على نفيها.

فلا يستطيع الأول أن يَرُدَّ على هؤلاء؛ لأنه إذا رَدَّ عليهم بأن العقلَ يثبت ذا ويُنكر ذا أو لا يُثْبِتُه قال: أنا عقلي لا يُثبت ما تُثبت، وما دام المرْجِعُ هو العقل فإنَّ ما أنكرْتَه أنت بحُجَّةِ العقل فأنا أُنكرُ ما أُنكرَ بحجة العقل!

ولكن الأمر لا ينتهي عند موضوع الصفات! بل يأتينا أهل التخييل الذين أَنكروا اليومَ الآخرَ، وأنكروا رسالةَ الرسل، بل أَنكروا وجودَ الله رأساً -والعياذ بالله-، فيقولون: عقولنا لا تقبل أن تَحْيَا العظامُ وهي رَمِيمٌ، لا تَقْبَلُ وجودَ جنةٍ ولا نارٍ! فيَحْتَجُّون بالعقل كما احْتَجَّ هؤلاء بالعقل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-[1]: وإثباتُ الصفات في القرآن والسنة أكثر من إثْبات المعاد، فأيُّ إنسانٍ يُنكر الصفات فإنه لا يمكن أن يَدْفع إنكار من أنكر المعاد، ولا ريب أن إنكار المعاد، وإنكار الشرائع إبطال للدين كله، والخلاص من هذا هو اتباع

(١) في «الفتوى الحموية» (ص: ٣٤).

طريق السلامة أن نُثْبِتَ ما أَثْبَتَهُ الله لنفسهِ مِنَ الأسماءِ والصفاتِ، ونَنْفِيَ ما نفاهُ الله عن نفسهِ من الصفاتِ، ونَسْكُتَ عَمَّا سَكَتَ عنهَ، وبهذا لا يمكنُ لأيِّ إنسانٍ أن يُفْحِمَنَا؛ لأننا قلنا: إنَّ هذه المسائل الغيبية إنما تُدْرَكُ بالشرع والمنقول عن المعصوم، والعقول مضطربة ومختلفة. وكلُّ إنسانٍ من مُدَّعِي العقل يَدَّعي وجوبَ ما يَدَّعي الآخرُ أنه ممتنعٌ، أو ما يَدَّعي الآخرُ أنه من الممكناتِ لا مِنَ الواجباتِ.

العنصرُ الخامسُ: أن بعضَ أهل التَّحريفِ والتَّعطيلِ قالوا: إنَّ أهلَ السنةِ مشبهةٌ ومجسمةٌ وممثلةٌ:

مِنَ الغرائب أن يُدَّعَى على الإنسان ما يُنْكره! فأهلُ السنةِ والجماعةِ يُنكرون التشبيهَ، ويُنكرون التمثيلَ، ويقولون: مَنْ شَبَّهَ الله بخَلْقِه فقد كَفَر. فكيف يمكن أن يُلْزَمُوا بما هم مُعْتَرِفُونَ بإنكاره؟! هذا عدوانٌ مَحْضٌ!!

أهلُ السنة والجماعة يقولون: نحن لا نُشَبِّه ولا نُمَثِّلُ، وإنما نُثْبِتُ لله ما أَثبتَه الله لنفسه وما أثبتَه له رسولُه بدون تمثيل وبدون تَكْيِيفٍ. فما بالكم تُشَوِّهُونَ طريقَنَا وتقولون: أنتم ممثلةٌ ومشبهةٌ؟![1] ولكن لا غرو أن يُرمى أهلُ السنة والجماعة بمثل هذه الألقابِ السيئةِ؛ لأن رَمْيَ أهلِ الحقِّ بالألقابِ السيئةِ أَمْرٌ موروثٌ عن أعداءِ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالأنبياء قيل: إنهم سَحَرَةٌ. وقيل: إنهم مَجَانِينَ ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢] ولكنْ هَلْ الحق يغيض بمثل هذه

(١) فما ذنب أهل السنة والحديث إذا نطقوا بما نطقت به النصوص، وأمسكوا عما أمسكت عنه، ووصفوا الله بما وصف به نفسه ووصفه رسوله، وردوا تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، الذين عقدوا ألوية الفتنة، وأطلقوا أعنة المحنة، وقالوا على الله -وفي الله- بغير علم، فردوا باطلهم، وبينوا زيفهم، وكشفوا إفكهم، ونافحوا عن الله ورسوله!!
فلم يقدروا على أخذ الثأر منهم إلا بأن سموهم: مشبهة، ممثلة، مجسمة، حشوية!
ولو كان لهؤلاء عقول لعلموا أن التلقيب بهذه الألقاب ليس لهم، وإنما هو لمن جاء بهذه النصوص وتكلم بها، ودعى الأمة إلى الإيمان بها ومعرفتها، ونهاهم عن تحريفها وتبديلها!
فَدَعُوا التشنيعَ بما تعلمون أنتم وكل عاقل منصف أنه كذب ظاهر وإفك مفترى!؟ «الصواعق المرسلة» (١/ ٢٦٢-٢٦٣).

الألقاب؟لا. بل يفيض، ويزداد قوة، ويزداد وضوحاً وبياناً -ولله الحمد-؛ أهل السنة والجماعة مُتبَرِّءُونَ من هذه العيوب التي يَصِمُهُمْ بها من يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عن مواضعه!

كذلك يقولون: أنتم مجسمة. كيف مجسمة! وما معنى مجسمة؟! هذه الكلمة كلمة «التجسيم» لو قرأتَ القرآنَ مِن أوَّله إلى آخره ومَرَرْتَ على ما جاء عن النبي ﷺ مِنَ السنةِ مِنْ أولها إلى آخرها لم تجد لفظ «الجسم» مثبتاً لله ولا منفيّاً عنه في كتاب الله ولا في سنةِ رسولِ الله ﷺ! فما بالُنا نُتعِبُ أذهاننا وأفكارنا، ونُظْهِرُ ذلك بمظْهَرِ سُوءٍ بالنسبة لمن أَثبتَ لله صفاتِ الكمالِ على الوجه الذي أرادَ الله؟!!

إذا كانت كلمة «الجسم» غيرَ واردةٍ في الكتاب ولا في السنة؛ فإن أهل السنة والجماعة يمْشُون فيها على طريقتهم: يَقِفُونَ فيها مَوْقِفَ السَّاكِتِ فيقولون: لا نُثبت الجسمَ ولا نُنكره من حيث اللفظ، ولكننا قد نَسْتَفْصِلُ في المعنى، فنقول للقائل: ماذا تريدُ بالجسم؟ إنْ أردتَ الذَّاتَ الحقيقةَ المتصفةَ بالصفاتِ الكاملةِ اللائقةِ بها؛ فإن الله سبحانه وتعالى لم يَزَلْ ولا يَزَالُ حيّاً عليماً قَادراً متصفاً بصفات الكمالِ اللائقةِ به، وإنْ أردتَ شيئاً آخر كَجِسْمِيَّةِ الإنسانِ التي يَفْتَقِرُ كلُّ جزءٍ من البَدَنِ إلى الجزءِ الآخرِ منه ويحتاجُ إلى ما يَمُدُّه حتى يَبقى؛ فهذا معنىً لا يَلِيقُ بالله عز وجل. وبهذا نكون أعطينا المعنى حقَّه.

أما اللفظ: فلا يجوز لنا أبداً أن نُثْبتَه أو نَنْفِيَه، ولكننا نتوقَّفُ فيه؛ لأننا إن أَثْبتنا؛ قيل لنا: ما الدليل؟ وإن نَفَيْنَا؛ قيل لنا: ما الدليل؟ وعلى هذا فيجبُ السكوتُ مِنْ حيثُ اللفظ، أما من حيثُ المعنى فعلىَ التفصيل الذي بَيَّنَّاه[1].

---

(١) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** -رحمه الله- في «التدمرية» (ص: ٤٥).

«وما تنازع فيه المتأخرون نفياً وإثباتاً فليس على أحد -بل ولا له- أن يوافق أحداً على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعرف مراده؛ فإن أراد حقاً قُبِل. وإن أراد باطلاً رُدَّ. وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يُقْبَل مطلقاً ولم يُرَد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى؛ كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك». =

العنصر السادس: ادعى أهل التحريف والتعطيل على أهل السنة أنهم أَوَّلُوا بعضَ النصوص؛ لِيُلْزِمُوهُم بتأويلِ البقيَّةِ أو المداهَنَةِ فيها:

هذه دعوى تَلْبِيس وتشكيك، وقد نُشِرت في الصُّحف، نَشرها مَنْ نَشرها وقال: أنتم يا أهل السنة تُشَنِّعون علينا! تقولون: أنتم تُؤَوِّلُون! وأنتم يا أهل السنة قد أَوَّلْتُم! فما بالُكم تُشنِّعون علينا بالتأويل وأنتم تَسْلكونه؟!

حقيقةً إنَّ هذه الحُجَّةَ حُجَّةٌ قويةٌ إذا ثَبَتَتْ؛ لأنه لا يَحِقُّ لأي إنسانٍ أن يتحَكَّم فيما يُمكن تأويلُه أو يجب وفيما لا يمكن. ولكن أهل السنة والجماعة يقولون: هذه دعوى تلبيس وتشكيك؛ فإننا لَسْنَا على هذه الطريقة! وأنتم رَمَيْتُمُونَا بذلك إما لإلزامِنَا أن نقول بالتأويل كما قلتم به، وإما لإلزامنا أن نسكُتَ عن تحريفكم ونُدَاهِن!! ولكِنَّا بعون الله لن نسكت على ما نُرْمَى به ونحن منه بَرِيئُون.

وهذا التأويل الذي ادَّعاه بعضُ أهل التأويل ورمى به أهل السنة والجماعة لنا عنه جوابان:

الجواب الأول: أن نَمنع أن يكون طريق أهل السنة في ذلك تأويلاً؛ لأن التأويل في اصطلاح المتأخرين -وهو الذي يَعْنِيه هؤلاء- هو صَرْفُ اللفظ عن ظاهره.

وأهلُ السنة يقولون: ظاهر الكلام ما دلَّ عليه الكلامُ باعتبار السياق، أو باعتبار حال المتكلِّم به، هذا هو ظاهر الكلام، وليس للكلمات معنىً خُلِقَتْ له لا تُسْتعمل في غيره، ولكن معنى الكلمات إنما يظهر بسياقها وبحال المتكلِّم بها. نحن كنا قرأنا في البلاغة أو بعضٌ مِنَّا قرأ في البلاغة ورأى أن الاستفهام يأتي لعدة معانٍ، وقرأنا في حروف الجر

= **وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي** -رحمه الله- في «شرح الطحاوية» (ص: ٢٣٩):

«وأما الألفاظ التي لم يردْ نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها: فإن كان معنى صحيحاً قُبِل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة مع قرائن تُبيِّن ذلك. والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها ونحو ذلك».

ومعانيها، وعلمنا أن بعض الحروف يأتي لعدة معانٍ، فما الذي يُعَيِّنُ هذه المعاني؟ أليس السياق؟!

إذن: فحقيقةُ الكلام ما دل عليه سياقُه، وظاهره ما دل عليه سياقه، وذلك باعتبار نظم الكلام وباعتبار حال المتكلِّم به.

فهذا الجواب جواب مجمل، أن نقول: لا نُسَلِّم بأن ظاهر الكلام خلاف ما دل عليه سياقه أو حال المتكلم به، بل ما دل عليه السياق فهو حقيقةُ الكلام وظاهره مطلقاً، حتى لو اسْتُعْملتْ هذه الكلمة في غير هذا الموضع لمعنىً آخر، فإن استعمالَها في هذا الموضع للمعنى الذي دل عليه السياق هو في الواقع حقيقتها. هذا جواب.

الجواب الثاني: لو سَلَّمْنَا أن في اللفظ إخراجاً له عن ظاهره، فإن أهل السنة والجماعة لا يمكن أبداً أن يخرجوا لفظاً عن ظاهره إلا بدليل من الكتاب أوالسنة، متصل أو منفصل، وأنا أَتحدَّى أيَّ واحدٍ يأتي إليّ بدليلٍ من الكتاب أو السنة في أسماء الله وصفاته أخرجه أهل السنة عن ظاهره إلا أن يكون لهم دليل بذلك من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ، وحينئذ إذا كان ما أخرجه إليه أهلُ السنة من المعنى ثابتاً بدليلٍ من الكتاب والسنة؛ فإنهم في الحقيقة لم يخرجوا عَمَّا أرادَ الله به؛ لأنهم عَلِمُوا مرادَ الله به من الدليل الثاني من الكتاب والسنة، وليسوا بحمد الله يُخرجون شيئاً من النصوص عما يُقال: «إنه ظاهره» من أجْلِ عقولهم حتى يتوصَّلوا إلى نفي ما اثبتَه الله لنفسِه وإثبات ما لم يدل عليه ظاهر الكلام. هذا لايوجد ولله الحمد في أيِّ واحدٍ من أهل السنة، والأمر إذا شئتم فارجعوا إليه في كتبهم المختصرة والمطولة[1].

---

(١) وبمعنى هذيْن الجوابين أجاب الشيخ -حفظه الله- في «القواعد المثلى» (ص:٤٨-٤٩) وهما جوابان مجملان. وما سيذكره الشيخ من الأمثلة والردِّ عليها هو جواب مُفَصَّل، وقارنه بـ«القواعد» (ص: ٤٩-٧٧)، فقد ضرب الشيخُ هناك خمسةَ عشرَ مثالاً وردَّ عليهم فيها بكلام قويٍّ متين.

ونحن نضربُ لذلك بعضَ الأمثلة -لا كل الأمثلة-؛ لأننا لو تَتَبَّعْنَا الأمثلةَ كلَّها التي قيل: «إن أهل السنة والجماعة صرفوها عن ظاهرها» لطَالَ بنا الكلام! لكننا نذكر عدة أمثلةٍ فقط:

المثال الأول: قال أهل التأويل: أنتم يا أهل السنة أَوَّلْتُمْ قولَ الله عز وجل: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] فقلْتُمْ: إن معنى الاستواء هنا «القصد والإرادة». وقلتم: إن معنى الاستواء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] «العلو والارتفاع»، وما هذا إلا تأويل منكم لأحد النَّصَّيْنِ لا يمكن أن تخرجوا عنه، ومعلوم أن (استوى على كذا) ظاهرة جدّاً في العلو عليه، يبقى (استوى إلى كذا) معناها القصد، إِذَنْ: أخرجْتُم كلمة (استوى) عن ظاهرها.

وجوابُنا على ذلك أن نقول: (استوى) كلمةٌ يتحدَّدُ معناها بحسب متعلِّقها، فمثلاً: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ معناها: العلو، على وَجْهٍ يليقُ بجلاله، ولا يُشْبِه استواء المخلوق على المخلوق.

﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ اختلف الحرف فكان «إلى»، و«إلى» للغاية، وليست للعلُو، ومعلوم أنها إذا كانت للغاية فإن الفعل مُضَمَّنٌ معنىً يدل على الغاية وهو: القصد والإرادة. وإلى هذا النحو ذهب بعضُ أهل السنة فقالوا: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: قَصَدَ إلى السماء[1]. والقصد إذا كان تامّاً يُعَبَّرُ عنه بالاستواء؛ لأن الأصل في اللغة العربية أن مادة الاستواء تدل على الكمال؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤][2].

---

(١) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٥٨)، و«معالم التنزيل» للبغوي (١/ ٦٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١/ ٢٥٤-٢٥٥)، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/ ٦٥).

(٢) قال الشيخ -حفظه الله- في «القواعد» (ص: ٥٢-٥٣): «وهذا القول ليس صرفاً للكلام عن ظاهره، وذلك لأن الفعل «استوى» اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاء، فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] حيث كان =

وجواب آخر أن نقول: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ بمعنى: ارتفع. قال البغوي: وهو مرويٌّ عن ابن عباس وأكثر المفسرين[1]. ولكن هذا يجب أن لا نظن أن الله سبحانه وتعالى قد انتفى عنه العلو حين خَلَقَ الأرضَ! بل إنه سبحانه وتعالى لم يزل، ولا يزال عالياً؛ لأن العلوَّ صفةٌ ذاتيةٌ ولكن الاستواء هنا وإن كان بمعنى الارتفاع، إلا أننا لا نعلم كيفيته وهذا جواب آخر عن الآية.

والخلاصةُ الآن: أننا إذا فَسَّرْنَا ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ بمعنى قصد إليهما على وجه الكمال فإننا لم نَخْرج عن ظاهر اللفظ. وذلك لاختلاف حرف الجرِّ الذي تعلَّق بـ (استوى) في قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وفي قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] وإذا قلنا بالقول الثاني الذي هو مرويٌّ عن ابن عباس وأكثرِ المفسرين بأنه ارتفع، فإنه لا يجوز لنا أن نتوهَّم بأن الله تعالى لم يكن عالياً من قَبْل.

أما المثال الثاني: قال أهلُ التأويل: أنتم يا أهل السنة فسَّرْتُهم قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]: أيْ: بِمَرْأىً مِنَّا. وهذا خلافُ ظاهرِ اللفظِ!

نقول لهم: ماذا تفهمون من هذا اللفظ؟ هل أحدٌ يمكنُ أن يفهمَ أن الباء للظرفية، وأنَّ سفينةَ نوحٍ تَجْرِي في عَيْنِ الله؟!! أبدا لا أحدَ يفهمُ هذا إطلاقاً، وإتيانُ الباء للظرفية في بعضِ المواضعِ واردٌ، لكنْ في هذه الآية لا يمكنُ أبداً أنْ يكونَ كذلك.

إذَنْ: فهذا الظاهرُ الذي زعمتم أنه ظاهرُ الآية لا نُسَلِّمُ أبداً أنه ظاهِرُهَا، لكن الذين فسَّروا ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] بِمَرْأىً منا -هؤلاء- فسَّروا اللفظَ بلازمه، وذلك

= معناها: يَرْوَى بها عباد الله؛ لأن الفعل (يشرب) اقترن بالباء، فانتقل إلى معنىً هنا يناسبها وهو (يَرْوَى)، فالفعل يضمن معنىً يناسب الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام» أهـ.

(١) وهو الذي رجحه الإمام الطبري في«جامع البيان» (١/ ١٩٢)، فقال بعد ذكره الخلاف: «وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سماوات». وانظر: «معالم التنزيل» (١/ ٦٠)، والمراجع السابقة.

صحيح، وليس خروجاً باللفظ عن ظاهره؛ لأن **دلالة اللفظ على معناه: إما دلالة مطابقة، أو دلالة تضمن، أو دلالة التزام**، وكلٌّ من الدّلالات لا يُخرج اللفظَ عن ظاهره. هذه الدلالات الثلاث أُوَضِّحُهَا بالمثال:

«البيت» يعني: الدار. تدلُّ على جملةِ الدار وكُتْلَتِهَا جميعاً بالمطابقة، أي تدل على بناء مُكَوَّنٍ مِنْ حَجَرٍ وغرفٍ وساحاتٍ وغيرها بالمطابقة. وتدلُّ على كل حجرةٍ أو كل غرفةٍ أو كل ساحةٍ بالتضمن. وتدل على أن هذا البيت لابد له مِنْ بَانٍ بناه بالالتزام.

فنحن نقول: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ إذا كان الله تعالى يراها بِعَيْنه ويَرْعَاها فإنها تجري بمَرْأَىً منه. وهذا معنىً صحيحٌ [(١)]، ويمكن أن نجيبَ بجواب آخر بأن معناها: تجري مَرْئِيَّةً بأعيننا. والمهم أن نُثْبِت من هذه الآية أن لله سبحانه وتعالى عيناً لا تُشبه أَعْيُنَ المخلوقين، ولا يمكن أن نتصوَّر لها كيفية، وبذلك لم نَخْرج عن ظاهر اللفظ.

وقد فسر ابنُ عباس -رضي الله عنهما- قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] أنها العين الحقيقية[(٢)]. والمعنى: أن موسى ﷺ يُرَبَّى على عَيْنِ الله، أي: على رؤيةٍ

---

(١) فإن من المعلوم أن نوحاً عليه الصلاة والسلام كان في الأرض، وأنه صنع السفينة في الأرض، وجرت على الماء في الأرض؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨]، وقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٠-١٤].

ولا يمكن لأحد أن يدَّعي أن ظاهر اللفظ أن السفينة تجري في عين الله عز وجل؛ لأن ذلك ممتنع غاية الامتناع في حق الله تعالى، ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قَدْرِه وعلم أنه مستوٍ على عرشه بائن من خلق ليس حالاً في شيء من مخلوقاته ولا شيء من مخلوقاته حالاً فيه: أن يفهم من هذا اللفظ هذا المعنى الفاسد.

وعلى هذا؛ فمعنى الآية الذي هو ظاهر اللفظ أن السفينة تجري، والله تعالى يكلؤها بعينه. «تقريب التدمرية» (ص: ٥٩).

(٢) **إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.**

أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/٢٠٢٦/رقم: ١٠٨٤٠)، والطبري في «تفسيره» =

بعين الله سبحانه وتعالى[١].

المثال الثالث: قال أهل التأويل: أنتم يا أهل السنة أَوَّلْتُمْ قولَه تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٥] إلى أن المراد: أَقْرَب بملائكتِنَا. وهذا تأويل؛ لأنا لو أخذنا بظاهر اللفظ لكان الضمير ﴿نحن﴾ يعود إلى الله، وأقرب خبر المبتدأ، وفيه ضمير مستتر يعود على الله، فيكون القرب لله عز وجل، ومعلوم أنكم أهل السنة لا تقولون بذلك، لا تقولون: إن الله تعالى يقرب من المحتَضِر بذاتِهِ حتَّى يكون في مكانه؛ لأن هذا أَمْرٌ لايمكن أن يكون؛ إذ إنه قول أهل الحلول الذين يُنكرون عُلُوَّ الله عز وجل، ويقولون: إنه بذاته في كل مكان وأنتم أهل السنة تُنكرون ذلك أشدَّ الإنكار. إذن: ماذا تقولون أنتم يا أهل السنة؟ ألستم تقولون: نحنُ أقربُ إليه -أي: إلى المحتضِرِ- بملائكتنا، أي: الملائكةُ تحضرُ إلى الميِّتِ وتقبضُ رُوحَه؟! هذا تأويل.

قلنا: الجواب على ذلك سهل ولله الحمد؛ فإنَّ الذي يحضرُ الميِّتَ هم الملائكة؛ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]

= (١٢/ ٣٤)، والبيهقي في«الأسماء والصفات» (٢/ ١١٦/ رقم: ٦٨٢) من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: بعيْن الله تبارك وتعالى.

ووقع عند ابن أبي حاتم: عن حجاج بن محمد عن ابن أبي نجيح عن عطاء الخرساني عن ابن عباس به!

قلت: عطاء الخرساني -هو ابن أبي مسلم، أبو عثمان- صدوق يهم كثيراً ويرسل ويدلِّس؛ كما في «التقريب» (رقم: ٥١٧٣)، وانظر: «تهذيب الكمال» (٢٠/ ١١٠).

وابن جريج -هو عبد الملك بن عبد العزيز، الأموي المكي- ثقة فقيه فاضل، وكان يدلِّس ويرسل؛ كما في «التقريب» (رقم: ٤٦٩٥)، ولم يسمع التفسير من عطاء؛ كما في «تهذيب التهذيب» (٦/ ٣٥٩، ٣٦٠)، و«جامع التحصيل» (ص: ٢٨٠-ط السلفي) للعلائي. والله أعلم.

(١) وعلى كلا الأمرين: فظاهر الكلام الذي لا محيص عنه أن يقال: إن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها. وكذلك تربية موسى تكون على عين الله تعالى يرعاه ويكلؤهُ بها. وانظر -ولابد-: «القواعد المثلى» (ص: ٦٧).

فالذي يحضر إلى المحتضِر عند الموت هم الملائكة، وأيضاً في نفْس الآية ما يدلُّ على أنه ليس المرادُ قُرْبَ الله سبحانه وتعالى نفسه؛ فإنه قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥]، فهذا يدل على أن هذا القريبَ حاضرٌ، لكن لا نُبصرُهُ، وذلك لأن الملائكةَ عالَمٌ غَيْبِيٌّ، الأصلُ فيهم الخَفَاءُ وعدمُ الرؤية.

وعلى هذا: فنحن لم نَخْرُجْ بالآية عن ظاهرها لوجود لفظٍ فيها يُعَيِّنُ المرادَ[1]. و(نحنُ) على العَيْنِ والرأسِ، والقلبُ نقبل[2] كلَّ شيءٍ كان بدليلٍ من كتاب الله ومن سُنَّةِ رسولِه ﷺ.

المثال الرابع: قال أهلُ التأويل: أنتم يا أهلَ السنةِ أَوَّلْتُم قولَه تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فقلتُم: وهو معكم بِعِلْمِه. وهذا تأويلٌ؛ فإن الله تعالى يقول ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] والضمير في قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] يعودُ إلى الله. فأنتم يا أهل السنة أوَّلتم هذا النصَّ وقلتم: إنه معكم بالعِلْمِ. فإذن كيف تُنكرون علينا التأويل؟!

قُلْنَا: نحن لم نُؤَوِّلِ الآيةَ، بل إنما فسَّرْنَاها بلازِمها وهو: العِلْم، وذلك لأن قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ لا يُمْكنُ لأيِّ إنسانٍ يعرفُ قَدْرَ الله عز وجل ويعرفُ عظمَته أن يتبادرَ إلى ذهنه أنه هو ذاته مع الخلق في أمكنتهم؛ فإن هذا أمرٌ مستحيلٌ، كيف يكون الله معكَ في البيتِ، ومع الآخر في المسجدِ، ومع الثالث في الطريقِ، ومع الرابع في البَرِّ،

---

(١) بقي أن يقال: فلماذا أضاف الله القرب إليه؟ وهل جاء نحو هذا التعبير مراداً به الملائكة؟
والجواب: أضاف الله تعالى قرب ملائكته إليه؛ لأن قربهم بأمره، وهم جنوده ورسله.
وقد جاء نحو هذا التعبير مراداً به الملائكة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]؛ فإن المراد به قراءة جبريل القرآن على رسول الله ﷺ، مع أن الله تعالى أضاف القراءة إليه، لكن ما كان جبريل يقرؤه على النبي ﷺ بأمر الله تعالى صحت إضافة القراءة إليه تعالى.
وكذلك جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤]، وإبراهيم إنما كان يجادل الملائكة الذين هو رسل الله تعالى. أهـ. «القواعد المثلى» (ص: ٦٥-٦٦).

(٢) كذا في الأصل، ولعل صوابه: «يقبل»، أو يكون (القلب) معطوفاً على «العين والرأس».

ومع الخامس في الجوِّ، ومع السادس في البحرِ. . .إلخ؟! لو قلنا بهذا فكم إلهاً يكون!! لو قلنا بهذا لزم أن يكون الله إما متعدِّداً، أو متجزِّئاً -تعالَى الله عن ذلك عُلُوّاً كبيراً-! وهذا أمر لا يمكن[1]. ولهذا نقول: مَنْ فَهِمَ هذا الفهم فهو ضالٌّ في فهمه، ومَنْ اعتقده فإنه ضالٌّ إن قَلَّد غيره بذلك، وكافِرٌ إذا بلَغَه العِلْم وأَصَرَّ على قوله، ومَنْ نَسَبَ إلى أحد من السَّلَفِ أن ظاهر الآية «أن الله معهم بذاته في أمكنتهم» فإنه -بلا شك- كاذبٌ عليهم.

إذن: أهلُ السنة والجماعة يقولون: نحن نؤمن بأن الله تعالى فوق عرشه، وأنه لا يحيط به شيءٌ من مخلوقاته، وأنه مع خلْقِه كما قال في كتابه، ولكن مع إيماننا بِعُلُوِّهِ.

ولا يمكنُ أن يكون مقتضى مَعِيَّتِه إلا الإحاطةُ بالخلقِ عِلْماً، وقُدْرةً، وسلطاناً، وسمعاً، وبصراً، وتدبيراً، وغير ذلك من معاني الربوبية، أما أن يكون حَالاً في أمكنتهم، أو مختلِطاً بهم -كما يقول أهل الحلول والاتحاد- فإن هذا أمرٌ باطلٌ لايمكن أن يكون هو ظاهر الكتاب والسنة.

---

(١) كان الأَوْلَى بالشيخ -حفظه الله- أن يردَّ هذا القول بما قاله في «القواعد» (ص:٥٣-٥٤)؛ إذ قد يقول زائغٌ: إن الشيخ قد علَّلَ استحالة القول (بأنه سبحانه مع الخلق في أمكنتهم بذاته) بالسؤال بـ«كيف»، ومن المعلوم عن السلف -وبه تقولون- أنه لا يقال في الصفات: «كيف»!

وها أنا أنقل كلام الشيخ من كتابه «القواعد المثلى» لإتمام الفائدة، قال -حفظه الله-:

«**وتفسيرُ معية الله تعالى لخلقه بما يقتضي الحلول والاختلاط باطلٌ من وجوه**:

الأول: أنه مخالف لإجماع السلف! فما فسرها أحد منهم بذلك، بل كانوا مجمعين على إنكاره.

الثاني: أنه منافٍ لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السلف! وما كان منافياً لما ثبت بدليل كان باطلاً بما ثبت به ذلك المنافي. وعلى هذا فيكون تفسير معية الله لخلقه بالحلول والاختلاط باطلاً بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السلف.

الثالث: أنه مستلزم للوازم باطلة لا تليق بالله سبحانه وتعالى! ولا يمكن لمن عرف الله تعالى وقدره حق قدره وعرف مدلول المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن يقول: إن حقيقة معية الله لخلقه تقتضي أن يكون مختلطاً بهم أو حالاً في أمكنتهم، فضلاً عن أن تستلزم ذلك! ولا يقول ذلك إلا جاهل باللغة [العربية] جاهل بعظمة الرب جل وعلا».

وعلى هذا: فنحن لم نُؤَوِّلِ الآيةَ ولم نَصْرِفْهَا عن ظاهرها؛ لأن الذي قال عن نفسه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]، هو الذي قال عن نفسه: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وهو الذي قال عن نفسه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

إذن: فهو فوق عباده، ولا يمكن أن يكون في أَمْكِنَتِهم، ومع ذلك فهو معهم محيطٌ بهم علماً وقدرةً وسلطاناً وتدبيراً وغير ذلك.

وإذا أُضيفتْ المعيَّةُ إلى مَنْ يستحِقُّ النصرَ من الرسلِ وأتباعهم اقتضتْ مع الإحاطةِ علماً وقدرةً اقتضتْ نصراً وتأييداً [(١)]، فنحن ولله الحمد ما خَرَجْنَا بِهَذا اللفظ عن ظاهرة

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «الفتوى الحموية» (ص: ٢٠):
«هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد؛ فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] دلَّ ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم، شهيد عليكم، ومهيمن عليكم، عالم بكم. وهذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه. وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته. وكذلك في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧] الآية. ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] كان هذا -أيضاً- حقاً على ظاهره، ودلَّت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد».
ثم قال: «فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها وإن امتاز كل موضع بخاصية فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى يقال: قد صُرفتْ عن ظاهرها!!» أهـ.
قال الشيخ في «القواعد المثلى» (ص: ٥٥-٥٧):
«ويدل على أنه ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق: أن الله تعالى ذكرها في آية الحديد مسبوقة بذكر استوائه على عرشه، وعموم علمه متلوة ببيان أنه بصير بما يعمل العباد، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].
فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية: علمه بعباده وبصره بأعمالهم مع عُلُوِّه عليهم واستوائه على عرشه، لا أنه سبحانه مختلط بهم، ولا أنه معهم في الأرض! وإلاَّ؛ لكان آخر الآية مناقضاً لأولها الدال على علوه واستوائه على عرشه. =

حتى يُلْزِمُونا بذلك.

وقد بَيَّنَ شيخُ الإسلام -رحمه الله- في كُتُبِه المختصرة والمطولة أنه لا تعارض بين معنى المعيةِ حقيقةً وبيْن عُلُوِّ الله سبحانه وتعالى.

قال: «لأن الله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ في جميع صفاته، فهو عَلِيٌّ في دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ في عُلُوِّه»(١).

وقال: «إن الناسَ يقولون: ما زِلْنَا نَسِير والقمر معنا. مع أن القمرَ في السماء، وهم يقولون: ! معنا! فإذا كان هذا مُمْكِناً في حَقِّ المخلوقِ كان في حقِّ الخالقِ من باب أَوْلَى»(٢).

والمهم أننا نحن مَعْشر أهل السنة ما قلنا أبداً -ولا نقول-: إن ظاهر الآية هو ما فهمتوه وأننا صَرَفْنَاهَا عن ظاهرها، بل نقول: إن الآية معناها: أنه سبحانه مع خَلْقِه حقيقةً، معيةً تليقُ به، محيط بهم علماً وقدرة وسلطاناً وتدبيراً وغير ذلك؛ لأنه لا يمكن الجْمعُ بين نصوص المعية وبين نصوص العلو إلا على هذا الوجه الذي قلناه، والله سبحانه وتعالى يفسِّر كلامه بعضُه بعضاً.

= فإذا تبين ذلك علمنا أن مقتضى كونه تعالى مع عباده: أنه يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر شؤونهم؛ فيحي ويميت، ويغني ويفقر، ويؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، إلى غير ذلك مما تقتضيه ربوبيته وكمال سلطانه، لا يحجبه عن خلقه شيء، ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقةً ولو كان فوقهم على عرشه» أهـ. باختصار.

(١) انظر: «العقيدة الواسطية» (ص: ١١٦-شرح الهراس) و(٣/ ١٤٣-ضمن «مجموع الفتاوى»).
وقال الشيخ في «القواعد المثلى» (ص: ٥٩-٦٠): «إنه لو فرض امتناع اجتماع المعية والعلو في حق المخلوق لم يلزم أن يكون ممتنعاً في حقِّ الخالق الذي جمع لنفسه بينهما؛ لأن الله تعالى لا يماثله شيء من مخلوقاته؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيمية».

(٢) انظر: «الفتوى الحموية» (ص: ٥١٩-ط: التويجري)، و«العقيدة الواسطية» (ص: ١١٥-شرح الهراس).
وعقَّبَ الشيخُ -حفظه الله- على قول شيخ الإسلام هذا في «القواعد» (ص: ٥٩) بقوله:
«وصدق -رحمه الله تعالى-؛ فإن من كان عالماً بك، مطلعاً عليك، مهيمناً عليك، يسمع ما تقول، ويرى ما تفعل، ويدبر جميع أمورك؛ **فهو معك حقيقة وإن كان فوق عرشه حقيقة؛ لأن المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان**» أهـ.

المثال الخامس: قال أهلُ التأويل: إنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: قالَ الله تعالى: **«مَنْ عَادَى لي وليّاً فقد آذنْتُه بالحَرْبِ، وما تقرَّبَ إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عليه، ولا يَزَالُ عبدي يَتقرَّبُ إليَّ بالنوافِلِ حتى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُه كنتُ سمعَه الذي يَسمعُ به، وبصرَه الذي يُبصرُ به، ويدَه التي يَبْطشُ بها، ورِجلَه التي يمشي بها، ولئن سألني لأُعْطِيَنَّه، ولئن استعاذَنِي لأُعِيذَنَّه»**[1].

وأنتم يا أهل السنة! هل تقولون: إن الله يكون سَمْعَ، وبَصَرَ، ويَدَ، ورِجْلَ مَنْ يُحِبُّه حقيقةً؟ إن لم تقولوا بذلك فقد صَرَفْتُم الحديثَ عن ظاهره؛ لأن الله يقول: **«كُنْتُ سمْعَه الذي يَسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويدَه التي يبطشُ بها، ورِجْلَه التي يمشي بها»**.

وجوابنا: أنه لاأَحدَ يفهم أن ظَاهِرَ الحديث هو هذا، أي أن الله يكون سمْعَ الإنسان وبصَره ورِجله ويدَه حقيقةً! لا أحدَ يفهم هذا، إلا من كانَ بَلِيدَ الفهم، أو مُظْلِمَ القلْب بالتقليد أو بالدعوى الباطلة!! فالحديث لا يدل على أن حقيقة سمْع الإنسان وبصره ورجله ويده هو الله عز وجل! وحاشاه عز وجل عن ذلك! لا يدل على هذا بأي وجهٍ من الوجوه.

إقرأ الحديث: **«مَنْ عَادَى لي وَليّاً فقد آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضْتُهُ عليه»**. فأَثْبَتَ عابداً ومعبوداً، ومتقرِّباً ومتقرَّباً إليه، **«ولا يزالُ عبدي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ»** فأَثْبَتَ مُحِبّاً وَمحبوباً، **«ولَئن سَألني لأُعْطِيَنَّهُ»** فأَثْبَتَ سائلاً ومسئولاً، ومعطي ومعطى، **«ولَئن اسْتَعاذَنِي لأُعِيذَنَّه»** فأَثْبَتَ مُسْتَعيذاً ومُستعاذاً به، ومن المعلوم أن كل واحدٍ من هذيْن هو غيرُ الآخر بلا ريب[2].

---

(١) رواه البخاري في«الصحيح» (كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم: ٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

ولشيخنا الألباني -حفظه الله- في«الصحيحة» (رقم: ١٦٤٠) بحث جيد حَول هذا الحديث، فليراجعها من شاء.

(٢) وهذا يمنع أن يكون أحدهما وصفاً في الآخر أو جزءاً من أجزائه. =

إذا تقرر هذا؛ فكيف يمكن أن يفهم أحدٌ من قوله تعالى في هذا الحديث القدسي «**كنتُ سَمْعَهُ**» أن الله سيكون جزءاً في هذا المخلوق الذي يتقرَّبُ إليه، والذي يستعيذ به، والذي يسأله!! هذا لا يمكن أحداً أن يفهمه أبداً من سياق الحديث، وبهذا يكون معنى الحديث، وظاهرَ الحديث وحقيقةَ الحديث: أن الله سبحانه وتعالى يُسَدِّدُ هذا الإنسانَ في سمْعِه، وبصَرِه، وسَعْيِه، فلا يَسْمَعُ إلا بالله، ولله، وفي الله، ولا ينظر إلا لله، وبالله، وفي الله، ولا يبَطش إلا لله، وبالله، ولا يمشي إلا لله، وبالله، وفي الله[(١)]. هذا هو معنى الحديث وحقيقته وظاهره، وليس فيه -ولله الحمد- أيُّ شيءٍ من التأويل[(٢)].

المثال السادس: قال أهلُ التأويل: إنكم يا أهل السنة أوَّلتم قول الرسول ﷺ: «**إنَّ قُلُوبَ بني آمَ بيْن أُصْبُعَيْن من أَصَابِعِ الرَّحمن**»[(٣)]؛ حيث قلتم: إن المرادَ أن الله

= وثَمَّ وجه آخر، وهو: أن سمع الولي وبصره ويده ورجله كلها أوصاف أو أجزاء في مخلوق حادث بعد أن لم يكن، ولا يمكن لأي عاقل أن يفهم أن الخالق الأول الذي ليس قبله شيء يكون سمعاً وبصراً ويداً ورجلاً لمخلوق!

انظر: «القواعد المثلى» (ص: ٦٨-٦٩).

(١) قوله: «لله» أي: إخلاصاً له سبحانه وتعالى.
وقوله: «وبالله» أي: استعانة به سبحانه وتعالى.
وقوله: «وفي الله» أي: شرعاً واتباعاً.
فيتم له بذلك كمال الإخلاص والاستعانة والمتابعة. وهذا غاية التوفيق. وهذا ما فسره به السلف، وهو تفسير مطابق لظاهر اللفظ، موافق لحقيقته، متعين بسياقه، وانظر: «القواعد» (ص: ٦٩).

(٢) وللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء جوابٌ جيدٌ عن معنى هذا الحديث، ضمن «فتاوى إسلامية» (١/ ٣٥-٣٦-جمع المسنَد)، قالوا في آخره:
«وهذا الحديث نظير الحديث القدسي الآخر: «**يقول الله تعالى: عبدي! مرضتُ فلم تعدني...**» إلخ، فكلٌ منهما يشرح آخرُهُ أوَّلَه، ولكن أرباب الهوى يتبعون ما تشابه من النصوص، ويعرضون عن المحْكَم منها، فضلوا سواء السبيل».

(٣) رواه مسلم في «الصحيح» (كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، رقم: ٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-، وتكملته:
«**كقلبٍ واحدٍ، يصرفه كيف يشاء**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ! مُصَرِّفَ القُلوبِ صَرِّفْ قلُوبَنَا إلى طاعَتِكَ**».

سبحانه وتعالى مُتَصَرِّفٌ في القلوب، ولا يمكن أن تكون القلوبُ بيْن أُصبعيْنِ من أصابع اليد؛ فإن هذا يقتضي الحُلُولَ وأن أصابعَ الله حالَّةٌ في صَدْرِ كلِّ إنسانٍ!

قلنا: هذا كذبٌ على السَّلَف!! والسَّلفُ ما أَوَّلُوا هذا التأويل، ولا قالوا: إن الحديثَ كنايةٌ عن سُلطان الله تعالى، وتَصَرُّفِهِ في القلوب! بل قالوا: نُثْبِتُ أن لله تعالى أصابع، وأن كلَّ قلبٍ من [قلوب][1] بني آدم فهو بيْن أُصبعيْن من أصابعه على وجْهِ الحقيقةِ[2]، ولا يَلْزَمُ من ذلك الحلُول أبداً؛ فإن الْبَيْنِيَّةَ بين شيْئَيْنِ لا يلزمُ منها المُمَاسَّةُ والمُبَاشَرَةُ؛ أَرَأَيْتُمْ قولَ الله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] هل يَلْزَمُ من ذلك التعبير أنْ يكون السحابُ لاصِقاً بالسماءِ والأرض؟! لا يمكن[3]. فقلوبُ بني آدمَ كلها كما قال نَبِيُّنَا ﷺ -وهو أَعْلَمُ الخلق بالله- «**بين أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحمن**»، ولا يَلزمُ مِنْ ذلك أن يكون مُمَاسّاً لهذه القلوب، بل نقول كما قال نبيُّنا، ونقول هذا على وجه الحقيقة وليس فيه تأويل.

ونُثْبِتُ مع ذلك -أيضاً- أنَّ الله تعالى يَتَصَرَّفُ في هذه القلوب كما يشاء كما جاءَ في الحديثِ، ونقول: اللهمَّ مُصَرِّف القلوب صَرِّفْ قلوبَنَا إلى طاعتك.

---

(١) ما بين المعقوفتين من إضافتي.

(٢) وقد ترجم الإمام الآجري -رحمه الله- في كتابه «الشريعة» (ص: ٣١٦) لهذا الحديث بقوله: «**الإيمان بأن قلوب الخلائق بين أصبعيْن من أصابع الرَّبِّ عز وجل بلا كيف**».

(٣) وكذلك يقال: بدر بين مكة والمدينة. مع تباعد ما بينها وبينهما.

ويقال: سترة المصلي بين يديه، وليست مباشرة له، ولا مماسة له.

فإذا كانت البَيْنِيَّة لا تستلزم المباشرة والمماسة فيما بين المخلوقات؛ فكيف بالبينية فيما بين المخلوق والخالق الذي وسع كرسيه السماوات والأرض، وهو بكل شيء محيط؟! وقد دلَّ السمعُ والعقلُ على أن الله تعالى بائنٌ من خلقه، ولا يحل في شيء من خلقه، ولا يحل فيه شيء من خلقه، وأجمع السلف على ذلك.

وانظر: «التدمرية» (ص: ٤٩) و«القواعد» (ص: ٥١).

المثال السابع والأخير: فهو «**الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ الله في الأرض**»[١]. قال أهل التأويل: إنكم تُؤَوِّلُونَ هذا الحديثَ؛ لأنكم لا يمكن أن تقولوا: إن الحَجَرَ هو يدُ الله!

ونقول، هذا حقٌّ، لا يمكن لأحدٍ أن يقول: إن الحجرَ الأسودَ هو يَدُ الله عزَّ وجلَّ، ولكن قَبْل أن نُجيبَ على هذا نقول: إن هذا الحديثَ باطِلٌ، ولا يَثْبُتُ عن النبي ﷺ.

---

(١) حَدِيثٌ ضَعِيفٌ جِدًّا.

أخرجه الخطيب في «التاريخ» (٦/ ٣٢٨)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٣٦)، وابن بشران في«الأمالي» (رقم: ١٢)، وأبو بكر بن خلاد في «الفوائد» (١/ ٢٢٤/ ٢) -كما في «الصحيحة» (رقم: ٢٢٣)-، وابن الجوزي في«العلل المتناهية» (٢/ ٥٧٥/ رقم٩٤٤) من طريق إسحاق بن بشر الكاهلي: ثنا أبو معشر المدائني عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً.

قال ابن عدي: «وإسحاق بن بشر الكاهلي. . .في عداد من يضع الحديث». وكذا قال الدارقطني؛ كما نقله عنه ابن الجوزي في «العلل» (٢/ ٥٧٥/ ٩٤٤).

قلت: وإسحاق هذا كذبه -أيضا- أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو زرعة وغيرهما. وشيخه ضعيف.

والحديث ضعفه المناوي في«فيض القدير» (٣/ ٤١٠)، ونقل هناك تضعيف ابن الجوزي له وقول ابن العربي: «حديث باطل».

وقد توبع إسحاق عند ابن عساكر في«تاريخ دمشق» (١٥/ ٩٠/ ٢)، لكن في الطريق إلى المُتَابِعْ له رجلٌ متهم.

قال شيخنا الألباني -حفظه الله- في «الضعيفة» (١/ ٣٩١): «فالحديث باطل على كل حال».

قلت: ورُوي من حديث ابن عمرو -رضي الله عنهما-:

أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (رقم: ٢٧٣٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ١٧٧/ رقم٥٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٧)، وابن الجوزي في«العلل» (٢/ ٥٧٦/ ٩٤٥) من طريق عبد الله بن المؤمَّل: سمعت عطاء بن أبي رباح يحدِّث عن ابن عمرو مرفوعاً: «**يأتي الركن يوم القيامة أعظم من أبي قُبَيْس، له لسان وشفتان يشهدان لمن استلمه بالحق، وهو يمين الله عز وجل التي يصافح بها خلقه**».

وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢١١) دون الفقرة الأخيرة منه:

قال الطبراني: «لم يروْ هذا الحديث عن عطاء عن عبد الله بن عمرو إلا عبد الله بن المؤمل».

وقال الحاكم: «صحيح»! وتعقبه الذهبي بقوله: «عبد الله بن المؤمل واه».

وقال المنذري في«الترغيب» (٢/ ١٩٤): «إسناده حسن»!!

وقال ابن الجوزي: «وهذا لا يثبت؛ قال أحمد: عبد الله بن المؤمل أحاديثه مناكير. وقال علي بن الجنيد: شبه المتروك».

قال ابنُ العربيِّ: «إنه حديثٌ باطلٌ».

وقال ابنُ الجوزيِّ في «العِلَل المتناهية»: «إنه حديثٌ لا يَصِحُّ».

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية -رحمه الله-: «رُوِيَ عن النبي ﷺ بإسنادٍ لا يَثْبُت».

وعلى هذا: فإنه ليس وارداً على أهل السنة والجماعة؛ لأنه لا يصحُّ عن النبي ﷺ. ولكن قال شيخُ الإسلام: إنه مشهورٌ عن ابن عباس[١]. ولكنه مع ذلك لايُعطي المعنى الذي قالَه هؤلاء، وأن الحجرَ الأسودَ يمينُ بالله؛ لأنه قال: «يمينُ الله في الأرض»، فقيده. قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية -رحمه الله-: والكلامُ إذا قُيِّدَ ليسَ كالكلامِ المطْلَق. ما قال: «**يمين الله**» وسكت.

قال: «**في الأرض**»، ومعلومٌ أن يمينَ الله ليست في الأرض! كذلك -أيضاً- قال في نفس الحديث -كما رواه شيخ الإسلام ابن تيمية- «**فَمَنْ صَافَحَهُ فَكَأنما صَافَحَ الله**»، والتشبيه يدل على أن المشبَّه به ليس هو المشبَّه، وإنما هو غيره[٢].

وخلاصةُ القول:

أن أهلَ السنة والجماعةِ -ولله الحمد- لا يمكنُ أن يُخْرِجُوا الكلامَ عن ظاهره؛ لأن ظاهرَ الكلام وحقيقتَه ما دلَّ عليه سياقُه، وهو مختلِفٌ بحسبِ السياقِ وبحسبِ الأحوالِ. فإن لم يمكن ذلك وأَبى إنسانٌ إلاَّ أن يجعل معنى الكلمةِ معنىً ذاتياً لها؛ فإننا نقول: لا يمكنُ لأهلِ السنةِ والجماعةِ أن يتركوا هذا المعنى الذي ادعى أنه ذاتيٌ لها إلا بدليلٍ من

---

(١) وهو **ضَعِيفٌ جِدًّا**.
أخرجه ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٣/١٠٧/١) عن إبراهيم بن يزيد عن عطاء عن ابن عباس موقوفاً عليه.
قال شيخنا الألباني في «الضعيفة» (١/٣٩١): «والوقف أشبه، وإن كان سنده ضعيف جداً؛ فإن إبراهيم هٰذا -وهو الخوزي- متروك؛ كما قال أحمد والنسائي».

(٢) ففي نفس الحديث بيان أن مستلمه ليس مصافحاً لله! وأنه ليس هو نفس يمينه؛ فكيف يُجعل ظاهره كفراً؟!!! وانظر: «التدمرية» (ص:٤٨) و«مجموع الفتاوى» (٦/٣٩٧، ٨) لشيخ الإسلام ابن تيمية -يرحمه الله-.

الكتاب والسنة، ومتى دلَّ الكتابُ والسنةُ على شيءٍ وَجَبَ القولُ به سواءٌ وافقَ ما يقال إنه ظاهر اللفظ، أو خالَفَه. ونحن كلنا نلْتَمِسُ ما قالَه الله عن نفسه، وما قالَه عنه رسوله ﷺ. ويدلُّكم لهذا ما ثَبَتَ في «صحيح مسلم» أن الله تعالى يقول: «**عَبْدِي! جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْني، عبدي! مَرِضتُ فَلَمْ تَعُدْني. فيقولُ: كيفَ أُطْعِمُكَ وأنتَ ربُّ العالمينَ؟! كيفَ أعُودُكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟! فيقولُ الله عز وجل: أَمَا عَلِمْتَ أنَّ عبدي فُلاناً جَاعَ فَلَمْ تُطْعِمْهُ! مَرِضَ فلمْ تَعُدْه!**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (كتاب البر، باب فضل عيادة المريض، رقم: ٢٥٦٩) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعاً، وهاك نصُّه:

«**إنَّ الله عز وجل يقولُ يومَ القيامةِ: يا ابنَ آدم! مَرِضتُ فَلَمْ تَعُدْني! قال: يا رب! كيفَ أعُودُكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟! فيقول: أما عَلِمْتَ أن عبدي فُلاناً مَرِضَ فلم تَعُدْهُ؟ أما عَلِمْتَ أنك لو عُدْتَهُ لوجدتني عنده؟! يا ابنَ آم! اسْتَطْعَمْتُكَ فلم تُطْعمني! قال: يا رب! كيف أُطْعمك وأنت ربُّ العالمين؟! فيقول: أما عَلِمْتَ أنهِ اسْتَطْعَمَكَ عبدي فلانٌ فلم تُطْعِمْه؟ أما علمتَ أنك لو أَطْعمته لوجدتَ ذلك عندي؟! يا ابنَ آدم! اسْتَسَقَيْتُكَ فلم تَسْقِني! قال: يا رب! كيف أَسقيك وأنت رب العالمين؟! فيقول: اسْتَسْقَاكَ عبدي فلانٌ فلم تَسْقِهِ! أما علمتَ أنك لو سَقَيْتَهُ لوجدتَ ذلك عندي؟!**».

فائدة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «التدمرية» (ص: ٤٨):

«وهذا صريح في أن الله سبحانه لم يَمْرض ولم يَجُعْ، ولكن مَرِضَ عبدُه، وجاعَ عبدُه، فجعل جوعَه جوعَه، ومرضه مرضَه، مفسراً ذلك بأنك لو أطعمته لوجدت ذَلك عندي، ولو عدته لوجدتني عنده، فلم يبق في الحديث لفظ يحتاج إلى تأويل» أهـ.

وقال الشيخ في «القواعد المثلى» (ص: ٧٦):

«فقوله تعالى: «مرضت» و«استطعمتُك» و«استسقيتك» بَيَّنَه الله تعالى بنفسه حيث قال: «**أما علمت أن عبدي فلاناً مرض**»، وأنه «**استطعمك عبدي فلان**»، و«**استسقاك عبدي فلان**». **وهو صريح في أن المرادَ به مرضُ عبدٍ من عباد الله، واستطعامُ عبدٍ من عباد الله، واستسقاءُ عبدٍ من عباد الله.** والذي فسره بذلك هو الله المكتلِّم به، وهوأعلم بمراده.

فإذا فسرنا المرض المضاف إلى الله والاستطعام المضاف إليه والاستسقاء بمرض العبد واستطعامه واستسقائه؛ لم يكن في ذلك صرف للكلام عن ظاهره؛ لأن ذلك تفسير المتكلِّم به، فهو كما لو تكلَّم بهذا المعنى ابتداءً. **وإنما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولاً للترغيب، والحثِّ؛ كقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]**».

هذا الحديث يدلُّنا دلالةً ظاهرةً على أنَّ ما جَاءَ في الكتابِ والسنةِ مما أضافَه إلى نفسِهِ فهو حَقٌّ على ظاهرِهِ ما لم يَرِدْ عن الله ورسوله صَرْفُه عن ذلك، فإن وَرَدَ صرفُه عن ظاهرِهِ فإننا آخذُون به، وهذا الحديثُ الأخيرُ دليلٌ واضحٌ على منع التأويل الذي ليس له دليلٌ من الكتابِ والسنةِ[1].

ولعلنا نَقْتَصِرُ على هذا خَوْفاً من التطويل، والحمدُ لله ربِّ العالمينَ، وصلَّى الله وسَلَّمَ على نَبِيِّنَا محمدٍ وعلىَ آلِهِ وأصحابِهِ أجمعين.

---

(١) إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها -كما يقولون-؛ لبَيَّنَه الله ورسوله؛ كما في هذا الحديث . ولو كان ظاهرها اللائق بالله ممتنعاً على الله؛ لكان في الكتاب والسنة من وصف الله تعالى بما يمتنع عليه ما لا يُحصَى إلا بكلفة، وهذا من أكبر المحال!! «القواعد» (ص: ٧٦).

باب
سؤال وجواب فى العقيدة

● ما المقصود بكلمة «العقيدة»؟

الجواب: المقصودُ بالعقيدةِ في اصْطِلاحِ العلماء: كلُّ خَبَرٍ جَاءَ عن اللهِ عزَّ وجلَّ أو رسولِهِ ﷺ يتضَمَّنُ خبراً فيما لا يتعلَّقُ به حكمٌ عمليٌّ شرعيٌّ، أما إذا كانَ الخبرُ المشارُ إليه (كتاباً أو سنةً) فيه حُكْمٌ عمليٌّ؛ فهٰذا لا يضعونه في صَفِّ العقائدِ، وإنما يحشرونَهُ في صفِّ الأحكامِ الشرعيةِ، هٰذا هو الاصطلاح ولا حرج في الاصطلاح في العلومِ الشرعيةِ مالم يخالف كتاباً أو سنة؛ لأن الغرض منه تيسير الفهم على الناس.

● حديثُ التسعة والتسعين اسماً عند الترمذي وابن ماجة[1]...

(١) حَدِيثٌ ضَعِيفٌ.

أخرجه الترمذي في «الجامع» (رقم: ٣٥٠٧)، وابن ماجه في «السنن» (رقم ٣٨٦١)، والطبراني في «الدعاء» (رقم ١١١)، والبغوي في «شرح السنة» (رقم: ١٢٥٧)، وابن حبان في «الصحيح» (رقم: ٧٠٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/١٦، ١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/٥٩-٦٠) و«الاعتقاد» (ص٥٠)، و«الأسماء والصفات» (رقم:٦)، والخطابي في «شأن الدعاء» (ص:٩٨)، وغيرهم من طرق عن أبي هريرة مرفوعاً: «**إِنَّ لله تِسْعَةً وتِسْعينَ اسْمَاً، مِئَةٌ إِلاَّ وَاحِدَاً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**...»، ثم سرد الأسماء مع اختلاف فيها وزيادة ونقصان.

قال الترمذي: «حديث غريب».

وقال البغوي: «يحتمل أن يكون ذكر هٰذه الأسامي من بعض الرواة».

وقال الداوودي: «لم يثبت عن النبي ﷺ أنه عيَّن الأسماءَ المذكورة في الحديث».

وقال ابن تيمية في «المجموع» (٢٢/ ٤٨٢): «لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ»، ثم ذكر -رحمه الله- رواية الوليد التي فيها سرد الأسماء وقال: «وحفاظ أهل الحديث يقولون: هٰذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث».

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٥٨): «والذي عوَّل عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هٰذا الحديث مدرج فيه، وإنما ذٰلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذٰلك، أي أنهم جمعوها من القرآن كما روي عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبو زيد اللغوي، والله أعلم».

ورجَّحَ أن ذكر الأسماء مدرج من كلام الراوي الحافظُ ابن حجر كما في «الفتوحات الربانية» لابن علان (٣/ ٢٢١)، وله -رحمه الله- كلام نفيس جداً في كتابه العظيم «فتح الباري» (١١/ ٢١٤) =

كأنكم في «صحيح الترمذي» . . . فيه تضعيف أو تحسين لها . . . للحديث . . ؟

الجواب: الحديثُ الذي فيه تفصيلُ الأسماءِ (ضعيفٌ)، أما بدون التفصيل فهو في «صحيح البخاري»[1].

ثم بالإضافة إلى الضَّعْفِ في سنده هناك اختلافٌ كبيرٌ جداً في الروايات في تحديد هٰذه الأسماء التسعةِ والتسعين.

فبعضُ الرواياتِ تَذْكر بعضَ الأسماءِ وروايةٌ أخرى في نفسِ الحديثِ تَذْكر أسماءَ أخرى!

● **هل تظن أنه يمكن لعالم مُحَقِّقٍ أن يتوصل إلى تحديد الأسماء التسعة والتسعين؟**

الجواب: بالتحديد لا يمكن، لٰكن يستطيعُ أن يحصيَ الأسماءَ الحسنى، وهي بلا شك أكثرُ من مئةٍ إلا واحداً، أما التي جاء فيها الفضيلة -«**مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»- فهٰذهِ مِنَ الصُّعُوبةِ بمكان.

● **يعني أنتم تَرَوْن أن الأسماءَ الحسنى أكثرُ من تسعةٍ وتسعين؟**

الجواب: نعم؛ لأنَّ الحديثَ -كما أظنُّ لا يَخفى عليكم- لا يفيدُ حَصْرَ الأسماءِ الإلاَهِيَّةِ، وإنما يفيدُ حَصْرَ الأسماءِ الإلٰهِيَّةِ التي مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجنَةَ. أظنُّ الفَرْقَ في تعبيري واضحاً.

= و«التلخيص الحبير» (٤/ ١٧٢-١٧٣)، وله جزء مفرد في طرقه، مطبوع عن دار الغرباء الآثرية، فليراجعه من شاء، و-أيضاً- للإمام أبي نعيم الأصبهاني جزء في طرقه مطبوع عن نفس الدار، والحديث مع ذكر الأسماء ضَعَّفَه شيخُنَا الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» (رقم: ١٩٤٣، ١٩٤٥، ١٩٤٦).

(١) **بل متفقٌ عليه**:

أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الدعوات، باب لله مئة اسم غير واحد، رقم: ٦٤١٠)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، رقم ٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

● نعم، واضح . . . **لماذا نقول هٰذا القول؟**

الجواب: لأن هناك -أولاً- بالتَّتَبُّعِ أسماء أكثر من تسعةٍ وتسعين . . .

وثانياً: هناك الدعاء: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ . . .**» إلى آخر الحديث[1].

● **لكنْ هٰذا الحديثُ قَسَّمَ الأَسماءَ إلى ثلاثةِ أقسام: القسم الأول: هو الذي استأثرَ اللهُ به في علمِ الغيبِ عندَهُ وما أَطْلَعَنَا عليه.**

الشيخ: ما لنا به !!

● **والقسم الثاني: هو الذي آثَرَ بِهِ بعضَ خلْقِه، وهٰذا أيضاً خاصٌّ بهم، سواء بعض الملائكة أو بعض المرسلين، فيبقىٰ ما أَنْزله في كتابه.**

الجواب: نعم، وهٰذا سَبَقَ الجوابُ عنه، ولذٰلك يبقى: «**أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدَاً مِنْ خَلْقِكَ**» شاملاً للبشر أيضاً.

---

(١) حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

رواه أحمد في «المسند» (١/ ٣٩١، ٤٥٢)، وابن حبان في «الصحيح» (رقم: ٩٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم: ١٠٣٥٢)، الحارث بن أبي أسامة في «المسند» (ص: ٢٥١ - زوائده)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥١٩)، وغيرهم من طريق فضيل بن مرزوق: ثنا أبو سلمة الجُهَني عن القاسم بن عبد الرحمٰن عن أبيه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا أَصَابَ أَحَدَاً قَطُّ هَمٌّ وَلاَ حُزْنٌ، فقالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عبدُكَ، وابنُ عبدِكَ، وابنُ أَمَتِكَ، ناصِيَتِي بيدكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بكل اسْمٍ هو لك سَمَّيْتَ بِهِ نفسَكَ، أو عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خلْقِكَ، أو أَنْزلْتَه في كتابِكَ، أو اسْتَأْثَرْتَ به في عِلْمِ الغيب عندك: أنْ تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، ونور صدري، وجلاءَ حُزْني، وذَهَابَ همِّي؛ إلاَّ أَذْهَبَ اللهُ همَّه وحُزْنَه، وأَبْدَلَهُ مكانَه فَرَجَاً» فقيل: يا رسول الله ! ألا نتعلَّمُهَا؟ فقال: «بلَى، ينبغي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا».

قلت: وسنده صحيح على شرط مسلم، وصححه ابن القيم في «شفاء العليل» (ص: ٢٧٤)، وأحمد شاكر في تعليقه على «المسند»، وشيخنا الألباني في «الصحيحة» (رقم: ١٩٩). وانظر تخريجه بتوسع في تعليقي على «شرح الحديث القدسي: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي» شرح شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

فائدة: قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في «تفسيره» (٢/ ٢٥٨): «ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين؛ بدليل ما رواه الإمام أحمد . . .» فذكره.

● **الأسماءُ الحسنى التي أحصاها هو بنفسه بلَغَتْ ٢٦٠ اسماً.**

الجواب: وجدتُ أكثرَ مَنْ توسَّع فيها ابنَ العربيِّ وابنَ الوزيرِ، لٰكن باختبار... إجراءِ اختباراتٍ على الأسماء هٰذه التي وَصَلوا بها إلى ١٧٦.. أكثرَ الزياداتِ على التسعةِ وتسعينَ لا يُسَلَّمُ بها، يعني -مثلاً-: عدُّوا مِنْ أسمائه: الماكر، والمخادع، والمستهزِئ، والمستهزىء، والمبلي، والبالي، والشائي، والممكن،... ولذٰلك اشْتَدَّ ابنُ القيم في تعليقه على ابنِ العربي في إيرادِ هٰذه الأسماء!

لا شك... هٰذه ليست أسماء.. هٰذا اسم من عندنا... اشتقاق.

● وجدت الذي ورد في الكتاب والسنة يزيد على التسعة وتسعين حوالي ستة أسماء فقط.

الشيخ: نعم.

● الذي يمكن أن تُطَبَّقَ عليه الضوابطُ والقواعدُ المستخلصة من الكتاب والسنة.

الشيخ: نعم. شيء جميل، ما أدري كيف ابن الوزير وابن العربي أجازا الاشتقاق.

● يجيز... ينص ابن العربي صراحة على جوازه.

الشيخ: طيب هنا كل فعل نَسَبَهُ ربنا عز وجل إلى نفسه سيشتق منه اسم؟

● نعم، ولذٰلك هو يقول الأسماء أكثر من هٰذا.

الشيخ: يعني مثلاً هو يسمى ربَّه بالمُبكي والمُضْحك؟

● لم يورد هٰذا لٰكن مثلاً: (الجائي) جعله اسماً ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢].

الشيخ: إذاً أيضاً المستوي؟

● نعم، المستوي اسم عنده.

الشيخ: لا. هٰذا بلا شك توسعٌ غير محمود[١].

● ولذلك عنده تبلغ ١٠٠٠ اسم.

الشيخ: الحديث يقول «سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ».

● هل يجوز أن نستغيث بكلام الله، فنقول: يا كلام الله؟

الجواب: الحقيقة أن الوقوف مع النصوص الشرعية -خاصة في العبادات- يريحُ النفسَ ويُطَمْئن القلبَ.

● هل وردتْ أحاديث صحيحةٌ تُحدِّد اسمَ اللهِ الأعظم؟ وما هو؟

الجواب: اسمُ الله الأعظم هو اسم الذات؛ وهو لفظ الجلالة (الله)، وقد جاء في بعض الأحاديث الصحيحة: أنّ رجلاً كان يدعو ويقول: «اللهم إني أسألك، بأنك أنت الله، الأحد، الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»، فقال الرسول ﷺ: «**ادْعُ؛ فقد استُجِيبَ لكَ، ادْعُ؛ فقد سَأَلْتَ اللهَ باسمه الأعظم الذي إذا سُئل به أَعطى، وإذا دُعيَ به استجاب**»[٢].

---

(١) انظر ما سبق (ص: ٢١-٢٢) والتعليق عليه.

(٢) حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٩، ٣٥٠)، وأبو داود في «السنن» (رقم ١٤٩٣، ١٤٩٤)، والترمذي في «الجامع» (رقم ٣٤٧٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٢/ ٦٢٠-٦٢١ و٤/ ٣٩٤-٣٩٥)، وابن ماجه في «السنن» (رقم ٣٨٥٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٢٧١)، وعبد الرزاق في «المصنف» (رقم: ٤١٧٨)، وابن منده في «التوحيد» (٢٠١)، والطبراني في «الدعاء» (١١٤)، والطحاوي في «المشكل» (١٧٣)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (رقم ٨٩١، ٨٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٤)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (١٩٥)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٤٤٢-٤٤٣)، والبغوي في «شرح السنة» (رقم ١٢٥٩، ١٢٦٠)، وغيرهم من طريق مالك بن مِغْوَل: نا عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً [يصلِّي] يَدْعُو، يقول: اللَّهُمَّ إني أَسْأَلُكَ أني أَشْهَدُ أنك أنت اللهُ، لا إلهَ إلا أنتَ، الأحدُ الصَّمَدُ، الذي لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ، ولَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ! فقال رسول الله ﷺ: =

وفي حديث آخر: «**لقد دَعَا الله باسمه الأعظم**»[١]،

= «**لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بالاسْمِ الذي إذا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وإذا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**».

قال الترمذي: «حديث حسن غريب».

وقال الحاكم: «هٰذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

وقال شيخنا في كتابه «التوسل» (ص: ٣٠): «إسنادهُ صحيح».

قلت: ووقع في «مسند أحمد»: «ثنا يحيى بن عبد الله بن بريده»، بزيادة «يحيى بن»، وهو خطأ!

وقال الحافظ أبو الحسن المقدسي -كما في «عون المعبود» (٤/ ٢٥٤)-: «وهٰذا إسنادٌ لا مطعن فيه، ولا أعلم أنه روي في هٰذا الباب حديث أجود إسناداً منه، وهو يدل على بطلان مذهب مَنْ ذَهب إلى نفي القولِ بأن للهِ اسماً هو الاسم الأعظم! وهو حديثٌ حسنٌ».

(١) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ**:

أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٨، ٢٤٥)، وأبو داود في «السنن» (رقم ١٤٩٥)، والنسائي في «السنن» (٣/ ٥٢) وفي «الكبرى» (رقم: ١١٣٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (رقم ٧٠٥)، والطبراني في «الدعاء» (رقم: ١١٦)، والطحاوي في «المشكل» (١/ ٦٢)، وابن حبان في «صحيحه» (رقم٨٩٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٣-٥٠٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم: ٢٧١)، والخطيب في «الأسماء المبهمة» (رقم: ١٧٢)، والبغوي في «شرح السنة» (رقم ١٢٥٨)، وغيرهم من طريق خَلَف بن خليفة عن حفص -يعني: ابن أخي أنس- عن أنس بن مالك أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً، ورجلٌ يُصَلِّي، ثم دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بأنَّ لكَ الحمدَ، لا إلهَ إلاَّ أنتَ الحنَّانُ المنَّانُ، بَدِيعُ السماواتِ والأرضِ، ياذا الجلالِ والإكرام، يا حيُّ يا قيومُ! فقال النبي ﷺ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ باسْمِهِ العظيمِ الذي إذا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وإذا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**».

قال الحاكم: «حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

وقال شيخنا في «التوسل» (ص: ٣١): «إسناده صحيح».

قلت: هٰذا إسناد رجاله ثقات رجال مسلم إلا أن خَلَفاً هٰذا قال فيه ابن حجر في «التقريب» (رقم ١٧٩٧): «صدوق، اختلط في الآخر».

قلت: وقد توبع هو وشيخه حفص:

فقد أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٢٠)، وابن ماجة في «السنن» (رقم ٣٨٥٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٢٧٢) من طريق وكيع عن أبي خزيمة عن أنس بن سيرين عن أنس به. وذكر بعد «لا إله إلا أنت»: «وحدك لا شريك لك»، ولم يذكر «الحنان»، وفي القلب من ثبوتها شيء.

قلت: وسنده حسن؛ أبو خزيمة هٰذا هو العبدي البصري، قال الحافظ عنه في «التقريب» =

. . . . . .

= (رقم: ٨٠٧٨): «صدوق».

وللحديث طريقان آخران عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-:

الأول: طريق محمد بن إسحاق: ثني عبد العزيز بن مسلم: ثني إبراهيم بن عبيد بن رفاعة عنه به.

أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٦٥)، والبخاري في «التاريخ» (٥/ ٢٧)، والطحاوي في «المشكل» (١/ ٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٤)، والطبراني في «المعجم الصغير» (رقم: ١٠٣٨)، والخطيب في «التاريخ» (٥/ ٢٥٥).

قلت: ابن إسحاق صرح بالتحديث في جميع طبقات السند عند الطبراني، فلا يخشىٰ من تدليسه، ووقع في «المسند» بين عبد العزيز وإبراهيم زيادة: «عن عاصم»، وهو خطأ! وعبد العزيز هو المدني، قال الحافظ في «التقريب» (١/ ٤٧٥): «مقبول»، أي: إن توبع، وقد توبع.

تابعه عياض بن عبد الله الفهري عند الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٠٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم: ٣٤).

وعياض ضعيف، فيه لين؛ كما في «التقريب» (٢/ ١٠٢).

الثاني: طريق يونس بن محمد عن سعيد بن زربي عن عاصم الأحول وثابت عنه به.

أخرجه الترمذي في «الجامع» (رقم: ٣٥٤٤).

وسنده ضعيف؛ لضعف سعيد، انظر: «التقريب» (١/ ٢٨٧).

● وثبت -أيضاً- عند أحمد في «المسند» (٦/ ٦٤١)، وأبي داود في «السنن» (رقم: ١٤٩٦)، والترمذي في «الجامع» (رقم: ٣٤٧٨)، وابن ماجة في «السنن» (رقم: ٣٨٥٥)، والدارمي في «السنن» (٢/ ٥٤٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠/ ٢٧٢)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (رقم: ١٥٧٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم: ٤٤١-٤٤٤) و«الدعاء» (٢/ ٨٣١-٨٣٢/ ١١٣)، والطحاوي في «شرح المشكل» (رقم: ١٧٨، ١٧٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٧٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٣٨-٣٩/ ١٢٦١)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (رقم: ١٨٢)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٩/ ٤٥)، وغيرهم من طريق عبيد الله ابن أبي زياد: ثنا شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اسمُ اللهِ الأعظمُ في هَاتَيْنِ الآيتَيْنِ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] و﴿الم اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١-٢]».

قال الترمذي: «حديث حسنٌ صحيحٌ».

قلت: عبيد الله ليس بالقوي كما في «التقريب» (١/ ٥٣٣)، و شهر ضعيف من قِبَل حِفْظِه كما في

والأحاديث كلها تلتقي على لفظ الجلالة: (الله)[١].

● هل آياتُ الصفاتِ من المتشابهاتِ أم من المُحْكَمات؟

الجواب: هي -من جهةٍ- من المتشابهات، وذلك فيما يتعلَّق بالكَيْفِيةِ المُتعلِّقة بالله سبحانه، وليست -من جهةٍ أخرى- من المتشابهات؛ من حيثُ إنَّ لها معنىً ظاهراً، أي أنَّ لها معاني معروفة في اللغة العربيّة.

فهي إذن باعتبار الكيفيّة متشابهةٌ، لأنَّهُ لا يمكنُ أن نعرفَ كَيْفِيَّةَ ذاتِ اللهِ، فبالتَّالي لا يمكنُ أن نعرفَ كيفيةَ صفاته عزَّ وجل؛ إذ الكلامُ في الصِّفاتِ فرعٌ عن الكلامِ في الذاتِ.

= «تهذيب الكمال» (٤/٣٦٩-٣٧٢) و«التقريب» (١/٣٥٥)، لكن **الحديث حسن صحيح بشاهده** الآتي، وهو:

حديث أبي أمامة -رضي الله عنه- مرفوعاً: «**اسْمُ اللهِ الأعظمُ الذي إذا دُعِيَ بهِ أَجَابَ في ثلاثِ سُوَرٍ: البقرة، وآل عمران، وطه**».

قال أحد الرواة: فنظرتُ أنا في هٰذه السُّوَرِ، فرأيتُ فيها شيئاً ليس في شيء من القرآن مِثْلُه؛ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي آل عمران: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [١-٢]، وفي طه: ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [١١١].

أخرجه ابن ماجه في «السنن» (رقم: ٣٨٥٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم: ٧٧٥٨، ٧٩٢٥) وفي «مسند الشاميين» (رقم: ٧٧٨)، وتمام في «الفوائد» (٤/٤٠٨-٤٠٩/١٥٦٨)، والطحاوي في «المشكل» (١/٦٣)، والدولابي في «الكنى» (١/١٨٤)، ويحيى بن معين في «التاريخ» (رقم: ٥٠٧٢ - الدوري)، والفريابي في «فضائل القرآن» -كما في «الصحيحة» (٢/٣٨٣)-، والحاكم في «المستدرك» (١/٥٠٦)، وغيرهم من طريق القاسم أبي عبد الرحمٰن عنه به.

قلت: وهٰذا إسنادٌ حسنٌ؛ القاسم -وهو ابن عبد الرحمٰن الدمشقي- فيه كلام يسير لا ينزل حديثه عن رُتبة الحُسْن، انظر ترجمته في «تهذيب الكمال».

وهٰذا الحديث أورده شيخنا في «السلسلة الصحيحة» (برقم: ٧٤٦)، وصححه في «صحيح الجامع» (رقم: ٩٧٩).

(١) علَّل ذٰلك بعضُ العلماء بأن اسم (الله) لم يُطلق على غيره تعالى، ولأنه الأصل في الأسماء الحُسنى، ومن ثَمَّ أضيفت إليه، والله تعالى أعلم.

ولهٰذا قال بعضُ أئمَّةِ الحديث -وهو أبو بكر الخطيب-: يُقالُ في الصفاتِ ما يُقالُ في الذاتِ سَلْباً وإيجاباً.

فكما أننا نُثْبِتُ الذاتَ ولا نَنْفيها -؛لأن هٰذا النَّفيَ هو الْجَحْدُ الْمُطْلَق-؛ كذٰلك نقول في الصفات؛ نُثْبِتُهَا ولا نَنْفِيها، ولٰكنَّنا كما لا نُكَيِّفُ الذاتَ لا نُكيِّفُ الصفاتِ.

● ما هو سببُ مخالفة الخَلَفِ للسَّلف في تفسيرهم لآيات الاستواء وغيرها من آيات الصفاتِ وأحاديثها، مع أنَّ الحقّ فيها واضحٌ جليٌّ؟!

الجواب: ليس هو إلا إعراضُهم عن اتباعِ السَّلَفِ، ثم فَهْمُهم -خطأً- الاستعلاء المذكور في الآيات الكريمة، أنه الاستعلاءُ اللائقُ بالمخلوقِ، ولمَّا كان هٰذا منافياً للتنزيهِ الواجبِ لله اتفاقاً فَرُّوا مِنْ هٰذا الفهمِ إلى (التأويل المذموم)، ظناً منهم أنهم بذٰلك نجوا من القول على الله تعالى بما لا يليق به سبحانه.

ولقد كان من كبار هٰؤلاء العلماء القائلين بالتأويل المذكور برهةٌ من الزمن جماعةٌ من أهل العلم، منهم الإمام أبو الحسن الأشعري، ومنهم العلامة الجليل أبو محمد الجويني الشافعي والد إمام الحرمين، المتوفى سنة (٤٣٨)، ثم هداه الله تعالى إلى اتباع السلف في فهم الاستواء وسائر الصفات، ثم أَلَّفَ في ذٰلك رسالةً نافعةً قدَّمها نصيحةً لإخوانه في الله كما صرح بذٰلك في مقدمتها، وقد وصف فيها وصفاً دقيقاً تحيره وتردده في مرحلةٍ من مراحل حياته العلمية بين اتباع السلف، وبين اتباع علماء الكلام في عصره الذين يؤولون الاستواء بالاستيلاء، فقال رحمه الله تعالى (ص١٧٦-١٧٧):

«اعلم أنني كنتُ برهةً من الدهر مُتحيِّراً في ثلاث مسائل:

١- مسألة الصفات.

٢- مسألة الفوقية.

٣- مسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد.

وكنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذٰلك، من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها والوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تمثيل. فأجد النصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ناطقة منبئة بحقائق هٰذه الصفات وكذٰلك في إثبات العلو والفوقية، وكذٰلك في الحرف والصوت.

ثم أجد المتأخرين من المتكلِّمين في كتبهم منهم من يُؤَوِّل الاستواء بالقهر والإستيلاء، ويؤول النزول بنزول الأمر، ويؤول اليدين بالقُدْرَتَيْن أو النعمتيْن، ويؤول القدَمَ بقَدم صِدْقٍ عند ربهم، وأمثال ذٰلك، ثم أجدهم مع ذٰلك يجعلون كلام الله تعالى معنىً قائماً بالذات بالأحرف بلا صوت، ويجعلون هٰذه الحروف عبارةً عن ذٰلك المعنى القائم!

وممن ذهب إلى هٰذه الأقوال أو بعضها، قوم لهم في صدري منزلةٌ، مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيِّين، لأني على مذهب الشافعي -رضي الله عنه- عرفت فرائض ديني وأحكامه، فأجد مثل هٰؤلاء الشيوخ الأجلة يذهبون إلى مثل هٰذه الأقوال، وهم شيوخي، ولي فيهم الاعتقاد التام، لفضلهم وعلمهم. ثم إني مع ذٰلك أجد في قلبي من هٰذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقروناً بها، فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره. المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره.

وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول، مخافة الحصر والتشبيه، ومع ذٰلك فإذا طالعْتُ النصوصَ الواردةَ في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ أجدُها نصوصاً تشير إلى حقائق هٰذه المعاني، وأجدُ الرسول ﷺ قد صرَّح بها مخبراً عن ربه، واصفاً له بها. وأَعلمُ بالاضطرار أنه ﷺ كان يحضر مجلسه الشريف العالمُ والجاهلُ، والذكيُّ والبليدُ، والأعرابيُّ والجافي، ثم لا أجد شيئاً يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها، لا نصاً، ولا ظاهراً، مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها، كما تأولها هٰؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمين، مثل تأويلهم الاستيلاء للاستواء، ونزول الأمر للنزول،

وغير ذٰلك. ولم أجد عنه ﷺ أنه كان يحذِّر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه من الفوقية واليدين وغيرها، ولم ينقل عنه مقالة تدل على أن لهٰذه الصفات معاني أُخَرَ باطنة، غير ما يظهر من مدلولها، وأجد الله عز وجل يقول...».

ثم ذكر بعض الآيات في الاستواء والفوقية والأحاديث في ذٰلك...، ثم قال (ص١٨١):

«إذا علمنا ذٰلك واعتقدناه تخلَّصنا من شبهة التأويل، وعماوة التعطيل، وحماقة التشبيه والتمثيل، وأثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، **والحق واضح في ذٰلك**، والصدور تنشرح له، **فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة**، مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره، والوقوف في ذٰلك جهل وعي، مع كون أن الرب تعالى وصف لنا نفسه بهٰذه الصفات لنعرفه بها، فوقوفنا عن إثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياها، فما وصف لنا نفسه بها إلا لنثبت ما وصف به نفسه لنا، ولا نقف في ذٰلك. وكذٰلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة. فمن وَفَّقَهُ اللهُ تعالى للإثبات بلا تحريف، ولا تكييف، ولا وقوف، فقد وقف على الأمر المطلوب منه إن شاء الله تعالى».

ثم شرع يبيِّن **السبب الذي حمل علماء الكلام على تأويل (الاستواء) بالاستيلاء**، فقال (ص١٨١-١٨٣):

«والذي شرح الله صدري في حال هٰؤلاء الشيوخ الذين أوَّلوا (الاستواء) بالاستيلاء و... هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب تعالى إلا ما يليق بالمخلوقين، فما فهموا عن الله استواء يليق به، ولا...، فلذٰلك حرَّفوا الكلام عن مواضعه، وعطَّلوا ما وصف الله تعالى نفسه به. ونذكر بيان ذٰلك إن شاء الله تعالى.

☆ ردُّ الإمام أبي محمد الجويني على الأشاعرة:(١)

لا ريب أنَّا نحن وإياهم متفقون على إثبات صفات الحياة، والسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام لله. ونحن قطعاً لا نعقل من الحياة إلا هٰذا العرض الذي يقوم بأجسامنا. وكذٰلك لا نعقل من السمع والبصر إلا أعراضاً تقوم بجوارحنا، فكما أنهم يقولون: حياته ليست بعرض، وعلمه كذٰلك، وبصره كذٰلك، هي صفات كما تليق به، لا كما تليق بنا، **فكذٰلك نقول نحن: حياته معلومة، وليست مكيفة، وعلمه معلوم وليس مكيفاً، وكذٰلك سمعه وبصره معلومان، ليس جميع ذٰلك أعراضاً بل هو كما يليق به.**

ومثل ذٰلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله، ففوقيته معلومة، أعني ثابتة كثبوت حقيقة السمع وحقيقة البصر، فإنهما معلومان ولا يكيفان. كذٰلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به، واستواؤه على عرشه معلوم غير مكيف بحركة أو انتقال يليق بالمخلوق، بل كما يليق بعظمته، وجلال صفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معلومة من حيث التكييف والتحديد، فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه، أعمى من وجه، مبصراً من حيث الإثبات والوجود، أعمى من حيث التكييف والتحديد. وبهٰذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصف الله تعالى نفسه به، وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف، وذٰلك هو مراد الرب تعالى منا في إبراز صفاته لنا، لنعرفه به، ونؤمن بحقائقها، وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل، **ولا فرق بين الاستواء والسمع، ولا بين النزول والبصر؛ الكل ورد به النص.**

فإن قالوا لنا في الاستواء: شبَّهتم.

نقول لهم في السمع: شبَّهتم، ووصفتُم ربَّكم بالعرض!

---

(١) جميع العناوين التي ستأتي قبلها ☆ وضعتها نظراً لطول الكلام.

فإن قالوا: لا عرض، بل كما يليق به.

قلنا في الاستواء والفوقية: لا حصر، بل كما يليق به.

فجميع ما يلزمونا به في الاستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب من التشبيه نلزمهم به في الحياة والسمع والبصر والعلم. فكما لا يجعلونها هم أعراضاً. كذٰلك نحن لا نجعلها جوارح، ولا ما يوصف به المخلوق، وليس من الإنصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول والوجه واليد صفات المخلوقين، فيحتاجوا إلى التأويل والتحريف.

ومن أنصف عرف ما قلنا واعتقده، وقبل نصيحتنا، ودان لله بإثبات جميع صفاته هٰذه وتلك، ونفى عن جميعها التشبيه والتعطيل والتأويل والوقوف. وهٰذا مراد الله منا في ذٰلك؛ لأن هٰذه الصفات، وتلك جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرفنا هٰذه وأوَّلناها، كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وفي هٰذا بلاغ وكفاية إن شاء الله تعالى».

● ما هو مَنْشَأُ ضلالِ من فسَّر استواءَ اللهِ تعالى على عرشه بالاسْتِيلاءِ، وما تعليقُكُم عليه؟

الجواب: [منشأ ذٰلك] أنهم فهموا منه -خطأ- استواءً لا يليق إلا بالمخلوق، وهٰذا تشبيه، فنفوه بتأويلهم إياه بالاستيلاء![1]

---

(١) وهٰذا باطلٌ من وجوهٍ كثيرةٍ، منها:

١- أنه تأويلٌ مخالفٌ لإجماع الصحابة ومن بعدهم ومخالفٌ لأهل اللغة كافة.

٢- أن الاستواء لغةً: العلو والارتفاع، كما سبق (ص: ٢٠)، وقد أَوْرَدَ الحافظُ ابنُ عبد البر في كتابه العظيم «التمهيد» (٧/ ١٣١-١٣٢) بيتاً من الشِّعر، استدل به على ذٰلك، ونصُّه:

فأوردتهم ماءً بفيفاءَ قفرة ... وقد حَلَّقَ النجمُ اليماني فاستوى

ثم قال -رحمه الله-: «هٰذا لا يجوز أن يتأوَّل فيه أحدٌ: استولى؛ لأن النجم لا يستولي» اهـ.

وسُئل الخليلُ بنُ أحمد -كما في «فتاوى ابن تيمية» (٥/١٤٦): هل وجدتَ في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: هٰذا مالا تعرفه العرب، ولا هو جائز في لغتها!» اهـ. =

ومن الغريب حقاً أن الذي فَرُّوا منه بالتأويل، قد وقعوا به فيما هو أَشرَّ منه بكثير، ويمكن حصر ذٰلك في الأمور الآتية:

الأول: التعطيل، وهو إنكار صفة علو الله على خلقه علواً حقيقياً يليق به تعالى. وهو بَيِّنٌ في كلام الإمام الجويني.

الثاني: نسبة الشريك لله في خلقه يضاده في أمره، فإن الاستيلاء لغةً لا يكون إلا بعد المغالبة كما في ترجمة الإمام اللغوي ابن الأعرابي [في كتاب «العلو»]، فقد جاء فيها:

أن رجلاً قال أمامه مفسِّراً الاستواء: معناه: استولى. فقال لهم الإمام: اسكت، العرب لا تقول للرجل: «استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد، فأيهما غلب قيل: استولى. والله تعلى لا مضاد له». وسنده عنه صحيح كما بينته هناك في التعليق (٢١٠)[1] واحتج به العلامة نفطويه النحوي في «الرد على الجهمية» كما في ترجمته [في «العلو»] (١١٩).

= ٣- أن لفظ الاستواء ورد كثيراً في القرآن والسنة، ولم يكن مرةً واحدة معناه: استولى، فكيف تحملونه على ذٰلك؟!

٤- أن الاستواء كان بعد خَلْقِ السماوات والأرض، فلو كان معناه: الاستيلاء؛ فهٰذا يستلزم أن مدةً ما من الزمن قد مَرَّتْ على العرشِ واللهُ سبحانه وتعالى غير مستولٍ عليه !!!

٥- إذا سلَّمنا جدلاً بهٰذا التأويل الفاسد؛ فلا فرق حينئذٍ بين العرش وغيره من المخلوقات، ولصح أن يقال: استوى على الأرض و... إلخ.

وانظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٥/ ١٤٤-١٤٩ و١٦/ ٣٩٥-٣٩٧)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ١٢٦-١٥٢)، ومقدمة الشيخ محمد التويجري لـ «الفتوى الحموية» (ص: ١٤٥-١٥٠).

ومن هٰذه الوجوه ما سيذكر شيخنا -حفظه الله- في كلامه الآتي.

(١) وقد أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٥٧)، والخطيب في «التاريخ» (٥/ ٢٨٣-٢٨٤)، والذهبي في «العلو» (ص: ١٣٣)، وغيرهم. وانظر: «إجتماع الجيوش الإسلامية» (ص: ٢٦٥) لابن القيم، و«فتح الباري» (١٣/ ٤٠٦) لابن حجر.

فنسأل المتأولة: من هو المضاد لله تعالى حتى تمكن (!) الله تعالى من التغلب عليه والاستيلاء على ملكه منه ؟!

وهٰذا إلزام لا مخلص لهم منه إلا برفضهم لتأويلهم، ورجوعهم إلى تفسير السلف، ولمَّا تنبَّه لهٰذا بعض متكلميهم جاء بباقعة أخرى ! وذٰلك أنه تأول «الاستيلاء» الذي هو عندهم المراد من «الاستواء» بأنه استيلاء مجرد عن معنى المغالبة ! (نقله الكوثري في تعليقه على «الأسماء والصفات» للبيهقي (ص:٤٠٦) عن ابن المعلم).

قُلْتُ: وهٰذا مع كونه مخالفاً للُّغة كما سبق عن ابن الأعرابي، فإن أحسن ما يمكن أن يقال فيه: إنه تأويل للتأويل !! وليت شعري ما الذي دخل بهم إلى هٰذه المآزق، أليس كان الأولى بهم أن يقولوا: استعلى استعلاء مجرداً عن المشابهة. هٰذا لو كان الاستعلاء لغة يستلزم المشابهة، فكيف وهي غير لازمة؟!

☆ الاستواء في اللغة لا يستلزم المشابهة:

لأن الاستواء في القرآن فضلاً عن اللغة قد جاء منسوباً إلى الله تعالى كما في [قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] إلى غير ذٰلك من الآيات]، كما جاء منسوباً إلى غيره سبحانه؛ كما قال في سفينه نوح ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود:٤٤] وفي النبات ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح:٢٩]، فاستواء السفينة غير استواء النبات. وكذٰلك استواء الإنسان على ظهر الدابة، واستواء الطير على رأس الإنسان، واستواؤه على السطح، فكل هٰذا استواء، ولٰكن **استواء كل شيء بحسبه، تشترك في اللفظ، وتختلف في الحقيقة**، فاستواء الله تعالى هو استواء واستعلاء يليق به تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١].

وأما الاستيلاء فلم يَأْتِ إطلاقُه على الله تعالى مطلقاً إلا على ألسنة المتكلِّمين ! فتأمل ما صنع الكلام بأهله، لقد زين لهم أن يصفوا الله بشيء هو من طبيعة المخلوق

واختصاصه، ولم يرضوا أن يصفوه بالاستعلاء الذي لا يماثله شيء وقد قال به السلف، فلا عجب بعد ذٰلك أن اجتمعوا على ذم الكلام وأهله، ووافقهم على ذٰلك بعض الخلف، فقال السُّبْكي في مقدمة رسالة «السيف الصقيل» (ص١٢):

«وليس على العقائد أضر من شيئَيْنِ: علم الكلام، والحكمة اليونانية...

وجميع الفرق الثلاث في كلامها مخاطرة، إما خطأ في بعضه، وإما سقوط هيبته، والسالم من ذٰلك كله ما كان عليه الصحابة والتابعون، وعموم الناس الباقون على الفطرة السليمة».

وبعد؛ فإن ضرر التأويل على أهله، وحمله إياهم على الانحراف عن الشرع مما لا حدود له في نظري، فلولاه لم يكن للقائلين بوحدة الوجود اليوم وجود، ولا لإخوانهم القرامطة الباطنية من قبل، الذين أنكروا الشريعة وكل ما فيها من حقائق كالجنة والنار، والصلاة والزكاة والصيام والحج، ويتأولونها بتآويل معروفة. قال العلامة المرتضى اليماني في «إيثار الحق على الخلق» في صدد بيان قبح التأويل (ص١٣٥):

«فإن المعتزلة والأشعرية إذا كَفَّروا الباطنيَّ بإنكار الأسماء الحسنى والجنة والنار، يقول لهم الباطنيُّ: لم أجحدها، إنما قلتُ: هي مجاز، مثلما أنكم لم تجحدوا الرحمٰن الرحيم الحكيم، وإنما قلتم: إنها مجاز! وكيف كفاكم المجاز في الإيمان بالرحمٰن الرحيم وهما أشهر الأسماء الحسنى أو من أشهرها، ولم يكفني في سائرها وفي الجنة والنار مع أنهما دون أسماء الله بكثير؟! وكم بين الإيمان بالله وبأسمائه والإيمان بمخلوقاته؟! فإذا كفاكم الإيمان المجازي بأشهر الأسماء الحسنى فيكيف لم يكفني مثله في الإيمان بالجنة والنار والمعاد؟!» انتهى.

☆ شيء من انحراف طائفة القاديانية:

ونحوهم طائفة القاديانية اليوم الذين أنكروا بطريق التأويل كثيراً من الحقائق الشرعية المجمع عليها بين الأمة؛ كقولهم ببقاء النبوة بعد النبي ﷺ مُتَأَسِّينَ في ذٰلك بِنَبِيِّهِم ميرزا غلام أحمد، ومن قبله ابن عربي في «الفتوحات المكية»، وتأوَّلوا قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] بأن المعنى زينة النبيين وليس آخرهم! وقوله ﷺ: «**لا نَبِيَّ بَعْدِي**»[1] بقولهم: أي: معي! وأنكروا وجود الجن مع تردد ذكرهم في القرآن الكريم، فضلاً عن السنة وتنوع صفاتهم فيهما، وزعموا أنهم طائفة من البشر! إلى غير ذٰلك من ضلالاتهم، وكلها من بركات (!) التأويل الذي أخذ به الخلف في آية الاستواء وغيرها من آيات الصفات!!!

☆ من ضرر التأويل على أصحابه:

وليس أدل على ضرر التأويل على أصحابه المغرمين به من القول الذي شاع بينهم، ولهجت به ألسنتهم كلما أثير بحث الصفات والإيمان بها على حقائقها أو على تأويلها، ألا وهو قولهم:

«مذهبُ السَّلف أَسْلَم، ومذهبُ الخَلَفِ أعلم وأحكم»!

والشاب المثقف اليوم الذي لم تتلوث ثقافته الشرعية بشيء من علم الكلام، ربما لا يصدق أن أحداً من الخلف يقول مثل هٰذا القول! وحُقَّ له ذٰلك لخطورته وفظاعته، ولٰكنه -مع الأسف- هو الواقع المعروف لدى طلبة الشريعة!

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

رواه البخاري في «الصحيح» (كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، رقم: ٤٤١٦)، ومسلم في «الصحيح» (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب، رقم ٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: خَلَّفَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله! تُخَلِّفُني في النساء والصبيان؟ فقال: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تكونَ منِّي بمنزلةِ هارون من موسى؟ غير أنَّه لا نَبِيَّ بَعْدِي**».

● **قال البَيْجُوري في حاشيته (ص٥٥) تحت قول صاحب «الجوهرة»:**

وكلُّ نصٍ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا أَوِّلْهُ أَوْ فوِّضْ وَرُمْ تنزيهاً

:«وطريقةُ الخلَف أعلم وأحكم؛ لما فيها من مزيد الإيضاح، والرد على الخصوم، وهي الأرجح، ولذلك قدَّمها المصنف، وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى»!

وكلام الكوثري المشهور بعدائه الشديد لأهل السنَّة والحديث في تعليقاته كلها يدور على هٰذا المعنى من التفضيل المزعوم! وفي تعليقه على «السيف الصقيل» التصريح بذٰلك (ص١٣٢). فما تعليقكم على هٰذا؟

الجواب: هٰذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة!

قال ابن تيمية في «الفتوى الحموية»: «كيف يكون هٰؤلاء المتأخرون -لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ من معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم، بما انتهى إليه من مرامهم حيث يقول:

لَعَمْري قد طفتُ المعاهِدَ كلَّها وسَيَّرْتُ طرفي بين تلك المعالمِ

فلمْ أرَ إلا واضعاً كفَّ حائرٍ على ذَقَنٍ أو قارعاً سنَّ نادمِ[1]

وأقروا على أنفسهم بما قالوا، متمثلين به، أو مُنشئين له فيما صنفوه من كتبهم، مثل قول بعض رؤسائهم:

---

(١) نسبهما ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» (١/ ٢٤٤) للشهرستاني، وانظر: «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٧٤) لابن خلكان، و«مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٧٣)، و«منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٧١)، و«درء التعارض» (١/ ١٥٩).

نِهَـايـة إِقْـدامِ العقـولِ عِقَـال ... وأكثـرُ سَعْـي العـالميـنَ ضـلالُ
وأرواحُنَا في وحشةٍ من جسُومنا ... وحـاصـلُ دنيـانـا أذىً ووبـالُ
ولمْ نستفدْ من بحثِنَا طولَ عُمُرِنَا ... سِـوَى أنْ جمعنَـا فيه قيلَ وقـالوا[1]

ويقول الآخر منهم:

«أكثرُ الناس شَكّاً عند الموت أصحابُ الكلام».

ثم إذا حُقِّقَ عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولا وقعوا من ذٰلك على عين وعلى أثر.

كيف يكون هٰؤلاء- المنقصون المحجوبون الحيارى المتهوّكون أعلمَ بالله وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى ومصابيح الدجى، الذي بهم قام الكتاب وبه قاموا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيىٰ من يطلب المقابلة!!

ثم كيف يكون خيرُ قرون الأمة أنقصَ في العلم والحكمة، لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هٰؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟! أم كيف يكون أفراخُ المتفلسفة وأتباعُ الهند واليونان أعلمَ بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟!!».

---

(١) الأبيات للفخر الرازي، وتكملتها:

وكَـمْ قـدْ رأينَـا مِـنْ رجـالٍ ودولـةٍ ... فَبَـادُوا جميعـاً مُسْـرعيـنَ وزَالُـوا
وكـمْ مِنْ جبالٍ قد عَلَتْ شرفاتِهَا ... رجـالٌ، فـزالُـوا والجبـالُ جِبَـالُ

انظر: «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٥٠)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٥/ ٤٠)، و«درء التعارض» (١/ ١٦٠)، و«مجموع الفتاوى» (٤/ ٧٣)، و«منهاج السنة» (٥/ ٢٧١)، و«شرح الطحاوية» (٢/ ٢٤٤).

وقال العلاَّمة السفاريني في «شرح العقيدة» (١/ ٢١ - مختصره):

«فمن المحال أن يكون المخالفون أعلم من السَّالفين كما يقوله بعض من لا تحقيق له به، ممن لا يُقَدِّرُ قَدْرَ السَّلف، ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين به؛ حق المعرفة المأمور بها؛ أن طريقة السلف أسلم [وطريقة الخلف] أعلم وأحكم.

وهٰؤلاء إنما أُتُوا من حيث ظنوا أن طريق السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث، من غير فقه ذٰلك، بمنزلة الأميين، أو أن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات.

فهٰذا الظن الفاسد أوجبَ تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر. وقد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف، وضلُّوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين باطلين: الجهلِ بطريقة السلف في الكذب عليهم، والجهلِ والضلالِ بتصويب طريقة غيرهم».

ثم استشهد على ذٰلك بكلام للحافظ ابن رجب في كتابه «فضل علم السلف على علم الخلف» فليراجعه من شاء.

☆ السلف لم يُفَوِّضُوا المعنى، بل الكَيْفَ:

والظن الذي أُتوا منه المخالفون، هو مما يكرر ذكره بعض المؤيدين لمذهب الخلف على مذهب السلف، ويتوهم صحته بعض الكتاب الإسلاميين الذين لا علم عندهم بأقوال السلف، ويسمونه بـ «التفويض»، وهو مما يُكْثر الكوثري عزوه إليهم زوراً، فيقول في تعليقه على «السيف الصقيل» (ص١٣): «الذي كان عليه السلف إجراء ما ورد في الكتاب والسنة المشهورة (!) في صفات الله سبحانه على اللسان، مع التنزيه بدون خوض في المعنى، ومن غير تعيين المراد»!

وأعاد هٰذا المعنى [في] مواضع أخرى منه (ص١٣١ و١٤٥)، وجَرَّ على منواله قرينه المتعاون معه على تحريف نصوص كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي ذاك في التعليق

عليه، وهٰذا في التقديم له في كتابه الذي سماه «فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان» أعني الشيخ سلامة القضاعي العزامي، فقد ذكر نحوه في مواطن منه غير أنه قال: «أكثر السلف على الكفِّ عن بيان المعنى المراد اللائق بالحق تعالى» كذا قال (ص٩٤). ونحوه (ص٨١، ٨٥)، فقد نسب إلى أكثر السلف تنزههم عن بيان المعنى اللائق بالحق تعالى. فهل كان ذٰلك جهلاً منهم بالله، أم كتماً للعلم؟! فبأيهما أجاب، فهو كما قيل: أحلاهما مر. وصدق الله العظيم: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم: ٣٠].

وجملة القول في التأويل الذي تمسك به الخلف: أنه كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في منتصف قصيدته الرائعة «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» المعروفة بالنونية:

«هٰذا وأصْلُ بَلِيَّةِ الإسلامِ مِنْ تأويلِ ذي التَّحْريفِ والبُطْلانِ»

ثم أفاض في سرد أضراره نظماً بما لا تجده مجموعاً عند غيره نثراً، فراجعه فإنه هامٌ جداً. وانظرها مع شرحها للشيخ أحمد بن عيسى، المسمى بـ «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد بشرح قصيدة ابن القيم».

ثم إن عجبي لا يكاد ينتهي من الكوثري وأمثاله الذين ينسبون السلف الصالح في آيات الصفات إلى التفويض وعدم البحث عن المراد منها كما سبق النقل الصريح بذٰلك عنه، فإنه إن لم يجد في قلبه من التعظيم للسلف وعلمهم ما يزعه عن التلفظ بما يمس مقامهم في المعرفة بالله تعالى وصفاته، أفلم يقف على ما نقله العلماء عنهم من العبارات المختلفة لفظاً، والمتحدة معنى، وكلها تلتقي حول شيء واحد وهو إثبات الصفات مع الرد على المعطِّلة النافين لها، والممثِّلة المشبِّهين لها بصفات الخلق، وإليك بعض النصوص عنهم في ذٰلك كما في «العلو» وغيره:

☆ بعض النصوص عن السلف في الصفات:

١- **قال الوليد بن مسلم**: سألت الأوزاعيَّ، ومالكَ بنَ أنس، وسفيانَ الثوري، والليثَ بن سعد: عن الأحاديث التي في الصفات؟ فكلهم قالوا لي: «أَمِرُّوهَا كما جاءت بلا تفسير» وفي رواية: «بلا كيف»[(١)].

٢- **قال ربيعةُ الرأي، ومالكٌ**، وغيرهما: «الاستواءُ غير مجهولٍ، والكيفُ غير معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتوى الحموية» (ص:١٠٩مطبعة السنة المحمدية):

---

(١) **أَثَرٌ صَحِيحٌ**.

رواه الخلال في «السنة» (ص:١٥٩)، وأبو إسماعيل الصابوني في «عقيدة السلف» (ص:٥٦)، وابن منده في «التوحيد» (رقم:٥٢٠، ٨٩٥)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (رقم:٩٣٠)، والآجري في «الشريعة» (ص:٣١٥)، والدارقطني في «الصفات» (ص:٧٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/١٩٨)، وفي «الاعتقاد» (ص:٥٧)، وابن بطة في «الإبانة»، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/١٥٨)، وابن قدامة في «ذم التأويل» (ص:٢٠)، والذهبي في «العلو» (ص:١٠٥).

قال شيخنا الألباني في «مختصر العلو» (ص:١٤٢): «إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات».

(٢) **قول ربيعة صَحِيحٌ**.

أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (رقم ٦٦٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/١٥١)، والعجلي في «تاريخ الثقات» (رقم:٤٣١)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص:١٦٤)، والذهبي في «العلو» (ص:٩٨)، وإسناده صحيح. وعزاه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتوى الحموية» (ص:٢٧) إلى الخلال، وقال: «بإسناد كلهم أئمة ثقات»، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٦٥) و«درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٦٤) له.

وصححه شيخنا الألباني -حفظه الله- في «مختصر العلو» (ص:١٣٢).

وقول مالك صحيحٌ أيضاً، وقد سبق تخريجه (ص:٢٠).

«فقول ربيعة، ومالك: الاستواء غير مجهول...» موافق لقول الباقين: «أَمِرُّوهَا كما جاءت بلا كيف»؛ فإنما نفوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة. ولو كان القوم آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول» ولما قالوا: «أمروها كما جاءت بلا كيف»؛ فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوماً، بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم»!

وأيضاً فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية، إذا لم يفهم عن اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبت الصفات.

وأيضاً، فإن من ينفي الصفات الجزئية -أو الصفات مطلقاً- لا يحتاج إلى أن يقول: «بلا كيف»، فمن قال: «إن الله ليس على العرش» لا يحتاج أن يقول: «بلا كيف»، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر، فلِمَا قالوا: «وبلا كيفٍ»؟!!

وأيضاً فقولهم: «أمروها كما جاءت» يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظاً دالةً على معاني، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: «أَمِرُّوا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد. أو أَمِرُّوا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دَلَّتْ عليه حقيقةً»، وحينئذ تكون قد أُمِرَّتْ كما جاءت، ولا يقال حينئذ: «بلا كيف»؛ إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول».

٣- **قال الإمام الخطابي**[(١)]: «مذهب السلف في الصفات إثباتها، وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها».

٤- **قال الحافظ ابن عبد البر**[(٢)]: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة [والإيمان بها]، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لم

(١) في رسالته «الغنية عن الكلام وأهله»؛ كما في «الفتوى الحموية» (ص: ٦٧).

(٢) في «التمهيد» (٧/ ١٤٥).

يكيفوا شيئاً من ذٰلك [ولا يحدون فيه صفة محصورة] وأما [أهل البدع] الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل منها شيئاً على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبِّه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود».

قلت: فهٰذا قِل من جُل من النصوص التي (تراها في «العلو» للحافظ الذهبي -رحمه الله-)، وهي كلها متفقة على أن السلف كانوا يفهمون آيات الصفات، ويفسرونها، ويعينون المعنى المراد منها، على ما يليق به تبارك وتعالى.

☆ تأثر الخَلَف بعلم الكلام:

فلماذا لا يرفع الكوثري وأمثاله من الخلف رؤوسهم إلى هٰذه النصوص، ويظلون يصرون على أن السلف كانوا لا يفهمونها، وإنما كانوا يُجْرِونها على ألسنتهم فقط، دون تدبر لها وبيان لمعناها؟!

الجواب: أحسن أحواله أن يكون حاله كحال الجويني الذي كان متأثراً بشيوخه من علماء الكلام، ولٰكنه لما كان مخلصاً في علمه لله تعالى هداه الله تبارك وتعالى إلى عقيدة السلف في الاستواء وغيره، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فهل كان الكوثري وأمثاله من الطاعنين في أئمة الحديث والسلف مخلِصين أيضاً؟!

من الصعب جداً أن نجيب عن هٰذا بالإيجاب؛ لكثرة ما نرى من عدائه الشديد -في كل تعليقاته- لأئمة السلف والتوحيد، واستمراره على اتهامهم بالتجسيم والتشبيه، وبصورة خاصة لابن تيمية منهم، مع رد هٰذا على المجسمة ومبالغته في ذٰلك في سائر كتبه، فلا نكاد نراه في صدد الرد على المعطلة، إلا ويشرك معهم في الرد المجسمة، كما يعرف ذٰلك كل من له دراسة لكتبه رحمه الله تعالى، ومن كلامه في هٰذا الصدد قوله في «الحموية» (ص: ١٦٠):

«فمن قال: لا أعقل علماً ويداً إلا من جنس العلم واليد المعهودين. قيل له: فيكف تعقل ذاتاً من غير جنس ذوات المخلوقين؟ **ومِنَ المعلوم أنَّ صفات كلِّ موصوفٍ تناسبُ ذاتَه، وتلائمُ حقيقتَه، فَمَنْ لم يفهم مِنْ صفات الرَّبِّ الذي ليس كمثله شيء إلا ما يناسبُ المخلوقَ فقد ضلَّ في عقلِهِ ودينِهِ**».

قلتُ: وهٰذا قليل من كثير من كلامه الذي يدل دلالة قاطعة على أن شيخ الإسلام ابن تيمية هو مُنَزِّه وليس بمشبِّه أو مجسِّم كما يفتري الكوثري.

☆ خطأ الشيخ أبي زهرة على شيخ الإسلام ابن تيمية:

وقد نقل صديقه العلامة أبو زهرة في كتابه «ابن تيمية» نصوصاً كثيرة من كلام ابن تيمية في موضع الصفات الإلهية، ولخص عقيدته فيها تلخيصاً جيداً لا تحامل فيه، بل إنه قد برأه مما اتهمه الكوثري، فقال (ص٢٦٤): «وليس في ذٰلك ما يتنافى مع التنزيه، أو يخالف التوحيد، أو يثبت مشابهةً بينه سبحانه وبين الحوادث».

ثم قال (ص:٢٦٦): «وينتهي بلا ريب إلى أن يثبت لله سبحانه وتعالى الاستواء واليد وغير ذٰلك، ولٰكن يقول: إن هٰذا كله بما يليق بذاته تعالى، لا نعرف حقيقته، وعلينا الإيمان به».

ولكنه عاد فنقل عن كتاب «دفع شبه التشبيه» لابن الجوزي[1] كلاماً له ينتصر فيه

(١) وهو كتاب رديء، نفى فيه ابنُ الجوزي -عفا الله عنه- كثيراً مما وصَفَ اللهُ به نفسه أو وصفه به رسولُه ﷺ، بدعوى تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين؛ لاعتقاده أن هٰذا تشبيه !!! فوقع في مذهب النفاة من الجهمية وغيرهم، وقد تكلَّفَ الصعاب لصرف الآيات والأحاديث عن ظواهرها، وأتى بتأويلات مستكرهة، ووقع في أمور عِظَام !!!

ومع ذٰلك تجده -عفا الله عنا وعنه- لا يَثبُتُ على هٰذا، بل إنه في بعض كتبه الأخرى تجده يُثْبِتُ بعضَ الصفات لله تعالى على مذهب السلف، فهو لم يَثبُتْ على حالٍ، فتارةً يُثبِتُ وتارةً يَنْفِي وكثيراً ما يُفَوِّض ! ولذٰلك قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية -رحمه الله- في «المجموع» (٤/١٦٩):

«إن أبا الفرج نفسه متناقضٌ في هٰذا الباب؛ لم يَثبُتْ على قدم النفي ولا على قدم الإثبات، بل له من الكلام في الإثبات نظماً ونثراً ما أثبتَ به كثيراً من الصفات التي أنكرها في هٰذا المُصَنَّف، =

للتأويل، ويردُّ به على من يرميهم بالتشبيه، فقال أبو زهرة (ص: ٢٧٢) عقبه: «وهو مؤدى كلامهم، ومهما حاولوا نفي التشبيه فإنه لاصق بهم، وإذا جاء ابن تيمية من بعده بأكثر من قرن، وقال: إنه اشتراك في الاسم لا في الحقيقة، فإنهم إن فسروا الاستواء بظاهر اللفظ، فإنه الاقتعاد والجلوس، والجسمية لازمة لا محالة، وإن فسروه بغير المحسوس فهو تأويل، وقد وقعوا فيما نهوا عنه»! فأقول:

☆ الردُّ على الشيخ أبي زهرة، وبيانُ خطئه في فهم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية:

رويدك يا فضيلة الشيخ! فأنت تعلم أن ابن تيمية لا يفسر الاستواء بشيء مما ذكرتَ، وإنما بالعلو، وكتبه طافحة بذٰلك، فلماذا أوهمتَ القراءَ خلاف الواقع، فهلا جريْتَ على سننك في نقل أقوال ابن تيمية وأنت تشرح عقيدته ورأيه، أم ضِقْتَ ذرعاً بالتزام النقل الصحيح، فأخذتَ تنسبُ إليه ما ليس بصحيح، تارةً بالتلويح -كما فعلت هنا، وتارةً بالتصريح- كما فعلتَ في كتابك الآخر «المذاهب الإسلامية» إذ قلتَ في بحث «السلفية والإمام ابن تيمية» (ص: ٣٢٠):

«وهٰكذا يثبتون كل ما جاء في القرآن والسنة عن أوصافه سبحانه... ويثبتون الاستقرار على العرش»!

فأين رأيتَ ابنَ تيمية يقول بالاستقرار على العرش؟! عِلماً بأنه أمر زائد على العلو، وهو مما لم يرد به الشرع، ولذٰلك رأينا الحافظَ الذهبيَّ قد أنكر على بعض القائلين بصفة

= فهو في هٰذا الباب مثل كثير من الخائضين في هٰذا الباب من أنواع الناس، يُثْبِتُون تارةً ويَنْفُون أخرى في مواضع كثيرة من الصفات، كما هو حال أبي الوفاء بن عقيل وأبي حامد الغزالي».

قلتُ: وقد زادَ الطِّينَ بَلَّةً جَهْمِيُّ العَصْرِ المدعو حسن السقاف، فَطَبَعَ الكتابَ بتعليقات ومقدمة هي أسوأ من الكتَاب نفسه، فقام الأخُ الفاضلُ الشيخ سليمان بن ناصر بن عبد الله العلوان -حفظه الله- بنقض الكتاب والتعليقات عليه نقضاً علمياً في كتاب بعنوان «إتحاف أهل الفضل والإنصاف بنقض كتاب ابن الجوزي دفع شبه التشبيه وتعليقات السقاف» وقد صَدَرَ منه الجزء الأول، فأجاد وأفاد، يَسَّرَ اللهُ له إتمامَهُ بخير.

العلو التعبيرَ عنها بالاستقرار؛ كما تراه في الترجمة (١٥٨، الفقرة ٣٢٢) [من كتاب «اللعو»]، ويقول أبو زهرة أيضاً (ص٣٢٢) من كتابه المذكور:

«يقرر ابن تيمية أن مذهب السلف: هو إثبات كل ما جاء في القرآن من فوقية، وتحتية، واستواء على العرش»! وقال في الصفحة التي قبلها: «فيكرر هٰذا المعنى فيقول مؤكداً أن الله ينزل ويكون في فوق وتحت من غير كيف»!

فأين قرر ابن تيمية وأثبت لله تعالى صفة التحتية؟! غالب الظن **أن الشيخ أبا زهرة فهم من أحاديث النزول التحتية المزعومة، ثم عزا ذٰلك لابن تيمية، كما فهم من آيات الاستواء: الاستقرار ثم عزاه إليه، وكل ذٰلك خطأ عليه** كما يعلم ذٰلك من درس كتبه دراسة تفهم ووعي لا دراسة سريعة من أجل النقل عنه في ترجمته، وتسويد صفحاتها!

ومثل هٰذا العزو منه لابن تيمية دلني على أنه لم يفهم ابن تيمية وعقيدته وأفكاره فهماً جيداً، بل لعله لم يقرأ كل ما لابن تيمية من البحث والتحقيق في المسائل التي أثارها الشيخ أبو زهرة في ما طبع من كتب ابن تيمية فضلاً عن المخطوطة منها، ككتابه المطبوع في المكتب الإسلامي: «شرح حديث النزول»، **فإن ابن تيمية، رحمه الله قد قرر فيه أنه لا يلزم من نزوله تعالى أن يصير العرش فوقه تعالى، وهو تحت العرش، فإن هٰذا من طبيعة المخلوق. والله** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ كما (أُشير) إلى ذٰلك في ترجمة الإمام إسحاق بن راهويه من (كتاب «مختصر العلو») تعليقاً على الفقرة (٢١١) (ص: ١٨١)، بل قد قال ابن تيمية في «منهاج السنة» (٢/٢٤٨):

«ومن ظن من الجهال أنه إذا نزل إلى سماء الدنيا كما جاء الحديث سيكون العرش فوقه ويكون محصوراً بين طبقتين من العالم، فقوله مخالف لإجماع السلف مخالف للكتاب والسنة، كما قد بسط في موضعه».

وإن مما يؤكد ما ذكرته من عدم فهمه لابن تيمية أنه لم يقتنع بما لخصه هو نفسه عن ابن تيمية (ص٢٧٦) من كتابه «ابن تيمية» فقال:

«إن ابن تيمية يرى أن الألفاظ في اليد والنزول والقدم والوجه والاستواء على ظاهرها، ولٰكن بمعان تليق بذاته الكريمة كما نقلنا من قبل».

لم يقتنع بصواب رأي ابن تيمية هٰذا مع أنه الحق الصراح، بل أخذ يرد عليه بكلام هزيل مضطرب لا طائل تحته -وهٰذا أحسن ما يقال فيه؛ فقال عقبه:

«ومن هنا نقف وقفة: إن هٰذه الألفاظ وُضِعَتْ في أصل معناها لهٰذه المعاني الحسية، ولا تطلق على وجه الحقيقة على سواها، وإذا أُطلقتْ على غيرها سواء أكان معلوماً أم مجهولاً فإنها قد استُعملتْ في غير معناها، ولا تكون بحال من الأحوال مستعملةً في ظواهرها، بل تكون مؤوَّلة، وعلى ذٰلك يكون ابن تيمية قد فر من التأويل ليقع في تأويل آخر، وفر من التفسير المجازي ليقع في تفسير مجازي آخر»!

فقل لي بربك -أيها القارىء اللبيب- هل يقول هٰذا في ابن تيمية عالم كأبي زهرة فهم كلام ابن تيمية الذي نقله هو نفسه أكثر من مرة، كقوله: إنه لا يلزم من الاشتراك في الاسم الاشتراك في الحقيقة! ويبين ذٰلك ما نقله (ص: ٢٦٥ عن «التدمرية» لابن تيمية) (ص١٢) أنه قال:

«**إذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه وما هو مُحْدَثٌ ممكن يقبل الوجود والعدم، فمعلوم أن هٰذا موجود، وهٰذا موجود، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون وجود هٰذا مثل وجود هٰذا، بل وجود هٰذا يخصه، ووجود هٰذا يخصه، واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمى ذٰلك الاسم عند الإضافة والتخصص والتقيد**، فلا يقول عاقل إذا قيل له: إن العرش شيء موجود، وإن البعوض شيء موجود: إن هٰذا مثل هٰذا، لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود [**وإذا قيل: هٰذا موجود، وهٰذا موجود؛ فوجود كل منهما يخصه. لا يشركه غيره، مع أن الاسم حقيقة في كل منهما**]».

ثم علق أبو زهرة على هٰذا الكلام بما يوضحه، ثم قال:

«ولذا يقول ابن تيمية في هٰذا المقام:

قد سمى الله نفسه حياً، فقال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وسمى بعض خلقه حياً فقال: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ [الأنعام: ٩٥]، وليس هٰذا الحي مثل هٰذا الحي، لأن قوله «الحي» اسم لله مختص به، وقوله ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ [الأنعام: ٩٥] اسم للحي المخلوق مختص به، وإنما يتفقان إذا أطلقا وجردا عن التخصيص. . .».

فهل تجد أيها القارىء أثراً للتأويل الذي زعمه أبو زهرة في تفسيره لهٰذه الأسماء والآيات، أم هو يصرح بأنها كلها حقائق تتناسب مع ذواتها، وتختلف حقائقها باختلاف ذواتها، غير أن ما في الأمر ما كان منها محسوساً فمن الممكن أن نعرف حقيقته، بخلاف ما كان غائباً عنا كصفات الله تعالى بل والجنة والنار، فلا نعرف حقيقته، فقد ضرب لك أمثلة توضح للناس هٰذا الموضوع الخطير الذي كان الجهل به سبباً كبيراً لانحراف الناس في الصفات عن طريق السلف. فنحن جميعاً نقول: «الله موجود» كما نقول: «الخلق موجود»، ووجود كل منهما حقيقة تتناسب مع ذواتهما، وتقول: «الله حي»، «وأنا حي» وحياة كل منهما حقيقة تتناسب مع ذواتهما، وهٰكذا طرد ذٰلك في جميع الأسماء والصفات، تجد كلام شيخ الإسلام واضحاً بيناً مقنعاً لكل ذي لب.

وإذا كان الشيخ أبو زهرة لم يفهم كلام ابن تيمية، وبناءً عليه نسب إليه التأويل خطأً، فهٰذا الخَطْبُ فيه سهلٌ جداً بالنسبة لخطأ آخر في كلامه السابق، فإنه إذا كان يعتقد «أن هٰذه الألفاظ وُضِعَتْ في أصل معناها لهٰذه المعاني الحسية ولا تطلق على وجه الحقيقة على سواها، وإذا أطلق على غيرها سواء أكان معلوماً أم مجهولاً، فإنها قد استُعْمِلَتْ في غير معناها. . .» إلخ كلامه السابق.

☆ أثر سوء فهم الشيخ (أبو زهرة) عن شيخ الإسلام ابن تيمية:

أقول: إذا كان الشيخ يعتقد هٰذا، فإن معنى كلامه -لو كان يدري ما يقول- وهو يجادل شيخ الإسلام متأثراً بعلم الكلام أن وجود المخلوق وحياته وعلمه واستواءه وغير ذٰلك كله حقيقة، وأما وجود الخالق سبحانه وحياته وعلمه واستواءه وغير ذٰلك من صفاته فهي مجاز! وليست بحقيقة!! ولازمه: أن الله غيرُ موجودٍ، وليس بحيٍّ، ولا هو يعلم، ولا هو مستوٍ على العرش، ولا ولا... إلخ إلى ما هنالك من أساليب معروفة يقول بها الفلاسفة، وبعض من تأثر بهم من المعتزلة وعلماء الكلام، نقول هٰذا لأن الشيخَ (عفا الله عنا وعنه) قال: «إن هٰذه الألفاظ وضعت في أصل معناها لهٰذه المعاني الحسية» ووجود الله وعلمه وحياته وسائر صفاته ليست حسية، وعليه: فلا تطلق عليها -كما قال- إلا مجازاً، فهل أحسَّ الشيخُ أين طوحت به كلمته هٰذه؟ فإن كنت لا تدري... فأقول: قد عرفنا معنى الوجود المحسوس، والحياة المحسوسة، والعلم المحسوس، والاستواء المحسوس، فما هو معنى هٰذه الأسماء إذا أضيفتْ إلى الله تعالى وهو غير محسوس؟ فالجواب: إنه لا معاني لها وإنما هي أسماء له فقط، كما تقوله المعتزلة تماماً كما حكاه الشيخ نفسه عنهم؛ فإنه قال في «المذاهب» (ص٣٠٣):

«نفى المعتزلة الصفات كما قررنا، وأثبتها الأشعري، وقالوا: إنها شيء غير الذات، فقد أثبتوا القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وقالوا: إنها غير الذات، وقالت المعتزلة: لا شيء غير الذات، وإن المذكور في القرآن من مثل قوله تعالى: (عليم. وخبير. وحكيم. وسميع. وبصير) هو أسماء له تعالى».

أي لا معاني لها، وإنما هي كالأعلام المحضة المترادفة، ولذٰلك نعى ذٰلك عليهم العلماء ونسبوهم إلى التعطيل كما هو مبين في كتب شيخ الإسلام وغيره.

فهل يلتزم فضيلة الشيخ أبو زهرة ما لزمه من كلامه السابق من التعطيل الذي حكى مثله عن المعتزلة، فيكون على ذٰلك مثلهم منكراً لصفات الله تعالى الثابتة في الكتاب

والسنة، أم يتراجع عن تلك الكلمة، لأنها زلة لسان، ويلتزم المذهب الذي شرحه ابن تيمية شرحاً ليس من السهل الاستدراك عليه فيه، ومنه الاستواء، فيؤمن به على أنه صفة حقيقية لله تعالى تليق به؟! كما ينبغي أن يؤمن كذلك بجميع صفاته عز وجل كالعلم والكلام ولا يصرفها إلى المجاز فيقع في التعطيل؟! كنتُ أرجو أن أعتبر تلك الكلمة منه زلة لسان صدرتْ منه، ولٰكن صَدَّني عن ذٰلك هو نفسه حيث رأيته قد مال كما سيأتي إلى تفسير (الاستواء) بالمعنى المجازي وهو السلطان الكامل! وتفسير النزول بفيوض النعم الإلهية دون أن يتنبه الشيخ المسكين أن مثل هٰذا التفسير لازمه الكفر، لأن تمام حديث النزول -كما يعلم- «فيقول: **ألا هل من داعٍ فأستجيب له ألا... ألا...**» فهل الفيوض هي التي تستجيب، وتغفر، وتعطي أم الله عز وجل لا شريك له؟!!

وجملة القول فيما نقله (أبو زهرة) عن ابن تيمية: أنه أراد أن يكون معه نزيهاً أديباً غير متأثر بموقف صاحبه الكوثري منه، ولٰكنه -مع الأسف تغلب عليه أثر الصُّحْبَة، فأخذ يطعنُ في عقيدة ابن تيمية، ولٰكن تلويحاً لا تصريحاً كما يفعل صاحبُه، وينسب إليه صراحة مالم يقله كما تقدم بيانه، ولا أقول إنه فعل ذٰلك عمداً كصاحبه، لا، وإنما أُتِيَ مِنْ سُوء فهمه لكلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. ومما يؤكد ذٰلك قوله عقب ما سبق نقله من كلامه الذي فيه «وعلى ذٰلك يكون ابن تيمية قد فر من التأويل ليقع في تأويل آخر...». فقال (ص٢٧٧):

«ثم ما المآل وما الغاية من التفسير الظاهري، أيؤدي إلى معرفة حقيقة، أم لا يؤدي إلا إلى متاهات أخرى؟! إنه يقول (يعني ابن تيمية): إن الحقيقة غير معروفة؛ فيقول: إن الله له وجه غير معروف الماهية... وله استواء غير معروف الماهية، ويد...و...

إننا بلا شك إذا فسرنا تلك المعاني (كذا قال ولعله سبق قلم، وإنما أراد الألفاظ) بتفسيرات لا تجعلنا نحملها على مجهولات يكون ذٰلك التفسير أحرى بالقبول، ما دامت اللغة تتسع له، وما دام المجاز بيناً فيها، كتفسير اليد بمعنى القوة أو النقمة، والاستواء

بمعنى السلطان الكامل، وتفسير النزول بفيوض النعم الإلهية، إلخ، ولا يعترض بأن ذٰلك ليس فيه أخذ بالظاهر، لأن الذي اختاره ليس فيه أخذ بالظاهر»!

كذا قال، ولو أردنا أن نُبيِّنَ ما تحته من الخطأ والبُعْد عن جادة الصواب الذي لا يجوز أن يقع فيه عالم مثله لطال بنا المقام، ولكني أقول للشيخ كلمة موجزة:

ألا يكفيك يا فضيلة الشيخ مآلاً وغاية أن تفهم أن الاستواء هو صفة الله غير صفة النزول، وأن هٰذه الصفة غير صفة السيطرة والإنعام وهٰكذا! كما يكفيك -فما أرجو- أن تعتقد أن صفة السمع غير صفة البصر، وأنهما غير صفة العلم، وأن لا تعطلهما وتنكر وجودهما بتأويلك إياهما بما يعود إلى أن المراد بهما صفة العلم كما يقوله بعض المعتزلة، وإن كان كثيرون منهم ينكرون جميع صفات الذات لله تبارك وتعالى كما نقلناه عنهم فيما سبق؟!

بلى، إنه يكفيك هٰذا، وإلا فما الفرق بين تفسيرنا تبعاً للسلف لهٰذه الصفات على ظاهرها مع اعتقاد أن حقيقتها لا يعلمها إلا المتصف بها سبحانه وتعالى، وبين إنكارك الاستواء مثلاً وإيمانك -فيما أظن بتفسيرنا لسائر الصفات ككونه حياً قديراً مريداً حكيماً... إلخ صفاته تعالى تفسيراً لها على ظاهرها دون تأويل أيضاً مع اعتقاد أن حقيقتها لا يعلمها إلا الله؟

الذي أعتقده وأقطع به: أن كل عاقل من أهل العلم لا بد من أن يسلم بأنه لا فرق بين هٰذا وهٰذا أبداً؛ إذ الكل يعود إلى صفات ذات الله تعالى، فكما أننا نؤمن بذاته تعالى دون أن نعلم كنهها وحقيقتها، فكذٰلك القول في صفاته سبحانه ولا فرق، وإذا كان الأمر كذٰلك فإما أن يؤمن الشيخ معنا بحقائق الصفات ومنها الاستواء على ما شرحنا، وإما أن يتأولها كلها، وبذٰلك يُلزَم بإنكار وجود الله تعالى؛ لأنه لا يعرف حقيقته، وكل ما لا يعرف حقيقته كالاستواء فهو يتأوله!!! وهٰذا ما وقع فيه الباطنية وكثير من الفلاسفة وقارب ذٰلك المعتزلة ومن تأثر بهم من علماء الكلام كما فصل ذٰلك شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في كتبه الكثيرة، جزاه الله عن الإسلام خيراً.

☆ كلام رائع للخطيب البغدادي في الصفات:

وهنا يطيب لي بهٰذه المناسبة أن أنقل من بعض المخطوطات فصلاً رائعاً من كلام بعض علماء السلف مما لم يطبع حتى الآن فيما علمت، وهو للخطيب البغدادي الحافظ المؤرخ المشهور. . . ، فرأيت أن أذكره هنا بنصه، إتماماً للحجة على الخلف الذين يتوهم الكثير منهم، أن القول بوجوب الإيمان بحقائق الصفات ومعانيها كما يليق بالله تعالى هو مذهب تفرد به ابن تيمية ومن اقتدوا به فيها، ولم يعلموا أنه رحمه الله تابع لهم في ذٰلك، وإنما فضله في بيانه وشرحه له وإقامة الأدلة عليه بالمنقول والمعقول، ودفع الشبهات عنه، وإلا فهو سلفي المعتقد، وهو الواجب على كل مسلم، ولذٰلك بادرنا إلى نشر كتاب الذهبي («العلو»)؛ لتعلم به ما قد يكون خافياً عليك كما خفي على غيرك، فكان ذٰلك سبباً قوياً من أسباب الابتعاد عن العقيدة السلفية والطريقة المحمدية.

قال الحافظ الخطيب رحمه الله تعالى:

«أما الكلام في الصفات؛ فإن ما روي منها في السنن الصحاح؛ مذهب السلف رضوان الله عليهم إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها. وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله سبحانه. وحققها من المثبتين قوم فخرجوا في ذٰلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف. والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله بين الغالي فيه والمقصر عنه.

والأصل في هٰذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ويَحتَذي في ذٰلك حذوه ومثاله. فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين عز وجل إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذٰلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف.

فإذا قلنا: لله تعالى يد، وسمع، وبصر؛ فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، ولا نقول: إن معنى اليد القدرةُ، ولا إن معنى السمع والبصر العلمُ، ولا نقول: إنها جوارح، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل،

ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقوله عز وجل ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

ولما تعلق أهل البدع على عيب أهل النقل برواياتهم هٰذه الأحاديث وَلبَّسُوا على من ضَعُفَ علمهُ بأنهم يروُون ما لا يليق بالتوحيد ولا يصحُّ في الدِّين، ورموهم بكفر أهل التشبيه، وغفلة أهل التعطيل؛ أجيبوا بأن في كتاب الله تعالى آياتٍ محكماتٍ يفهم منها المراد بظاهرها، وآياتٍ متشابهاتٍ لا يوقف على معناها إلا بردِّها إلى المُحْكَم، ويجب تصديقُ الكُلِّ والإيمانُ بالجميع؛ فكذٰلك أخبار الرسول ﷺ جارية هٰذا المجرى، ومنزَّلَةٌ على هٰذا التنزيل، يُرَدُّ المتشابه منها إلى المحكم، ويُقْبَلُ الجميعُ.

وتنقسم الأحاديث المروية في الصفات ثلاثة أقسام:

أ- **منها أخبار ثابتة** أجمع أئمة النقل على صحتها، لاستفاضتها وعدالة ناقليها. فيجب قبولها، والإيمان بها، مع حفظ القلب أن يسبق إليه اعتقاد ما يقتضي تشبيهاً لله بخلقه، ووصفه بما لا يليق به من الجوارح والأدوات، والتغير والحركات.

ب- **القسم الثاني: أخبار ساقطة**، بأسانيد واهية، وألفاظ شَنِيعَةٍ، أجمع أهل العلم بالنقل على بطولها، فهٰذه لا يجوز الاشتغال بها ولا التعريج عليها.

ج- **والقسم الثالث: أخبار اختلف أهل العلم في أحوال نَقَلَتِهَا**، فقبلهم البعض دون الكل، فهٰذه يجب الاجتهاد والنظر فيها لتلحق بأهل القبول، أو تجعل في حيز الفساد والبطول».

فاحفظ هٰذا الأصل من الكلام في الصفات وافهمه جيداً، فإنه مفتاح الهداية والاستقامة عليها.

☆ اعتماد العلماء المحققين على كلام الخطيب البغدادي:

وعليه اعتمد الإمام الجويني حين هداه الله تعالى لمذهب السلف في الاستواء وغيره كما تقدم ذكره عنه، وهو عمدة المحققين كلهم في تحقيقاتهم لهذه المسألة كابن تيمية وابن القيم وغيرهما.

☆ بيان شيخ الإسلام مذهب السلف في الصفات:

قال ابن تيمية في «التدمرية» (ص٢٩): طبع المكتب الإسلامي:

«القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات.

فإذا قال السائل؛ كيف استوى على العرش؟ قيل له كما قال ربيعة، ومالك وغيرهما رضي الله عنهم: «الاستواءُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عن الكيفية بدعةٌ»[1] لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه. وكذلك إذا قال: كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؟ قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: لا أعلم كيفيته. قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله. إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرعٌ له، وتابعٌ له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله، وأنت لا تعلم كيفية ذاته؟ وإذا كنت تقر بأن له حقيقةً ثابتةً في نفس الأمر مستوجبةً لصفات الكمال، لا يماثلها شيء، فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه ثابتٌ في نفس الأمر، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم...».

---

(١) **أَثَرَانِ صَحِيحَان**، سبق تخريجهما (ص: ٢٠، ١١٢).

وقال في «الحموية» (ص٩٩) بعد أن ذكر مختصر ما تقدم:

«ومذهبُ السَّلف بين التعطيل وبين التمثيل، فلا يمثِّلُون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثِّلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، فيعطلوا أسماءه الحسنى، وصفاته العليا، ويحرِّفوا الكَلِمَ عن مواضعه، ويُلْحِدُوا في أسماء الله وآياته.

وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل، فهو جامعٌ بين التعطيل والتمثيل. أما المعطِّلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات. فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل، مثَّلوا أولاً، وعطَّلوا آخراً. وهٰذا تشبيهٌ وتمثيلٌ منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة به سبحانه وتعالى، فإنه إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش، أو أصغر، أو مساوياً، وكل ذٰلك من المحال -ونحو ذٰلك من الكلام- فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان. وهٰذا اللازم تابع لهٰذا المفهوم، إما استواء يليق بجلال الله، ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها، كما يلزم سائر الأجسام. وصار هٰذا مثل قول المُمَثِّل: إذا كان للعالم صانع، فإما أن يكون جوهراً أو عرضاً، إذ لا يعقل موجود إلا هٰذا، وقوله: إذا كان مستوياً على العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير والفُلك، إذ لا يعلم الاستواء إلا هٰكذا. فإن كليهما مَثَّل وكليهما عطَّل حقيقةً ما وصف الله به، وامتاز الأول بتعطيل كل اسم للاستواء الحقيقي، وامتاز الثاني بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين.

والقول الفصل هو ما عليه الأمة الوسط، من أن الله مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله، ويختص به. فكما أنه سبحانه موصوف بأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، ونحو ذٰلك، ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي لعلم المخلوقين وقدرتهم، فكذٰلك هو سبحانه فوق العرش، ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق وملزوماتها.

واعلم أنه ليس في العقل الصريح، ولا في شيء من النقل الصحيح، ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلاً».

وأقول: أما النقل الصحيح، فهو موضوع مختصر كتاب الحافظ الذهبي («العلو»)، (فإنك تجد) فيه ما يجعلك على مثل اليقين مؤمناً بأن الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار السلفية متفقة كلها على أن الله تعالى فوق عرشه بذاته، بائناً من خلقه، وهو معهم بعلمه. وسترى إن شاء الله تعالى أن أئمة المذاهب المتبعة وأتباعهم الأولين ومن سار على نهجهم من التابعين لهم حتى أواخر القرن السادس من الهجرة قد اتفقت فتاواهم وكلماتهم على إثبات الفوقية لله تعالى على عرشه وخلقه وعلى كل مكان، وأن ذٰلك كما أنه متواتر عن رسول الله ﷺ [-كما صرح بذٰلك الحافظ الذهبي في «صفات ربِّ العالمين» (١/ ١٧٥/ ٢)-]، فهو مجمع عليه من السالفين والأئمة الماضين من المحدِّثين والفقهاء والمفسرين واللغويين وغيرهم، وستراهم بأسمائهم وأقوالهم الثابتة عنهم في ذٰلك، حتى قاربوا في عددهم المئتين، وهم في الواقع يبلغون المئات، ولٰكن ذٰلك ما تيسر جمعه (للذهبي) رحمه الله تعالى [وذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- في «إجتماع الجيوش الإسلامية» جماعة آخرين من العلماء].

☆ السلف الصالح أجمعوا على عُلُوِّ الله على خلقه:

فإذا وقف الطالب المخلص للحق على كلماتهم تيقن أنه يستحيل أن يكونوا قد أجمعوا على الضَّلال، ولَعَلِمَ أن مخالفهم هو في الضلال، وما أحسن ما قاله [الذهبي] رحمه الله في «صفات رب العالمين» بعد أن ذكر قليلاً مما أشرنا إليه من النقول (١٨٧/ ١-٢):

«ولو ذكرنا قولَ كلِّ مَنْ له كلام في إثبات الصفات من الأئمة لاَتَّسَعَ الخرقُ، وإذا كان المخالف لا يهتدي بمن ذكرنا أنه يقول: الإجماع على إثباتها من غير تأويلها، أو لا يصدقه في نقله؛ فلا هداه الله! ولا خير -والله- فيمن رد على مثل الزهري، ومكحول،

والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، ومالك، وابن عيينة، وابن المبارك، ومحمد بن الحسن، والشافعي، والحميدي، وأبي عبيد، وأحمد بن حنبل، وأبي عيسى الترمذي، وابن سريج. وابن جرير الطبري، وابن خزيمة، وزكريا الساجي، وأبي الحسن الأشعري، أو يقول مثل قولهم من الإجماع مثل الخطابي، وأبي بكر الإسماعيلي، وأبي القاسم الطبراني، وأبي أحمد العسال... (فذكر غيرهم...) والشيخ عبد القادر الجيلي -«الإمام في كل عصر»- الذين هم قلب اللب ونقاؤه !!».

قلتُ: والعقل الفطري السليم يشهد لهٰؤلاء الأئمة وما معهم من نصوص الكتاب والسنة، وبيان ذٰلك:

☆ كيف تناقش حلولياً؟

لا خلاف بين المسلمين جميعاً أن الله تعالى كان ولا شيء معه، لا عرشَ ولا كرسيَّ ولا سماءَ ولا أرضَ، ثم خلقَ اللهُ تعالى الخلقَ. كما سيأتي في حديث عمران بن حصين[1].

فإذا كان كذٰلك فمما لا شك فيه؛ أن مخلوقاته تعالى، إما أن يكون خلقها في ذاته تعالى، فهي حَالَّةٌ فيه وهو حَالٌ فيها! وهٰذا كفرٌ لا يقول به مسلمٌ، وإن كان هو لازم مذهب الجهمية وغلاة الصوفية الذين يقول قائلهم: «كل ما تراه بعينيك فهو الله»! تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً[2].

وإذا كان الأمر كذٰلك، فمخلوقاته تعالى بائنةٌ عنه، غيرُ مختلطةٍ به. وحينئذٍ، فإما أن يكون الله تعالى فوق مخلوقاته، وإما أن تكون مخلوقاته فوقه تعالى، وهٰذا باطلٌ بداهةً، فلم يبق إلا أن الله تبارك وتعالى فوقها، وهو المطلوب المقطوع ثبوته في الكتاب والسنة وأقوال السلف ومن جاء بعدهم من الأئمة على اختلاف اختصاصاتهم ومذاهبهم كما تراه مفصلاً في («مختصر العلو»).

---

(١) (ص: ١٣٢).

(٢) الفقرة غير مكتملة، ولعله سقط: «وإما أن يكون خلقها خارج ذاته تعالى، وهو الصواب الذي لا محيص عنه». والله اعلم. =

☆ بيان ضلال الجهمية في مسألة الاستواء، والرد عليهم:

ومن هنا نعلم مبلغ ضلال الجهمية ومن تأثر بهم من الخلف الذين أنكروا جميعاً أن يكون الله تعالى على عرشه فوق خلقه، ثم انقسم **هؤلاء على مذهبين**:

الأول: مذهب الجهمية[١] الذين ذهبوا إلى أن الله تعالى في كل مكان مخلوق [وحكاه الأشعري في «مقالات الإسلاميين» (ص٢١٢) عن بعض المعتزلة، وتبرأ منه في «الإبانة» كما في ترجمته (في «العلو»)، وجزم بأنه تعالى مستوٍ على عرشه، وهٰذا خلاف اعتقاد أتباعه المنتسبين إليه][٢]. وقد جادلهم الإمامُ أحمدُ رحمه الله تعالى. فأحسنَ جدالهم، وكشفَ به عوارهم، فقال في رسالة «الرد على الجهمية».

«وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله سبحانه وتعالى حين زعم أنه في كل مكان؛ ولا يكون في مكان دون مكان، فقل له: أليس كان الله، ولا شيء؟ فيقول: نعم. فقل له: فحين خَلَقَ الشيءَ خَلَقَهُ في نفسه أو خارجاً عن نفسه؟ فإنه يصير إلى أحد ثلاثة أقاويل:

أ- إن زعم أن الله تعالى خلق الخلق في نفسه كفر، حين زعم أن الجن والإنس والشياطين وإبليس في نفسه!

ب- وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه، ثم دخل فيهم؛ كفر أيضاً، حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش وقذر.

ج- وإن قال خلقهم خارجاً من نفسه، ثم لم يدخل فيهم. رجع عن قوله أجمع، وهو قول أهل السنة»[٣].

---

(١) الحلولية منهم، كما يقول ذٰلك النجارية وغيرهم.
وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن هٰذا المذهب هو الغالب على عامتهم وعبادهم.

(٢) ما بين المعقوفتين نقلته من الحاشية إلى المتن.

(٣) عزاه شيخنا الألباني -حفظه الله- إلى: «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٧٦-٨٠)، ومثله في رسالة «المعرفة» للشيخ عبد الكريم الرفاعي -رحمه الله-.

والمذهب الآخر: قول بعض غلاة النفاة للعلو[١]: «الله؛ لا فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا يسار، ولا أمام، ولا خلف، لا داخل العالم، ولا خارجه»[٢]. ويزيد بعض فلاسفتهم: «لا متصلاً بالعالم، ولا منفصلاً عنه»!

قلتُ: وهٰذا النفي معناه -كما هو ظاهر- أن اللهَ غيرُ موجود، وهٰذا هو التعطيل المطلق، والجحد الأكبر! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وما أحسن ما قال محمود بن سبكتكين لمن وصف الله بذٰلك: «مَيِّزْ لنا بيْنَ هٰذا الرَّبِّ الذي تُثْبِتُه وبيْنَ المعْدُوم!» ذكره في «التدمرية» (ص٤١).

وهٰذان المذهبان الباطلان، أحدهما -ولا بد- لازم لكل من أنكر صفة العلو لله على عرشه، كما سبق بيانه.

● يدّعي بعضُهم (!!) أنَّ حديث الجارية مضطرب أو شاذّ، مع أنّه في «صحيح مسلم»[٣]، فما رأيكم بارك الله فيكم؟

الجواب: إذا قال قائل: إنّ هٰذا حديثٌ ضعيفٌ معلولٌ؛ نقول له: هل تعرف في علم الحديث، ورجاله، ومصطلحه، إلى آخره...؟ فإن قال: لا؛ قلنا له: كيف عرفتَ أنّ هٰذا الحديثَ ضعيفٌ، وأنت تعرف أنّه في «صحيح مسلم»؟ هل عرفتَ ذٰلك بعِلْمِكَ الخاصّ الذي ينبع مِنْ جَلَدِكَ وكَدِّكَ أنّه ضعيفٌ؟

فسيقول: لا... ولٰكن سآتيك بمَنْ ضعَّفه، وهو لن يأتي إلاّ بمثل السقّاف، فإن علا؛ فالغماريّ، فإن علا أكثر؛ فالكوثريّ. ثم يقف عند هٰذا المثلّث!!

---

(١) وهٰذا قول المعتزلة والجهمية والفلاسفة النفاة والقرامطة الباطنية، وهو مذهب طوائف من متأخري الاشاعرة.

(٢) قال شيخنا: «كذا في «حاشية البيجوري على الجوهرة» (ص٥٨)، وقد سمعتُ هٰذا النفي من بعض المشايخ على المنبر يوم الجمعة، يعلم المسلمين الإيمان برب العالمين!».

(٣) سيأتي تخريجه في السؤال الآتي.

إنه لا يوجد أحد إطلاقاً من أئمّة الحديث ضعَّفَ هٰذا الحديثَ، بل ذكرتُ في بعض كُتبي -ولعله في «الصحيحة» (التي لم تنشر بعد)- خمسة عشر إماماً مِنْ أئمّة المسلمين الذين صحّحوا هٰذا الحديث، ومِنْ جملتهم مَنْ يُصَفُّ في مصافّ المؤوِّلة، كالإمام البيهقي، والإمام النووي، والإمام ابن حجر العسقلاني.. كلّ هٰؤلاء وأمثالهم يصحّحون هٰذا الحديث.

سيقول: ضعّفه الغماري.. أو الكوثري..

نقول له: إن كنت لا تعرف في الحديث الصحيح والضعيف، فنحن نسألك سؤالاً عامّاً وهو: مَنْ تعتبره أعلم في الحديث.. مسلم، وأحمد، ومالك، بل والبيهقيّ والعسقلانيّ، أم هٰؤلاء الذين تنقل عنهم مِنْ المتأخِّرين مِن المعطِّلة والمؤوِّلة؟

إذا كان غيرَ عالمٍ، فعلى مَنْ يجب عليه أن يعتمد؟!

ألم يقل ربّنا عز وجل: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] فالإمام مالك وأحمد ومسلم إلى البيهقي والعسقلانيّ، هل هٰؤلاء مقطوعٌ عندك بعلمهم وفضلهم وإمامتهم؟

فسيقول: نعم.

فنسأله: مِنْ أين جاءك القطع بعلم هٰؤلاء؟

فالجواب بديهيّ وهو: أنّ الأمّة كلها اجتمعت على الاعتراف بإمامة هٰؤلاء بدون خلاف، على الرغم من أنَّ هٰؤلاء الأئمّة الذين ذكرناهم، بينهم خلاف حتّى في بعض فروع العقيدة، ولٰكن لم يختلف المسلمون -رغم اختلاف مذاهبهم ومناهجهم سواء في العقيدة أو الفقه- في أنّ هٰؤلاء أئمّة في علوم الحديث.

وبعد ذلك فأنت لا تجد مقابل هؤلاء أئمَّة اثنين ولا ثلاثة مثلهم، فضلاً عن نفس العدد، حتَّى يتساوى عندك الأمر، ويكون لك فيه الخيار بالاتباع .

وهنا سينقطع المجادِل في تضعيف هذا الحديث، وإن كان مُخلِصًا سيعرف أنّه كان في ضلال مبين .

● **الجارية قالت: «الله في السماء»[1]، والله ليس له مكان، وهل في هذا إثبات المكان لله ؟**

الجواب: هذا السؤال ليس سؤالَ مكانٍ، أما المكانة فمكانة الله عز وجل من حيث

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحة، رقم ٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السُّلَمي – رضي الله عنه – قال: «... وكانت لي جاريةٌ تَرْعَى غنمًا لي قِبَلَ أُحُد والجَوَّانيَّة، فاطَّلَعْتُ ذاتَ يَوم فإذا الذِّيبُ قد ذهبَ بشاةٍ من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسَفُ كما يَأْسَفُون، لكني صَكَكْتُها صَكَّةً، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ، فعظَّمَ ذلك عليَّ . قلتُ: يا رسولَ الله! أَفَلاَ أَعْتِقُهَا؟ قال: «**ائتني بها**» . فأتيتُه بها . فقال لها: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قالت: في السماء. قال: «**مَنْ أنا؟**» قالتْ: أنتَ رَسُولُ الله . قال: «**اعْتِقْهَا؛ فإنها مؤمنةٌ**» . وانظر: «الصواعق المرسلة» للإمام ابن القيم – رحمه الله – (١/ ٣١٢– ط: د/ علي الدخيل) .

وهذا الحديث لا ينافي ما صَحَّ إسنادُهُ في «مصنف عبد الرزاق» (٩/ ١٧٥/ ١٦٨١٤)، و«مسند أحمد» (٣/ ٤٥١)، وابن الجارود في «المنتقى» (٩٣١) وغيرهم من حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن رجل من الأنصار أنه جاء بأَمَةٍ سوداءَ، وقال: يا رسولَ الله! إن عليَّ رقبةً مؤمنةً، فإن كنتَ تَرى هذه مؤمنةً؛ أَعْتِقُهَا؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «**أَتَشْهَدِين أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله؟**» قالت: نعم . قال: «**أَتَشْهَدِين أَنِّي رَسُولُ الله؟**» قالت: نعم . قال: «**أَتُؤْمِنِينَ بِالبَعْثِ بَعْدَ الموت؟**» قالت: نعم . قال: «**أَعْتِقْهَا**» .

فإن تَعَدُّد القصة وَارِدٌ، على أن حديث الأنصاري هذا قد أعلَّ بالإرسال؛ كما في «الموطأ» (٢/ ٦) وغيره .

ثم إنه إن سُلِكَ سبيلُ الترجيح – جَدَلاً – لَرُجِّحَ حديثُ معاوية على حديث الأنصاري؛ لأنه أقوى منه صحةً؛ إذ إنه أيضًا على شرط الشيخين، ورجاله كلهم ثقاتٌ، على أنه لم يعارضهما ببعض أحدٌ من العلماء والمحدِّثين!! بل تلقوه بالقبول، حتى الذين تأولوه .

وانظر: «دفاع عن حديث الجارية» (ص: ٢٤–٢٥) للأخ سليم بن عيد الهلالي – حفظه الله .

فذٰلك لأن الله ليس له مكان ما في المواقع . . . ، الله مُنَزَّه عن المكان باتفاق جميع علماء الإسلام، لماذا؟ لأن الله كان ولا شيء معه، وهٰذا معروف في الحديث (الذي رواه) البخاري: «**كَانَ اللهُ ولاَ شَيْءَ مَعَهُ**»(١)، معناه: كان ولا مكان له؛ لأنه هو الغني عن العالمين، هٰذه حقيقة متفق عليها، ولٰكن مع الأسف الشديد لو سألتَ جماهير المسلمين هٰذا السؤال النبوي: «**أين الله**» فستجدُ مواقفَ المسلمين مختلفةً أشدَّ الاختلاف في الجواب، منهم من يكاد يَتَفَتَّقُ غيظاً وغضباً لمجرد أن طرقَ سمعَهُ هٰذا السؤالُ (مع أن الإمامَ) مُسْلِمَاً هو الذي روى هٰذا الحديث (في «صحيحه»)، يسمعُ الحديثَ وكأنَّه ما عاشَ في بلاد الإسلام بل ما عاش في بلاد العلم! بل إنه ما أمسك «صحيح مسلم» في زمانه مطلقاً! هٰذا ليس من أهل العلم(٢)، وهناك أناسٌ يقولون: لا يجوز للشخص أن

---

(١) أخرجه **البخاري** في «الصحيح» (كتاب التوحيد، باب: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ ﴿وهو رب العرش العظيم﴾، رقم ٧٤١٨) من حديث عمران بن حصين -رضي الله عنه- قال: إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم، فقال: «**اقْبَلُوا البُشْرَى يا بَنِي تَمِيم**». قالوا: بشرتنا، فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن، فقال: «**اقْبَلُوا البُشْرَى يا أهلَ اليمنِ إذْ لم يَقْبَلْهَا بَنُو تميم**». قالوا: قبلنا، جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هٰذا الأمر ما كان؟ قال: «**كانَ اللهُ ولم يَكُن شيءٌ قَبْلَهُ، وكانَ عرشُهُ على الماءِ، ثم خَلَقَ السمٰواتِ والأرضَ، وكَتَبَ في الذِّكْرِ كُلَّ شيءٍ**».

وفي رواية: «**كانَ اللهُ ولم يكُن شيءٌ غَيْرَهُ**».

(٢) قال شيخُنَا -حفظه الله- في أحد أشرطته عن مثل هٰذا الشخص أثناء حديثه في نفس الموضوع:

«لٰكن نحن نقوم له عذراً؛ لأنه لا يعلم، ونعذُرُه؛ لأن أهل العلم أنفسهم لم يُعلِّموه ولم يرووا له الحديثَ، وإذا رووه فمِنهم من يَمُرُّ -كما يقولون- مَرَّ الكرام، ومنهم مَنْ يُعلِّق عليه تعليقاً هو الكفر بعينه: يقول: الرسول ﷺ سأل الجاريةَ على حسب عَقْلِهَا! وفي بعض الروايات: «كانتْ خَرْسَاءَ»، فليس عندها ثقافةٌ وعلمٌ، وليس لها لسانٌ تعبرٌ وتُعْلِن عما في نفسها!

فإذن سألها الرسول ﷺ ملاحظاً وضعها العاجز، **قال لها**: «**أين الله**»؟ **قالت**: «**في السماء**»، **قال لها**: «منْ أنا»؟ **قالت**: «**أنت رسول الله**»، هٰذا الشارح يشرح الحديث بحيث أنه يعطِّلُ مفعولَه ويجعل علاقته خاصةً بهٰذه الجارية. وأن الحادثة لم تتكرر إطلاقاً، هٰكذا يزعم!! فنقول لهٰذا الإنسان: إن الرسول ﷺ حكم عليها بأنها مؤمنةٌ بوجود الله، هل هٰذا الإيمان بوجود الله يكفي كدليل على إيمان هٰذا الإنسان إيماناً إسلامياً؟! هٰذا الإيمان بوجود الله يشترك فيه المسلم واليهودي والنصراني والمجوسي أيضاً؛ لأنهم كلهم يعتقدون أن لهٰذا الكون خالقاً، لٰكن المؤمن يتميز **على غيره** بأنه يصف معبوده بصفات الكمال التي عرفها من الإسلام، أما الآخرون فقد ضلُّوا عن ذٰلك بكفرهم بالإسلام. =

يسأل: «أين الله»، ! فنقول له: أنت تؤمنُ بوجود الله؟ يقول: نعم، نقول له: إذن؛ أين هو؟ يفكر ولا يعطي الجواب، لا يعرفُ وهو مسلم! ما هو معنى مسلم؟ معناه حقيقةً: هل هو مسلم؟

والمشكلة أن علم الكلام دخل في الموضوع فأفسد العقول، وماذا [قال لهم؟] قال لهم: لا يجوز أن نقول: الله في السماء، لماذا؟ لأن الله ليس له مكان. صحيح ونحن نقول ذٰلك، وأن الله غنيٌّ عن المكان، فأَفْهَمَ الناسَ بأن معنى الآية إثبات المكان لله عز وجل، ومعنى الحديث إثبات المكان لله عز وجل في السماء!! هٰذا جهلٌ أدَّى بهم إلى جهلٍ مطبقٍ! فالمسلم حينما يعتقد أن الله في السماء لا يعني أن الله مثل إنسان في غرفة! لماذا؟ لأن هٰذا تشبيهٌ! وقد سمعتم أن خصال ومزايا الدعوة السلفية أنها وسطٌ بين التفريط والإفراط، بين المشبهين والمعطلة، فالسَّلفُ وسطٌ يؤمنون وينزِّهون. فحينما يعتقدُ المسلمُ أن الله في السماءِ لا يعني أنه في السماء يعني كالإنسان في الغرفة! كلا!!

= الشاهد: فإذا قيل لهٰذا الذي يتأول هٰذا الحديث بهٰذا التأويل ويضرب بذٰلك التأويل في صدر الحديث ويعطل دلالته، إذا قيل له: لٰكن هٰذا الجواب هو منصوص في القرآن وهناك أحاديثُ أُخرى لا علاقةَ لها بامرأة خرساءَ أعجمية! فهناك الآية الكريمة: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]؛ قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: ملائكة العذاب الذين يأمرهم الله بالتعذيب! هٰذا معنى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لماذا؟ يقول: لأنه لا يجوز أنْ نعتقدَ أنَّ اللهَ في السماء! وهٰذا كُلُّه من فضائل علم الكلام الذي يُدَرَّسُ في الجامعات وكلِّياتِ الشريعةِ! أما الحديث الذي يعرفه الجميعُ ولا يمكن أن يقال: إنه خاص بإنسان دون الآخرين، وهو قوله ﷺ «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمٰنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرضِ يرحمْكُم مَنْ في السَّماءِ»(أ) [وهٰذا الحديث بالتعبير العصري: حديث شعبي، يعني كل الناس يعرفون هٰذا الحديث، فإذا ما جُوبه المتأوِّل به قال:] هٰؤلاء ملائكة الرحمة! فوصل بهم الأمرُ إلى تعطيل نصوص الكتاب والسنة، بسبب علم الكلام! وأوصلهم ذٰلك إلى أن إيمانهم بالله يساوي ألاَّ إيمان!!

. . . . . .

(أ) حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

سيأتي تخريجه موسَّعاً (ص: ١٥٦ - فما بعد).

إذن، ما معنى «في السماء»؟ ما المعنى الصحيح؟[١]

السماء لها معانٍ في اللغة، لا نتفلسف كثيراً بذكرها، من هٰذه المعاني: السماء الدنيا، الثانية، الثالثة... إلى آخره، ومن هٰذه المعاني: العلو المطلق، فالسماء الأولى والثانية أجرام مخلوقة، فإذا قلنا: الله في السماء؛ معناه قدرناه في مكان وقد قلنا: إنه منزه عن المكان، إذن كيف نفهم الجواب؟

(في) في اللغة ظرفية، فإذا أبقيناها على بابها وقلتَ: الله في السماء؛ وجَبَ تفسير السماء بالعلوِّ المطلق، يعني: فوق المخلوقات كلها حيثُ لا مكان[٢]. بهٰذه الطريقة وصفَ اللهُ به نفسَه بدون تشبيهٍ وبدون تعطيلٍ (التشبيه أن نقول مثلاً: نحن هنا في هٰذا المكان. التعطيل أن نقول: لا، الله ليس في السماء. وهٰذا كفر لمعنى الآية ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦].

يبقى تفسير السماء بمعنى الأجرام التي خلقها الله [فتكون (في) بمعنى (على)؛ لأن حروف الجر في اللغة تقوم مكان بعضها أحياناً]، فهو عليها وفوقها وليس في شيء منها؛ لأنه منزه عن المكان. هٰذه عقيدة السلف، ولذٰلك ندعوا المسلمين إلى أن يرجعوا إلى عقيدة السلف وإلى منهج السلف حتى يستقيموا على الجادة وحتى يصدق فيهم أنهم رجعوا إلى الوصفة الطبية النبوية التي جعلها وصفةً لخلاص المسلمين (من الران الذي) نزل عليهم: «**حَتَّى ترجِعوا إلى دِينِكُم**»[٣]. فرجوعنا معشر المسلمين إلى الله وإلى كتابه

---

(١) انظر: (ص: ١٣٩، ١٥٦، ١٦٠-١٦١).

(٢) وقد روى **البخاري** في «صحيحه» (رقم: ٣٢٤٣) **ومسلم** في «صحيحه» (رقم: ٢٨٣٨) من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**الخَيْمَةُ دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ، طُولُها في السَّماءِ سِتُّونَ مِيلاً، في كلِّ زاويةٍ منها للمؤمن أهلٌ لا يراهم الآخرون**».

قال الإمام النوويُّ -رحمه الله- في «شرح صحيح مسلم» (١٧/١٧٦): «قوله: «طُولها في السماء» أي: في العُلوِّ» أهـ.

(٣) جزء من **حَدِيث حَسَن صَحِيح**، وهاك نصُّه: =

. . . . . .

= «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البقر، ورَضِيتُمْ بالزرع، وتَرَكْتُمُ الجهادَ في سبيل الله؛ سَلَّطَ اللهُ عليكمْ ذُلاً، لا يَنْزِعُهُ حتَّى ترجِعُوا إلى دِينِكُمْ».

ورد ذٰلك من حديث ابن عمر، وجابر بن عبد الله -رضي الله عنهم-

☆ أما حديث ابن عمر؛ فله عنه طرق:

- **الأولى**: طريق حيوة بن شريح عن أبي عبد الرحمٰن الخراساني عن عطاء أنه أخبره أن نافعاً حدثه عنه به.

أخرجها أبو داود في «السنن» (رقم ٣٤٦٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣١٦)، الدولابي في «الكنى» (٢/ ٩٥)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٩٩٨).

قلت: وهٰذا إسناد ضعيف؛ أبو عبد الرحمٰن الخراساني -وهو إسحاق بن أسيد- ضعيف، وعطاء -وهو الخراساني- يهم كثيراً ويدلس، لٰكنه صرح هنا بالتحديث، انظر: «التقريب» (رقم ٣٨٤، ٥١٧٣) على التوالي.

لكن تابعة فضالة بن حصين عن أيوب عن نافع به.

رواه ابن شاهين في جزء من «الأفراد» -كما في «الصحيحة» (رقم ١١)-، وقال: «تفرد به فضالة».

- **الثانية**: من طريقين ضعيفين عن عطاء بن أبي رباح عنه؛ كما قال الإمام البيهقي في «السنن الكبرى»، وهاهما:

أ- طريق أبي بكر بن عيَّاش عن الأعمش عنه به.

أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٨)، وأبو أمية الطرسوسي في «مسند عمر» (٢٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم ١٣٥٨٣).

وفيه انقطاع بين عطاء وابن عمر؛ كما في «جامع التحصيل» للعلائي (ص٢٣٧).

ب- طريق ليث بن أبي سليم عن عبد الملك عنه به.

أخرجه أبو يعلى في «المسند» (رقم ٥٦٥٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٣-٣١٤ و٣/ ٣١٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم ١٣٥٨٥).

وليث مدلس، واختلط في آخر عمره، كما بيَّنه ابنُ حبان في «المجروحين» (١/ ٥٧ و٢/ ٢٣١).

- **الثالثة**: طريق أبي جناب يحيى بن أبي حيَّة عن شهر بن حوشب عنه به.

أخرجها أحمد في «المسند» (٢/ ٤٢، ٨٤).

وسندها ضعيف؛ شهر معروف بسوء حفظه، والراوي عنه أبو جناب ضعيف؛ انظر: «تهذيب الكمال» (١٢/ ٥٨١-٥٨٨) و(٣١/ ٢٨٨) على التوالي.

☆ أما حديث جابر بن عبد الله:

وإلى حديث نبيه عليه الصلاة والسلام وعلى منهج السلف الصالح هو الطريق إلى النجاة.

● ما رأيكم فيمنْ يقولُ: «اللهُ تعالى فوقَ عرشِهِ بذاتِهِ»؟

الجواب: هٰذه اللفظة «بذاته»، وإن كانت عندي معقولةَ المعنى، وأنه لا بأس من ذكرها للتوضيح، فهي كاللفظة الأخرى التي كَثُرَ ورودُهَا في عقيدةِ السَّلف وهي لفظة «بَائن» في قولهم: «هو تعالى على عرشه، بائنٌ من خلْقه» وقد قال هٰذا جماعةٌ منهم كما (تراه في «مختصر العلو») في التراجم (٤٥ - عبد الله بن أبي جعفر الرازي) و(٥٣ - هشام بن عبيد الله الرازي) و(٥٦ - سُنيد بن داود المصيصي الحافظ)، و(٦٧ - إسحاق بن راهويه، عالم خراسان) وذكره عن ابن المبارك و(٧٧ - أبو زرعة الرازي) و(٧٨ - أبو حاتم الرازي)، وحكياه عن العلماء في جميع الأمصار. و(٧٩ - يحيى بن معاذ الرازي) و(٨٤ - عثمان بن سعيد الدارمي الحافظ) و(١٠٣ - أبو جعفر ابن أبي شيبة)، وكل هٰؤلاء من القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية، ثم (١٠٨ - حماد البوشنجي الحافظ) وحكاه عن أهل الأمصار و(١٠٩ - إمام الأئمة ابن خزيمة).

= فأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٥٥) من طريق بشير بن زياد الخراساني: ثنا ابن جريح عن عطاء عنه مرفوعاً به.

وسنده ضعيف؛ من أجل بشير هٰذا؛ قال ابن عدي: «وهو غير معروف، في حديثه بعض النكرة». وقال الذهبي في «الميزان» (١/ ٣٢٨/ ١٢٣٦): «ولم يُترك».

وبالجملة؛ فالحديث ثابت عن رسول الله ﷺ، لا مرية في ذٰلك، وقد صحّحه الحافظ ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٢/ ١٥١/ ٢)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٩/ ٣٠)، والحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٥٦)، والعلامة أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (رقم ٤٨٢٥)، وشخنا في «الصحيحة» (رقم ١١) ثم قال -حفظه الله-:

«وقد تنطع بعض المعاصرين ممن لم يتقن هٰذا العلم وقواعده؛ فانتقد تصحيحي لهٰذا الحديث لمجموع طرقه ببيانه لعلل مفرداتها، فكأنه لا يؤمن بقاعدة تقوي الحديث بالطرق، ولم يصنع شيئاً سوى بيان ضعف المفردات، مما لا يعجز عنه كل مبتدىء في هٰذا العلم، ولم يتعرض للجواب عن القاعدة المذكورة ألبتة، فوقع لجهله بهٰذا العلم في مخالفة من ذكرنا من العلماء وغيرهم» أهـ. باختصار.

و(١٢٥ - أبو القاسم الطبراني) و(١٣٣ - ابن بطة) و(١٤١ - أبو نعيم الأصبهاني) وعزاه إلى السلف و(١٤٢ - معمر بن زياد) و(١٥٥ - الفقيه نصر المقدسي) و(١٥٨ - شيخ الإسلام الأنصاري) و(١٦٤ - ابن موهب).

ومن هٰذا العرض **يَتَبَيَّنُ أن هاتيْنِ اللفظتيْنِ: «بذاته» و«بائن» لم تكونا معروفتين في عهد الصحابة رضي الله عنهم. ولٰكن لما ابتدع الجهم وأتباعه القول بأن الله في كل مكان، اقتضى ضرورة البيان أن يتلفظ هٰؤلاء الأئمة الأعلام، بلفظ «بائن» دون أن ينكره أحدٌ منهم.**

ومثل هٰذا تماماً: قولهم في القرآن الكريم: إنه غير مخلوق. فإن هٰذه الكلمة لا تعرفها الصحابة أيضاً، وإنما كانوا يقولون فيه: كلام الله تبارك وتعالى. لا يزيدون على ذٰلك، وكان ينبغي الوقوف فيه عند هٰذا الحد، لولا قول جهم وأشياعه من المعتزلة: إنه مخلوق، ولٰكن إذا نطق هٰؤلاء بالباطل، وجب على أهل الحق أن ينطقوا بالحق ولو بتعابير وألفاظ لم تكن معروفةً من قبل، وإلى هٰذه الحقيقة أشار الإمامُ أحمدُ -رحمه الله تعالى- حين سُئل عن الواقفة الذين لا يقولون في القرآن: إنه مخلوق أو غير مخلوق، هل لهم رخصة أن يقول الرجل: «كلام الله» ثم يسكت؟ قال: وَلِمَ يسْكُت؟! لولا ما وقع فيه الناس كان يَسَعُه السُّكُوتُ، ولٰكن حيثُ تكلَّموا فيما تكلَّموا، لأي شيء لا يتكلَّمون؟! سمعه أبو داود منه كما في «مسائله» (ص٢٦٣-٢٦٤).

● **«الله في السماء»؛ إجابة الجارية، لٰكن السماء ما ينطبق على الكون أنه يوجد فالله كان ثم أوجد الكون، فكيف أن الله أوجد الكون؟ (طالما أن الله أوجد الكون وما ينبغي أن يكون فيه أو في داخله، فأيضاً أوجد السماء ويفهم أنه لا يكون في داخلها).**

الجواب: طبعاً هو ليس بداخلها.

● إذن ما معنى «في السماء» ؟[١]

الجواب: اليوم الجماعات يقولون: هٰذه أمور تافهة ! وهٰذه تفرقة للمسلمين ! . . . إلى آخره، فلو كان هناك تطبيقٌ للمدعي أن يمشي على ما كان عليه الرسول ﷺ -وذٰلك يستلزم تصحيح المفاهيم بصورة عامة والعقائد بصورة خاصة-؛ لكان واضحاً جداً عند كل مسلم مثقفٍ معنى قوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، فالسماء لها مفهومان، تارةً تكون على بعدها ظرفية، وتارة تكون علم، فإذا تركنا «في» على بابها، فسر السماء- والحالة هٰذه- بأنه العلو المطلق، ليس بالمعنى المخلوق، وإذا أردنا أن نفهم السماء أنه خلقٌ من خلق الله، وكونٌ من هٰذا الكون الواسع؛ فَنُفَسِّر «في» على غير بابها، فيقال: «على» فسواء فسرنا هٰذا أو هٰذا فكل الدُّروب على الطَّاحُون، أن الله فوق المخلوقاتِ كلِّها . . . ، فهو كما كان قبل أن يخلق السمٰوات والأرض، سواء قلنا: «في» بمعنى «على» فالسماء بمعنى العلو المطلق، أو «في» بمعنى (الظرفية، والسماء هي السقف المعروف)، فحينئذ هو على السمٰوات كلِّها، [إذن] خلصنا من مشكلة التأويل مع سلامة العقيدة، وكل الآيات تتضافر حينذاك على المعنى الصحيح، أن الله على العرش استوى.

اليوم يُدَرَّسُ ضد هٰذا المبدأ ولا يؤدي هٰذا إلاّ إلى الحيرة !

☆ مناظرةٌ مع أحد المشايخ الأزهريين:

وقد التقينا عشرات الأشخاص الأزهريين وغيرهم، نجدهم يا أخي حيارى لا يستطيعون أن يجادلوا شاباً أمياً عامياً نشأ على هٰذه الفكرة وعلى هٰذه الدعوة، وهو دَرَسَ في الأزهر عشرين سنة، يحار !

---

(١) انظر: (ص: ١٣٥، ١٥٦، ١٦٠-١٦١).

وأنا أذكر من أواخر ما جرى النقاش بيني وبين أحد الأزهريِّين في ليلةٍ من ليالي منىً أيام الحج، جرى هٰذا البحث طويلاً لٰكن بطريقةٍ فيها شيء من التسلسل المنطقي. هم يستلزمون ويتهمون السلف الصالح كلَّهم -مع شيء من التحفظ لبعضهم- بأنهم مجسمةٌ؛ لأنهم يقولون: الله على المخلوقات وفوق المخلوقات كلِّها.

وهٰذا الشيخ الأزهري نفسه قال: أنتم (تضعون) الله في مكان!

فقلتُ له: سبحان الله! هٰذا بهتان عظيم! فجرى بيني وبينه البحث الآتي، بإيجاز:

قلت له: يا أستاذ! المكان شيء وجودي أم عدمي؟

قال: لا، وجودي.

قلتُ: وهنا الموجود محدودٌ أم غير محدود؟

قال: محدود.

قلت: لنبحث الآن: نحن على الأرض، فوقنا ماذا؟

قال: السماء الأولى.

قلت: حتى السابعة؟

قال: نعم.

قلت: وفوق السابعة؟

قال: العرش.

قلت: وفوق العرش إيش في؟ فأجابني بجواب يدل على مبلغ الثقافة والدراسة التي يُدَرَّسُوها في الأزهر!

قال: فوق العرش الكروبيون!

قلتُ: إيش هٰؤلاء الكروبيون؟

قال: هٰؤلاء ملائكةٌ.

قلتُ له: هل تعلمُ آيةً في القرآن الكريم ذَكَرتْ أنَّ هناك ملائكةً إسمهم (كروبيون)؟

قال: لا.

قلت: هل هناك حديثٌ عن الرسول ﷺ بهٰذا؟

قال: لا.

قلت: إذن؛ من أين جئْتَ بهٰذه الدعْوى وهٰذه العقيدة؟

فقال: يا أستاذ! هٰكذا دَرَسْنا في الأزهر.

فقلت: يا أستاذ! ما دَرَسْتَ في الأزهر أن العقيدة لا تُؤخذ -كما يزعمون!- إلاّ من نصٍ قطعيِّ الثبوت، قطعيِّ الدلالة، ويبنون على ذٰلك أن العقيدة لا تؤخذ من الحديث الصحيح إلاّ إذا كان متواتراً؟

قال: نعم.

قلت: لا آيةً ولا حديثاً متواتراً ولا حديثَ آحادٍ!! فكيف تَلَقَّفْتُم هٰذه العقيد؟!![1]

---

(١) رُوي **حَـدِيـثٌ ضَعِـيـفٌ جِـدًّا** في إثبات طائفة من الملائكة يتسمّون باسم (الكروبيون)، لٰكن ليس فيه أنهم فوق العرش!! وهاك نصه:

«إنَّ للهِ ملائكةً، وهم الكُرُوبِيُّونَ، مِنْ شحمةِ أُذُنِ أحدِهم إلى تُرْقُوَتِهِ مَسِيرةُ سبعِ مئةِ عامٍ للطائرِ السريعِ في انْحِطَاطِهِ».

أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ٢٣١/ب) عن محمد بن أبي السَّريّ: نا عمرو بن أبي سلمة عن صدقة بن عبد الله القرشي عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله مرفوعاً به.

قال شيخنا في «الضعيفة» (٢/ ٣٢٣): «وهٰذا اسنادٌ واهٍ جداً، وله علَّتان:

الأولى: محمد بن أبي السَّري، وهو متهم. =

لسنا بصدد هٰذا، هَبْ أن فوق العرش هٰؤلاء الملائكة المُسَمَّوْنَ: (الكروبيون)، وفوق هٰؤلاء الملائكة ماذا ؟

قال: خلاص انتهى الكون.

قلت: هناك مكان ؟

قال: لا.

قلت: نحن نقول الله فوق المخلوقات، إذن ليس في مكان؛ لأن المكان مخلوق محدود، فهو ليس في مكان[1]، فنحن عندما نصف اللهَ بما وصفَ به نفسَهُ لماذا أنتم تفسرون هٰذا الاعتقاد وهٰذا القول بخلاف الواقع ؟! أولاً: في مفاهيمكم على اعتبار أن الكون محدود، فلماذا تقولون: الله في مكان عند هٰؤلاء المجسمة أو المشبهة الذين يُدْعَوْنَ بالسلف الصالح، ثم خلاف الآيات الكريمة ؟! لماذا لا تُسَلِّمُونَ عقيدتكم لهٰذه النصوص المتواترة ؟! حتى إن بعض أئمة الحديث كالحافظ الذهبي أَلَّفَ رسالةً خاصةً بعنوان «العلو للعلي الغفار» !!!

= والأخرى: صدقة هٰذا -وهو الدمشقي السمين- وهو ضعيف، ووقع في السند: «القرشي»، ولم ترد هٰذه النسبة في ترجمته من «التهذيب»، فلعله تحرف على الناسخ نسبته «الدمشقي» بالقرشي، والله أعلم. وقد خالفه إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة به، بلفظ:

«أُذِنَ لي أَنْ أُحَدِّثَ عنْ مَلَكٍ من ملائكةِ اللهِ تعالى مِنْ حملَةِ العرشِ، ما بيْن شحمةِ أُذُنِهِ إلى عَاتِقِهِ مسيرةُ سَبْعِ مئةِ سَنَةٍ».

وهو بهٰذا اللفظ صحيح، كما بينتُه في «الأحاديث الصحيحة» (رقم: ١٥١)».

(١) لأن كلَّ موجودٍ يُسمَّىٰ شيئاً، والعدمُ ليس بشيءٍ؛ بدليل قوله ﷺ -الذي رواه مسلم في «صحيحه» (رقم: ٢٧١٣) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- في دعائه ربَّه جَلَّ وعَلا عند النوم-: «**وأنتَ الظاهِرُ فليسَ فَوْقَكَ شَيءٌ**».

وانظر: «نقض التأسيس» (٢/ ١٥٣-١٩٩)، و«درء التعارض» (٦/ ٢٩٩-٣٠٩ و٧/ ١٠-١٤).

هٰذا من جملةِ النقاش الذي جرى بيني وبين أحد الأزهريين، وما استطاع المسكين أن يصول أو يجول في هٰذه المسألة وهي عقيدته.

☆ تصحيح المفاهيم أولاً:

فأين الذين يصححون المفاهيم ويقيمون الدولة المسلمة ؟! فأنا أعتقد من صميم قلبي أن كل عمل لا يقوم على تصحيح المفاهيم ككل لا ينجح ولا ينهض أبداً.

وبعض الجماعات الاسلامية التي مضى عليها نصف قرنٍ من الزمان أكبرُ مثالٍ على ذٰلك، ثم بالإضافة إلى هٰذا قضوا أكثرَ مِنْ نصف قرنٍ مِنَ الزمان وما تَصَحَّحَتْ مفاهيمُهُم، صحيح أنهم يقولون عن الكتاب والسنة كما نقول، لٰكن هٰذا تقوله كل جماعة مهما كانت عريقة في الضلال؛ لو أخذنا -مثلاً- الشيعةَ الذين سطع اسمهم بسبب الدولة التي نرجو أن تكون دولة إسلامية حقيقية ! هل نحن لسنا على الكتاب والسنة ؟ طبعاً: لا، لٰكن تعال ادْرُسْ ما هو الكتاب عندهم وما هي السنة وما هي المصادر التي يلجأون إليها ؟ لا أعني السلسلة الدنيا وإنما أعني السلسلة العليا، هل يأخذون من الحديث عن أبي بكر، عن عمر، عن عثمان ؟! طريق مسدود ! فإذن نستفيد أنهم يلتقون معنا في المبدإ بصورةٍ عامةٍ، وهو الكتاب والسنة كما يصف كثير من الشباب اليوم: كتاب وسنة، فيزن السنة بمنطقه وعقله، فإذا دخل عقلَه؛ هٰذه السنةُ صحيحةٌ، وإذا ما دَخَلَتْ؛ هٰذا ليس معقولاً ! هٰكذا يريدون الإسلام !!

إذن تصحيح المفاهيم هو (البداية الصحيحة)[1].

---

(١) قال شيخنا الألباني -حفظه الله- في مقدمة «مختصر العلو» (ص٥٩-٦٢):

«ولقد تنبه لهٰذا أخيراً بعض الدعاة الإسلاميين، فهٰذا هو الأستاذ الكبير سيد قطب، رحمه الله تعالى -، فإنه بعد أن قرر تحت عنوان «جيل قرآني فريد» أن هٰذه الدعوة أخرجت جيلاً مميزاً في تاريخ الإسلام كله، وفي تاريخ البشرية جميعه، وأنها لم تعد تخرج من ذٰلك الطراز مرة أخرى، تساءل عن السبب مع أن قرآن هٰذه الدعوة لا يزال وحديث الرسول وهديه العملي وسيرته الكريمة كلها بين أيدينا كما كانت بين يدي ذٰلك الجيل الأول، ولم يغب إلا شخص رسول الله ﷺ ؟ فأجاب بأنه: =

. . . . . .

= «لو كان وجود شخص رسول الله ﷺ حتمياً لقيام الدعوة وإيتائها ثمراتها ما جعلها الله دعوة للناس كافة، وما جعلها آخر رسالة، وما وكَلَ إليها أمر الناس في هٰذه الأرض إلى آخر الزمان».

ثم نظر في سبب عدم تكرر المعجزة عدة عوامل طرأت، أهمها ما أشرنا إليه من اختلاف في طبيعة النبع فقال:

«كان النبع الأول الذي استقى منه ذٰلك الجيل هو نبع القرآن، القرآن وحده، فما كان حديث رسول الله وهديه إلا أثراً من آثار ذٰلك النبع فعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله قالت: «**كَانَ خُلُقُهُ القرآنُ**» [رواه مسلم].

كان القرآن وحده إذن هو النبع الذي يستقون منه، ويتكيفون به ويتخرجون عليه، ولم يكن ذٰلك كذٰلك لأنه لم يكن للبشرية يومها حضارة، ولا ثقافة، ولا علم، ولا مؤلفات، ولا دراسات، كلا فقد كانت هناك حضارة الرومان وثقافتها وكتبها وقانونها الذي ما تزال أوروبا تعيش عليه، أو على امتداده. وكانت هناك مخلفات الحضارة الإغريقية ومنطقها وفلسفتها وفنها، وهو ما يزال ينبوع التفكير الغربي حتى اليوم، وكانت هناك حضارة الفرس وفنها وشعرها وأساطيرها وعقائدها ونظم حكمها كذٰلك، وحضارات أخرى قاصية ودانية: حضارة الهند وحضارة الصين ... إلخ. وكانت الحضارتان الرومانية والفارسية تحفان بالجزيرة العربية من شمالها ومن جنوبها. كما كانت اليهودية والنصرانية تعيشان في قلب الجزيرة، فلم يكن إذن عن فقر في الحضارات العالمية والثقافات العالمية يقصر ذٰلك الجيل على كتاب الله وحده... في فترة تكونه... وإنما كان ذٰلك عن تصميم مرسوم ونهج مقصود. يدل على هٰذا القصد غضب رسول الله ﷺ وقد رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة من التوراة، وقوله: «**إنه والله ! لوْ كان موسى حَيّاً بين أَظْهُرِكُمْ ما حَلَّ له إلا أن يتبعني**» [حديث حسن، رواه أحمد وغيره؛ كما في «الإرواء» (١٥٨٩)].

كان رسول الله ﷺ يريد صنع جيل خالص القلب. خالص العقل. خالص التصور. خالص الشعور. خالص التكوين من أي مؤثر آخر غيرالمنهج الإلهي، الذي يتضمنه القرآن الكريم.

ذٰلك الجيل استقى إذن من ذٰلك النبع وحده، فكان له في التاريخ ذٰلك الشأن الفريد، ثم ما الذي حدث؟

اختلطت الينابيع ! صبت في النبع الذي استقت منه الأجيال التالية فلسفة الإغريق ومنطقهم، وأساطير الفرس وتصوراتهم، وإسرائيليات اليهود، ولاهوت النصارى، وغير ذٰلك من رواسب الحضارات والثقافات، واختلط هٰذا كله بتفسير القرآن الكريم،وعلم الكلام، كما اختلط بالفقه والأصول أيضاً.

وتخرج على ذٰلك النبع المشوب سائر الأجيال بعد ذٰلك الجيل، فلم يتكرر ذٰلك الجيل أبداً». =

● ما رأي فضيلتكم فيمن يقول: إن سؤال «أَيْنَ اللهُ» خطأٌ، ولا يجوز؛ لأنَّ الله لا يُوصَفُ بأنه فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا يسار، لا داخل العالم، ولا خارجه؟

= ثم ذكر -رحمه الله- عاملين آخرين، ثم قال (ص١٧):

«نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم. كل ما حولنا جاهلية... تصورات الناس وعقائدهم، وعاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم، فنونهم وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم. حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية، ومراجع إسلامية، وفلسفة إسلامية، وتفكيراً إسلامياً... هو كذلك من صنع هذه الجاهلية.

لذلك لا تستقيم قيم الإسلام في نفوسنا، ولا يتضح تصور الإسلام في عقولنا، ولا ينشأ فينا جيل ضخم من الناس من ذلك الطراز الذي أنشأه الإسلام أول مرة.

فلا بد إذن في منهج الحركة الإسلامية أن نتجرد في فترة الحضانة والتكوين من كل مؤثرات الجاهلية التي نعيش فيها، ونستمد منها. لا بد أن نرجع ابتداء إلى النبع الخالص الذي استمد منه أولئك الرجال. النبع المضمون الذي لم يختلط ولم تشبه شائبة، نرجع إليه نستمد منه تصورنا لحقيقة الوجود الكامل الحق: وجود الله سبحانه... ومن ثم نستمد تصوراتنا للحياة وقيمنا وأخلاقنا، ومفاهيمنا للحكم والسياسة والاقتصاد وكل مقومات الحياة.

ثم لا بد لنا من التخلص من ضغط المجتمع الجاهلي، والتصورات الجاهلية، والتقاليد الجاهلية، والقيادة الجاهلية في خاصة نفوسنا... ليست مهمتنا أن نصطلح مع واقع هذا المجتمع الجاهلي، ولا أن ندين بالولاء له، فهو بهذه الصفة... صفة الجاهلية... غير قابل لأن نصطلح معه. **إنَّ مُهِمَّتَنَا أنْ نُـغَـيِّـرَ من أنفسنا أولاً لِـنُـغَـيِّـرَ هذا المجتمعَ أخيراً.**

وَسَنَلْقَى في هذا عَنَتاً ومشقةً، وستُفْرض علينا تضحياتٌ باهظةٌ، ولكننا لَسْنَا مُخيَّرين إذا نحن شئنا أن نسلُك طريقَ الجيلِ الأولِ الذي أقرَّ اللهُ به منهجَه الإلهي ونصرَهُ على منهجِ الجاهلية».

من أجل ذلك كان لا بد للعاملين من أجل الدعوة الإسلامية أن يتعاونوا جميعاً على الخلاص من كل ما هو جاهلي مخالف للإسلام، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة، كما يشير إلى ذلك قوله ﷺ: **«تَرَكْتُ فيكم أمْرَيْن لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتابَ الله وسنتي، ولن يتفرقَا حتى يَرِدَا عليَّ الحوض»** [حديث صحيح. رواه أحمد وغيره، كما في «الصحيحة» (رقم١٧٦١)]. فإذا هم فعلوا ذلك فقد وضعوا الأساس لقيام المجتمع الإسلامي وبدونه لا يمكن أن تكون لهم قائمة، أو تنشأ لهم دولة مسلمة».

الجواب: إذن أين الله ؟! لم يبق لهٰذا الوجود الحق عندهم وجود؛ لأن الله باتفاق الجميع كان ولا شيء معه، فحينما كان هل يستطيع أن يقول كائن في العالم: لم يكن هناك عالم ؟! (بالطبع: لا)، طيب، ثم خلق العَالَمَ، خلقَ الكَوْنَ، فهل دَخَلَ في الكون ؟!

طبعاً يقولون: لا، إذن؛ هو كما كان من قبل؛ ضرورةً عقليةً فضلاً عن أنها ضرورةً شرعيةٌ: أن الله إذا لم يكن داخل العالم؛ فهٰذه حقيقةٌ ولا شك فيها. إذن فهو خارجُ العالَم، فإذا قال: لا داخل العالَم ولا خارجه؛ فهٰذا هو الجحدُ كلُّه !!

ثم إن تخطئته هٰذه لسؤال «أَيْنَ الله» كُفْرٌ بلا شك؛ لأنه يُخَطِّيءُ قائلَه الأوَّلَ وهو رسول الله ﷺ ! نعوذ بالله من الضلال[1].

● لقد اشْتُهِرَ عند الخلف نسبة كل مَنْ يثبت الفَوْقيةَ لله تعالى إلى أنه مشبِّهٌ أو مُجَسِّمٌ، أو إلى أنه ينسبُ للهِ الجهةَ والمكانَ، فما جوابُكم عن هذِهِ الشُّبُهات؟.

الجواب:

الشبهة الأولى: التشبيه.

يمكن أخذ الإجابة عن هذه الشبهة مما تقدم من النقول عن الأئمة، ومما (في كتابي: «مختصر العلو»)، أذكر الآن بعضها:

---

(١) قال الإمام عبد الغني المقدسي -رحمه الله في «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص: ٨٩): «ومَنْ أَجْهل جهلاً وأَسْخَف عَقْلاً وأَضل سبيلاً مِمَّنْ يقول: إنه لا يجوز أن يُقال: أين الله ! بعد تصريح صاحب الشريعة بقوله: «أَيْنَ اللهُ؟» ؟!!!».

١- قال نعيم بن حماد الحافظ: من شبه الله بخلقه، فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف به نفسه، ولا رسولُه تشبيهاً[١].

٢- قال إسحاق بن راهويه: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد مثل يدي أو سمع كسمعي، فهذا تشبيه، وأما إذا قال كما قال الله: يد وسمع وبصر فلا يقول: كيف، ولا يقول: مثل، فهذا لا يكون تشبيهاً، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١][٢].

ولو كان إثبات الفَوْقِيَّةِ لله تعالى معناه التشبيه؛ لكان كلُّ من أثبت الصفات الأخرى لله تعالى ـ ككونه حياً قديراً سميعاً بصيراً ـ مشبهاً أيضاً، وهذا ما لا يقول به مسلم ممن ينتسبون اليوم إلى أهل السنة والجماعة خلافاً لنفات الصفات والمعتزلة وغيرهم، قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة» (٢/ ٧٥):

«فالمعتزلة والجهمية ونحوهم مِنْ نُفَاتِ الصفات يجعلون كل من أثبتها مجسماً مشبهاً، ومن هؤلاء من يعد من المجسمة والمشبهة الأئمة المشهورين كمالك والشافعي وأحمد وأصحابهم، كما ذكر ذلك أبو حاتم صاحب كتاب «الزينة» وغيره.

وشبهة هؤلاء أن الأئمة المشهورين كلهم يثبتون الصفات لله تعالى ويقولون: إن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ويقولون: إن الله يُرى في الآخرة».

هذا مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أهل البيت وغيرهم.

ثم قال (ص: ٨٠):

«والمقصود هنا أن أهل السنة متفقون على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، **ولكنْ لفظُ التشبيه في كلامِ الناسِ لفظٌ مُجْمَلٌ**، فإن أراد

---

(١) **أَثَرٌ صَحِيحٌ**، سبق تخريجه (ص: ٦٥).
(٢) **أَثَرٌ صَحِيحٌ**.

بنفي التشبيه ما نفاه القرآن ودل عليه العقل؛ فهذا حق؛ فإن خصائص الرب تعالى لا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته..، وإن أراد بالتشبيه أنه لا يَثْبُتُ لله شيءٌ من الصفات، فلا يقال: له علم، ولا قدرة، ولا حياة؛ لأن العبد موصوف بهذه الصفات؛ فيلزم أن لا يقال له: حي، عليم، قدير؛ لأن العبد يسمَّى بهذه الأسماء! وكذلك في كلامه، وسمعه، وبصره، ورؤيته، وغير ذلك!! وهم يوافقون أهل السنة على أن الله موجود، حي، عليم، قادر، والمخلوق يقال له: موجود، حي، عليم، قادر، ولا يقال: هذا تشبيه يجب نفيه».

الشبهة الثانية: الجهَة

والجواب عنها ما قاله ابن تيمية في «التَّدْمُرِيَّة» (ص٤٥)[1]: «قد يراد بـ «الجهة» شيءٌ موجودٌ غير الله، فيكون مخلوقاً كما إذا أُريد بـ «الجهة» نفسُ العرش، أو نفسُ السماواتِ، وقد يُرادُ به ما ليس بموجودٍ غير الله تعالى، كما إذا أُريد بالجهة ما فوقَ العالَم. ومعلوم أنه ليس في النص إثباتُ لفظِ الجهةِ ولا نفيه، كما فيه إثباتُ العُلُوِّ والاستواءِ والفوقيةِ والعروج إليه ونحو ذلك، وقد عُلِمَ أن ما ثَمَّ موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق سبحانه وتعالى مُبَايِنٌ للمخلوق، ليس في مخلوقاته شيءٌ من ذاته، ولا في ذاته شيءٌ من مخلوقاته.

فيُقال لمن نفى: أتُريد بالجهة أنها شيءٌ موجودٌ مخلوقٌ؟ فالله ليس داخلاً في المخلوقات! أم تُريد بالجهةِ ما وراءَ العالَم؟ فلا ريب أن الله فوق العالم!.

---

(١) وانظر: «الرد على الجهمية» (ص:١٣٩) للإمام أحمد، و«درء تعارض العقل والنقل» (٦/١٤٣-١٤٦، ٣١٩ - فما بعد و٧/٣-١٠)، و«مجموع الفتاوى» (٥/١٥٢، ٢٦٢-٢٦٦، ٢٧٧، ٢٩٨ - فما بعد و ١٦/٤٠٧ و١٧/٤٤٣ - فما بعد) كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (٢/٣٨٩-٣٩٠ - ط الرسالة).

وكذلك يُقال لمن قال: الله في جهةٍ. أتُريد بذلك أن الله فوق العالَم، أو تُريد به أن الله داخل في شيءٍ من المخلوقات؟ فإن أردتَ الأولَ فهو حق، وإن أردتَ الثانيَ فهو باطلٌ».

ومنه يتبين أن لفظَ الجهةِ غيرَ واردٍ في الكتاب والسنة، وعليه: فلا ينبغي إثباتها، ولا نفيها؛ لأن في كلٍ من الإثبات والنفي ما تقدم من المحذور، ولو لم يكن في إثبات الجهة إلا إفساح المجال للمخالف أن ينسب إلى متبني العلو ما لا يقولون به؛ لكفى.

وكذلك لا ينبغي نفيُ الجهةِ تَوَهُّمَاً من أن إثبات العلو لله تعالى يلزم منه إثباتُ الجهة؛ لأن في ذلك محاذير عديدة، منها: نفيُ الأدلةِ القاطعةِ على إثبات العلو له تعالى. ومنها: نفيُ رؤيةِ المؤمنين لربهم عزَّ وجل يوم القيامة، فصرَّح بنفيها المعتزلةُ، والشيعةُ، وعلَّل ابنُ المطهر الشيعي في «منهاجه» النفيَ المذكورَ بقوله: «لأنه ليس في جهة»! وأما الأشاعرةُ ـ أو على الأصح متأخروهم الذين أثبتوا الرؤيةَ ـ؛ فتناقضوا حين قالوا: «إنه يرى لا في جهة»! يعنون العلو! قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة» (٢/ ٢٥٢):

«وجمهور الناس من مُثْبِتَةِ الرؤيةِ ونفاتها يقولون: إن قول هؤلاء معلوم الفساد بضرورةِ العقل، كقولهم في الكلام، ولهذا يذكر أبو عبد الله الرازي أنه لا يقول بقولهم في مسألة الكلام والرؤية أحدٌ من طوائف المسلمين».

ثم أخذ يردُّ على النفاةِ من المعتزلة والشيعة بكلام رصينٍ متينٍ، فراجعه؛ فإنه نفيس.

وجملة القول في الجهة: أنه إن أُريد بها أمر وجودي غير الله كان مخلوقاً، والله تعالى فوق خلقه لا يحصره ولا يحيط به شيء من المخلوقات، فإنه بائنٌ من المخلوقات، كما (تراه في «مختصر العلو») عن جمع من الأئمة.

وإن أُريد بـ «الجهة» أمرٌ عدميٌّ ـ وهو ما فوق العالم ـ؛ فليس هناك إلا الله وحده[1].

---

(١) وانظر لزاماً كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في دَحْضِ هٰذه الفِرْيَةِ في كتابه القيم «نقض التأسيس» (٢/ ١٠٦-١٥٣)؛ فقد أبطلها من سبعةٍ وثلاثينَ وجهاً، وانظر كذلك: «التسعينية» (١/ ٧١-٧٨ - تحقيق: د. محمد العجلان).

وهذا المعنى الأخير هو المراد في كلام المثبتين للعلو والناقلين عن السلف إثبات الجهة لله تعالى، كما في نقل القرطبي عنهم في آخر (كتاب العلو). وقال ابنُ رُشْد في «الكشف عن مناهج الأدلة» (ص٦٦): «(القول في الجهة)، وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه، حتى نَفَتْهَا المعتزلةُ، ثم تبعهم على نفيها متأخروا الأشعرية؛ كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله، وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة، مثل قوله تعالى: (ثم ذكر بعض الآيات المعروفة ثم قال:) إلى غير ذلك من الآيات التي إن سُلِّطَ التأويلُ عليها عَادَ الشرعُ كلُّه مُؤَوَّلاً! وإن قيل فيها إنها من المتشابهات، عادَ الشرعُ كله متشابهاً! لأن الشرائع كلها متفقةٌ على أن الله في السماء، وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين...».

الشبهة الثالثة: المَكَان

وإذا عرفتَ الجوابَ عن الشبهةِ السابقةِ (الجهة)[1]، يَسْهُلُ عليك فَهْمَ الجواب عن هذه الشبهة، وهو أن يقال:

إما أن يُراد بالمكان أمرٌ وجوديٌ ـ وهو الذي يتبادر لأذهان جماهير الناس اليوم، ويتوهمون أنه المراد بإثباتنا لله تعالى صفة العلو ـ؛ فالجواب: أن الله تعالى منزَّه عن أن يكون في مكان بهذا الاعتبار؛ فهو تعالى لا تحوزه المخلوقات؛ إذ هو أعظم وأكبر، بل قد وَسِعَ كرسيُّه السماواتِ والأرضَ، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وثبت في «الصحيحين» وغيرهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**يَقْبِضُ اللهُ بالأَرضِ، ويَطْوي السَّماوات بِيَمِينِه، ثُمَّ يقول: أَنَا المَلِكُ. أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**»[2].

---

(١) وما قاله -أيضاً- العلامة الشيخ ابنُ عثيمين -حفظه الله- عن شُبهة التجسيم (ص: ٧٠).

(٢) **مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.**

أخرجه البخاري في «الصحيح» (كتاب التفسير، باب قوله: (والأرض جميعاً قبضته يوم =

وإما أن يُراد بالمكان أمرٌ عدميٌّ ـ وهو ما وراء العالَم مِنَ العلو؛ فالله تعالى فوق العالَم، وليس في مكان بالمعنى الوجُوديّ، كما كان قَبْل أن يخلُقَ المخلوقاتِ.

فإذا سمعتَ أو قرأت عن أحدِ الأئمةِ والعلماء نسبةَ المكان إليه تعالى؛ فاعْلَمْ أن المراد به معناه العدميُّ، يريدون به إثباتَ صفة العلو له تعالى، والردَّ على الجهميةِ والمعطلةِ الذين نفوا عنه سبحانه هذه الصفة، ثم زعموا أنه في كل مكان بمعناه الوجوديّ، قال العلاَّمَةُ ابن القَيِّم في قصيدته «النُّونية» (٢/٤٤٦-٤٤٧- المطبوعة مع شرحها «توضيح المقاصد»، طبع المكتب الإسلامي):

واللهُ أكبرُ ظاهرٌ ما فوقهُ ... شيءٌ وشأنُ اللهِ أعظمُ شانِ

واللهُ أكبرُ عرشُهُ وَسِعَ السَّمَا ... والأرضَ والْكُرسيَّ ذا الأركانِ

وكذلكَ الكرسيُّ قد وَسِعَ الطِّبَاقَ ... السبْعَ والأرضينَ بالبرهانِ

والله فوقَ العرشِ والكرسيِّ لا ... تَخْفَى عليهِ خواطرُ الإنسانِ

لا تَحْصُروهُ في مكانٍ إذْ تقولوا: ... رَبُّنَا حَقَاً بكلِ مكانِ

نَزَّهْتُمُوهُ بجهلِكُم عن عرشِهِ ... وحَصَرْتُموهُ في مكان ثانِ

لا تُعْدِمُوهُ بقولِكُم: لا داخلٌ ... فِينَا ولا هُوَ خارِجُ الأكوانِ

اللهُ أكبرُ هَتَكَتْ أستَارَكُم ... وبَدَتْ لِمَنْ كانتْ لهُ عينانِ

واللهُ أكبرُ جلَّ عن شبهٍ وعن ... مثلٍ وعن تعطيلِ ذي كُفرانِ

إذا أحطتَ علماً بكلِّ ما سبق؛ استطعتَ بإذن الله تعالى أن تفهمَ بيُسر من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والآثار السلفية التي ساقها الذهبي رحمه الله في كتابه «العلو»

= القيامة..) رقم ٤٨١٢)، ومسلم في «الصحيح» (كتاب صفات المنافقين، باب: صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٧) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه- . =

أن المراد منها إنما هو معنى معروفٌ ثابتٌ لائقٌ به تعالى، ألا وهو علُّوه سبحانه على خلقه، واستواؤه على عرشه، على ما يليقُ بعظمتهِ، وأنه مع ذلك ليس في جهةٍ ولا مكانٍ؛ إذ هو خالقُ كلِّ شيء، ومنه الجهة والمكان، وهو الغني عن العالمين. وأن من فسرهما بالمعنى السَّلْبي؛ فلا محذور منه، **إلا أنه مع ذلك لا ينبغي إطلاق لفظ الجهة والمكان ولا إثباتهما؛ لعدم وُرُودُهُمَا في الكتاب والسنة، فمن نسبهما إلى الله فهو مخطىءٌ لفظاً، إن أراد بهما الإشارة إلى إثبات صفة العلو له تعالى، وإلا فهو مخطىءٌ معنىً أيضاً إن أَراد به حصْرَه تعالى في مكانٍ وجوديٍّ، أو تشبيهه تعالى بخلقه. وكذلك لا يجوز نفيُ معناهما إطلاقاً إلا مع بيان المراد منهما؛ لأنه قد يكونُ الموافقَ للكتابِ والسنةِ**؛ لأننا نعلم بالمشاهدة أن النفاة لهما إنما يعنون بهما نفي صفة العلو لله تعالى من جهة، ونسبة التجسيم والتشبيه للمؤمنين بها [من جهة أخرى].

☆ افتراء الشيخ الكوثري وغيره على شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم:

ولذلك ترى الكوثريَّ في تعليقاته يُدندن دائماً حول ذلك، بل يَلْهَجُ بنسبةِ التجسيم إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في كل مناسبةٍ، ثم تابعه على ذلك مؤلف «فرقان القرآن» في مواطن منه، قال في أحدها (ص٦١): «إن ابنَ تيمية شيخُ إسلامِ أهلِ التجسيم» !! ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣ والزمر: ٢٣].

واتهامُ أهلِ البدعِ وأعداءِ السننِ أهلَ الحديث بمثل هذه التُّهم قديمٌ، منذ أن نَشَبَ الخلافُ بينهم في بعض مسائل التوحيد والصفات الإلهية، (كما ترى) في ترجمة الإمام أبي حاتم الرازي رحمه الله تعالى (في «العلو») قوله:

«وعلامةُ أهل البدع الوقعيةُ في أهل الأثر، وعلامةُ الجهمية أن يُسَمُّوا أهلَ السنةِ مشبهةً، وعلامةُ القدرية (المعتزلة) أن يُسموا أهلَ السنةِ مجبرةً، وعلامةُ الزنادقة أن يُسموا أهلَ الأثرِ حشويةً».

☆ افتراءات على أهل السُّنة والجماعة:

وإن افتراءهم على شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال بعد أن روى قوله (ﷺ): «**يَنزلُ اللهُ إلى السماءِ الدُّنيا**...»[1]: كنزولي هذا، معروف! وقد بَيَّنَ بُطْلان هذه الفِرْيَة شيخي في الإجازة الشيخ راغب الطباخ في بعض أعداد مجلة المجمع العِلْمِي بدمشق، ثم صديقُنا العلاَّمة الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار في كتابه «ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية».

ومن أَسْوَأ ما افتراه بعضُهم على الإمام شيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي الأنصاري ما ذكره الحافظُ (الذهبيُّ) في ترجمته من «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٣٥٨):

«لما قَدِمَ السلطانُ ألب أرسلان «هراة» في بعض قدماته؛ اجتمع مشايخ البلد ورُؤساؤه، ودخلوا على أبي إسماعيل، وسلَّموا عليه وقالوا: وَرَدَ السلطانُ، ونحن على عزمٍ أن نخرج ونسلم عليه، فأحببنا أن نبدأ بالسلام عليك، وكانوا قد تواطؤوا على أن حملوا معهم صنماً من نُحاسٍ صغيراً، وجعلوه في المحراب، تحت سجادة الشيخ، وخرجوا، وقام إلى خَلْوَتِه، ودخلوا على السلطان، واستغاثوا من الأنصاري لأنه مجسم، وأنه يترك في محرابه صنماً يزعم أن الله على صورته(!) وإن بعث السلطان يجده! فعظم ذلك على السلطان، وبعث غلاماً، ومعه جماعة، فدخلوا الدار، وقصدوا المحراب، فأخذوا الصنم، ورجع الغلام بالصنم، فبعث السلطان من أحضر الأنصاري، فأتى، فرأى الصنم والعلماء، والسلطان قد اشتد غضبه، فقال السلطان له: ما هذا؟! قال: هذا صنم يعمل من الصفر شبه اللعبة. قال: لست عن ذا أسألك. قال: فَعَمَّ تسألني؟ قال: إن هؤلاء يزعمون أنك تَعْبُدُ هذا، وأنك تقول إن الله على صورته! فقال الأنصاري بصولة وصوت جهوري: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾!! فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه، فأمر به فأخرج إلى داره مكرماً، وقال لهم: أصدقوني - وهددهم، فقالوا: نحن في يد هذا الرجل في بليةٍ من استيلائه علينا بالعامة، فأردنا أن نقطع شرَّه عنا! فأَمرَ بهم، ووكل (لعله: فكل) بكل واحد منهم، وصادرهم».

---

(١) **مُتَّفَقٌ عَلَيْه**. وسبق تخريجه (ص: ٥٩).

☆ كلامٌ قويٌ متينٌ للإمام أبي محمد الجوينيّ في تقريب مسألةِ العُلُوِّ إلى الأفهام:

(قال في آخر رسالة «الاستواء والفوقية»):

«لا ريبَ أن أهل العلم حكموا بما اقتضَتْهُ الهندسةُ، وحكمُهَا صحيحٌ؛ لأنه ببرهان، لا يكابر الحسّ فيه بأن الأرض في جوف العالَم العُلْوي، وأن كرة الأرض في وَسَطِ السماء كبطيخة في جَوفْ بطيخةٍ، والسماءُ محيطةٌ بها من جميع جوانبها، وأن سُفْلَ العالَم هو جوفُ كرةِ الأرضِ، وهو المرْكَز، وهو منتهى السُّفل والتّحت، وما دونه لا يسمى تحتاً، بل لا يكون تحتاً، ويكون فَوْقاً، بحيثُ لو فرضْنَا خَرْقَ المركزِ وهو سُفْل العالَم إلى تلك الجهةِ؛ لكان الخَرْقُ إلى جهةِ فوق، ولو نفذَ الخرقُ جهةَ السماء من تلك الجهةِ الأخرى؛ لصعدَ إلى جهة فوق[1].

وبرهانُ ذلك: أنَّا لوْ فرضنا مسافراً سافر على كُرَةِ الأرضِ من جهةِ المشرق إلى جهة المغرب، وامتد مسافراً؛ لمشى مسافراً على الكرةِ إلى حيثُ ابتدأ بالسَّيْرِ، وقطع الكرةِ مما يراه الناظرُ أسفل منه، وهو في سَفره هذا لم يَبْرح الأرض تحته، والسماء فوقه، فالسماء التي يشهدها الحس تحت الأرض هي فوق الأرض، لا تحتها؛ لأن السماء فوق الأرض بالذات، فكيف كانتِ السماءُ كانتْ فوقَ الأرضِ مِنْ أيِّ جهةٍ فرضتَهَا». قال:

«وإذا كان هذا جسمٌ ـ وهو السماء ـ علوها على الأرض بالذات؛ فكيف مَنْ ليس كمثله شيء وعلوه على كل شيء بالذات؛ كما قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقد تكرَّرَ في القرآن المجيد ذكرُ الفَوْقِيَّةِ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]...؛ لأن فوقيته سبحانه وعلوه على كل شيء ذاتي له، فهو العلي بالذات، والعلو صفته اللائقة به، كما أن السُّفُولَ والرُّسُوبَ والانحطاطَ ذاتيٌّ للأكوان

(١) قال شيخنا في الحاشية على «مختصر العلو»: «وقد ذكر نحو هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة «العرشية».

عن رُتْبة ربوبيته وعظمته وعُلوّه. والعلو والسفول حَدٌّ بَيْنَ الخالق والمخلوق يتميز به عنه، هو سبحانه علي بالذات، وهو كما كان قَبْلَ خَلقِ الأكوان، وما سواه مستقلٌ عنه بالذات، وهو سبحانه العلي على عرشه، يُدَبِّرُ الأمرَ من السماء إلى الأرض، ثم يعرج الأمر إليه، فيُحيي هذا ويُميت هذا، ويُمْرِض هذا ويشفي هٰذا، ويُعِزّ هذا ويُذِلّ هذا، وهو الحي القيوم، القائم بنفسه، وكل شيء قائم به.

فرحم الله عبداً وَصَلَتْ إليه هذه الرسالة، ولم يعاجلها بالإنكار، وافتقر إلى ربه في كشف الحق أناء الليل وأطراف النهار، وتأمل النصوص في الصفات، وفكر بعقله في نزولها، وفي المعنى الذي نزلتْ له، وما الذي أريد بعلمها من المخلوقات. ومَنْ فتح[1] اللهُ قلبَهُ عرف أنه ليس المراد إلا معرفة الربِّ تعالى بها، والتوجه إليه منها، وإثباتها له بحقائقها وأعيانها، كما يليقُ بجلاله وعظمته، بلا تأويل ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، ولا جمود ولا وقوف. وفي ذلك بلاغ لمن تدبرَ، وكفايةً لمن استبصرَ، إن شاء الله تعالى».

وقال ـ رحمه الله تعالى وأثابه خيراً ـ مُبيِّناً أَثَرَ هذه العقيدةِ في قلب المؤمن بها:

«العبدُ إذا أَيْقَنَ أن الله تعالى فوق السماء، عال على عرشه بلا حصر ولا كيفية، وأنه الآن في صفاته كما كان في قدمه، صار لقلبه قبلةٌ في صلاته وتوجهه ودعائه، ومن لا يعرف ربَّه بأنه فوق سماواته على عرشه؛ فإنه يبقى ضائعاً لا يعرف وجهةَ معبوده! لكن لو عرف بسمعه وبصره وقدمه، وتلك بلا هذا [الإيقان] معرفة ناقصة بخلاف من عرف أن إلهة الذي يعبده فوق الأشياء، فإذا دخل في الصلاة وكبر؛ توجه قلبُه إلى جهةِ العرشِ، مُنَزِّهَاً ربَّه تعالى عن الحصر مفرِداً له، كما أفرده في قِدَمِهِ وأزليته، عالماً أن هذه الجهات من حدودنا ولوازمنا، ولا يمكننا الإشارة إلى ربنا في قدمه وأزليته إلا بها؛ لأنا محدثون، والمحدث لا بد له في إشارته إلى جهة، فتقع تلك الإشارة إلى ربه، كما يليق بعظمته، لا كما يتوهم هو من نفسه، ويعتقد أنه في علوه قريب من خلقه، هو معهم

بعلمه وسمعه وبصره وإحاطته وقدرته ومشيئته، وذاته فوق الأشياء فوقَ العرشِ، ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أو التوجه؛ أشرق قلبه واسْتَنَارَ، وأضاءَ بأنوار المعرفة والإيمان، وعَكَسَتْهُ أشعةُ العظمةِ على عقله وروحه ونفسه، فانشرح لذلك صدره، وقوي إيمانه، ونزه ربه عن صفات خلقه من الحصر والحلول، وذاق حينذاك شيئاً من أذواق السابقين المقربين، بخلاف من لا يعرف وجهة معبوده، وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه! فإنها قالت: «**في السَّمَاءِ**»[(١)]، عَرَفَتْهُ بأنه على السماء، فإن «في» تأتي بمعنى «على»، فَمَنْ تكون الراعية أعلم بالله منه لكونه لا يعرف وجهة معبوده؛ فإنه لا يزال مظلمَ القلب، لا يستنيرُ بأنوار المعرفةِ والإيمانِ.

ومن أنكَرَ هذا القولَ فليؤمن به، ولْـيُجَرِّبْ ولْيَنظُرْ إلى مولاه من فوق عرشه بقلبه، مبصراً مِنْ وجهٍ أعمى مِنْ وجهٍ، مبصراً مِنْ جهةِ الإثبات والوجود والتحقيق، أعمى مِنْ جهةِ التحديد والحصر والتكييف؛ فإنه إذا عمل ذلك وجد ثمرته إن شاء الله تعالى، وَوَجَدَ نورَه وبركَتَه عاجلاً وآجلاً، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾، والله سبحانه الموفِّقُ والمُعِينُ».

● ما درجة حديث: «ارْحَمُوا مَنْ في الأرضِ يَرحَمْكُمْ مَنْ في السَّمَاء»؟.

الجواب: حديث «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» صحيح[(٢)]. والعجب أن ضعَّفَه ذاك السقاف!! وتضعيفه لهذا الحديث

---

(١) رواه مسلم، وسبق تخريجه قريباً.

(٢) حَدِيثٌ صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ.

رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٠)، وأبو داود في «السنن» (رقم: ٤٩٤١)، والترمذي في «الجامع» (رقم: ١٩٢٤)، والبخاري في «الكنى» (ص: ٦٤) و«التاريخ الكبير» (٩/ ٦٤)، والحميدي في «مسنده» (رقم: ٥٩١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٥٢٦)، وعثمان بن سعيد الدارمي في «الرد عَلَى الجهمية» (رقم: ٦٩) وفي «الرد على بشر المريسي» (ص: ١٠٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٧٦/ ١١٠٤٨) وفي «الأسماء والصفات» =

. . . . . .

= (رقم: ٨٩٣)، والخطيب في «التاريخ» (٣/ ٤٣٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ٢٣/ ٩٠١٣)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص: ٤٥)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٥٦٦)، وابن المستوفي في «تاريخ إربل» (١/ ٤٠٦)، والقاسم التجيبي في «المستفاد» (ص: ٥٢-٥٣)، والفهري في «ملء العيبة» (ص: ٢٩٠-٢٩١، ٣٧٤)، وأبو الفتح الخرقي في «الفوائد الملتقطة» (٢٢٢-٢٢٣)، والعراقي في «العشاريات» (ص: ١٢٥)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٣٤/ ١٩١-١٩٢) والذهبي في «السير» (١٧/ ٦٥٦) و«العلو» (ص: ٢٠)، كلهم من طريق سفيان بن عيينة عن عَمْرو بن دينار عن أبي قابوس -مولىً لعبد الله بن عَمْرو- عن عبد الله بن عَمْرو مرفوعاً به.

قال الترمذي: «حَديثٌ حسن صحيحٌ».

وقال الحاكم: «صحيح»، ووافقه الذهبي.

وقال العراقي: «هٰذا حديثٌ صحيحٌ».

وقال ابن حجر في «الإمتاع»: «حديث حسن».

وصححه الخرقي، وابن ناصر الدين الدمشقي -كما في «السلسلة الصحيحة» (رقم: ٩٢٥)- وغيرهم.

قلت: كأن تصحيحهم -رحمهم الله- للحديث باعتبار شواهده ومتابعاته؛ كما قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٤٨)؛ فإنَّ للحديث علَّتين:

الأولى: الاختلاف على سفيان بن عيينة فيه.

الثانية: ضعف أبي قابوس.

أما العلة الأولى - وهي غير مؤثرة-: فإنَّ عبد الله بن محمد الزهري رواه عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو به.

فخالف عبدُ الله بنُ محمد الزهري كلَّ الرواة عن سفيان (ومنهم: أحمد بن حنبل، ومسدد، والحميدي، وابن المديني، وابن أبي عمر العدني، وابن أبي شيبة)، ورواية هٰؤلاء الجهابذة الجبال هي المحفوظة بلا شك.

وأيضاً خالف هٰؤلاء الجهابذة: الحسنُ بنُ محمد الزعفراني:

فرواه عن سفيان عن عمرو عن أبي قابوس عن ابنٍ لعبد الله بن عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً به.

كذا في «التحفة» (٦/ ٣٩٨)، وأخرجه ابن حجر في «الإمتاع» (ص: ٦٢).

والحسن - وإن كان ثقةً؛ إلا أن- روايته شاذةٌ؛ للمخالفة.

=

. . . . . .

= وأما العلة الثانية: فإنَّ أبا قابوس هٰذا بيَضَ له البخاري في «الكنى» (ص: ٦٤)؛ وكذا ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩/ ٤٢٩/ ٢١٢٣) ولم يذكرا فيه شيئاً، وقال فيه الذهبي في «الميزان» (٤/رقم: ١٠٥٢٢): «لا يعرف، تفرد عنه عَمْرو بن دينار، وقد صحح خبره الترمذي»، وقال العسقلاني في «التقريب» (رقم: ٨٣٠٩): «مقبول»، أي: ضعيف إن لم يتابع، وانظر: «تهذيب الكمال» (٣٤/ ١٩١).

قلت: وقد توبع؛ قال ابن ناصر الدين -كما في «الصحيحة» (رقم: ٩٢٥)-.

«ولأبي قابوس متابع، رويناه في مسندي أحمد بن حنبل وعبد بن حميد من حديث أبي خداش حبان بن زيد الشرعبي الحمصي، أحد الثقات عن عبد الله بن عمرو بمعناه.

قلت: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٥، ٢١٩)، والبخاري في: «الأدب المفرد» (رقم: ٣٨٠)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (رقم: ٣٢٠)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٤٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٧٦/ ١١٠٥٢)، وابن مردويه -كما في «الدر المنثور» (٢/ ٣٢٨) من طريق حريز بن عثمان عن حبان عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**ارْحَمُوا؛ تُرحَمُوا، واغفِروا يُغفَرْ لكُمْ**».

وتصحف اسم حريز في مطبوع «مسند أحمد» إلى جرير!

وحبان بن زيد ثقة -إن شاء الله-؛ قال أبو داود -كما في «تهذيب التهذيب» (٢/ ١٥٠/ ٣١١)-: «شيوخ حريز بن عثمان كلهم ثقات»، وأورد الفسوي في «ثقات التابعين المصريين»، وكذا ابن حبان في «الثقات» (٤/ ١٨١)، لذا قال العسقلاني في «التقريب» (رقم: ١٠٧٣): «ثقة»، فالإسناد صحيح، والحمد الله.

ومن هٰذا تعلم خطأ حكم الحاكم على طريق أبي قابوس بالصحة! وتعجب من موافقة الذهبي له!

وللحديث شاهد من حديث جرير بن عبد الله مرفوعاً بلفظ: «**مَنْ لاَ يَرْحَمُ من في الأرض لا يَرْحَمُهُ مَنْ في السماء**».

رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٣٥٥/ ٢٤٩٧)، وفي «مكارم الأخلاق» (رقم: ٤٥) من طريق أبي وكيع عن أبي إسحاق عن أبي ظبيان عن جرير به.

قال الذهبي في «العلو» (ص: ٢٠): «رواته ثقات».

قلت: وهٰذا القول لا يعني أنه صحيح؛ إذ قد يكون الإسناد منقطعاً، أو معضلاً، أو مرسلاً، أو ما أشبه ذٰلك، والإسناد هٰهنا ضعيف؛ فإنَّ أبا إسحاق -وهو السبيعي- مدلس وقد عنعن، ثمَّ إنه كان قد اختلط، انظر: «تهذيب الكمال» (٢٢/ ١١٠ - فما بعد). =

. . . . . .

٢= ثم رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/٣٥٦/٢٥٠٢)، والذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١١٠٧)، وفي «العلو» (ص: ١٠) تعليقاً من طريق أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن جرير به.

قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٨٧): «ورجاله رجال الصحيح».

وقال المنذري في «الترغيب» (٣/ ٢٠٢): «سنده جيد قوي».

وقال الذهبي في «التذكرة»: «صحيح الإسناد»، وقال في «العلو»: «رواته ثقات».

وقال ابن حجر في «مختصر الترغيب» (رقم: ٧٩١): «سنده جيد».

وأصل الحديث (حديث جرير) في «صحيح البخاري» (رقم: ٦٠١٣) بلفظ: «**مَنْ لا يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمُ**»، وفي «صحيح مسلم» (رقم: ٢٣١٩) بلفظ: «**مَنْ لاَ يَرْحَمِ النَّاس لاَ يَرْحَمْهُ الله عزَّ وجلَّ**»

وثم شاهد ثانٍ من حديث ابن مسعود مرفوعاً بلفظ: «**ارحم من في الأرضِ يَرحَمكَ مَنْ في السماء**».

أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ١٨٣/ ١٠٢٧٧) و«المعجم الأوسط» (٢/ ١٠٠ - ١٠١/ ١٣٨٤) و(٣/ ٢٣٩/ ٣٠٣١) و«المعجم الصغير» (١/ ١٠١) وفي «مكارم الأخلاق» (٤٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (٨/ ٤٧٤-٤٧٥/ ٥٠٦٣)، والطيالسي في «مسنده» (٢/ ٤١/ ٢٠٦٩)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (رقم: ٦٥٥)، وأبو الشيخ في «الأقران» (ص: ٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٣٧٥) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٤٨)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٢١٩)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص: ٢٥) والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٣٨-٣٩/ ٣٤٥١)، والخطيب في «التاريخ» (١٤/ ١٤٦)، وابن قدامة في «العلو» (ص: ٥٢)، والذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٥٦٣)، وأورده في «العلو» (ص: ٢٠) تعليقاً، كلهم من طريق أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود به.

قلت أبو إسحاق مدلس، لٰكن الراوي عنه عند الحاكم والخطيب واللالكائي وابن قدامة والذهبي في «التذكرة» هو شعبة، فأمنها بذٰلك تدليسه، قال شعبة -كما في «معرفة السنن والآثار» للبيهقي (١/ ١٥٢)-: «كفيتكم تدليس ثلاثةٍ: الأعمش، وأبي إسحاق، وقتادة». وروى ابن حبان في مقدمة «الجرح والتعديل» (١/ ١٦٢) بالسند الصحيح عن يحيى أنه قال: «كل شيء يحدِّث به شعبة عن رجل فلا تحتاج أن تقول عن ذاك الرجل أنه سمع فلاناً؛ قد كفاك أمره».

وقد أعلَّ الحديث بالوقف:

فأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٥٢٨)، وأحمد في «الزهد» (١٥٩)، ووكيع في «الزهد» (٣/ ٨٠٩)، وعنه: هناد في «الزهد» (رقم: ١٣٢٣)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (رقم: ٦٥٧) موقوفاً على ابن مسعود. =

. . . . . .

= لكن الذين رفعوه -أيضاً- ثقات، فزيادتهم مقبولة، لا سيما وأن لها أصلاً من الأحاديث المتقدمة وغيرها.

-لكن تبقى علة الانقطاع بين أبي عبيدة وأبيه؛ فقد قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٨٧): «ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه، فهو مرسل»، وقال العسقلاني في «التقريب» (٢/ ٤٣٩): «والراجح أنه لا يصح سماعه من أبيه». وبذلك أعلَّه الذهبي في «العلو»، فالإسناد ضعيف.

قلت: وانظر باقي الشواهد في «المجمع» (٨/ ١٨٦-١٨٧)، والحديث صححه شيخنا الألباني -حفظه الله- في «السلسلة الصحيحة» (رقم: ٩٢٥)، ثمَّ وقفت على تصحيح الشيخ أحمد الغماري في «فتح الوهاب» (١/ ٤٥٩)، وعبد الله الغماري في «الكنز الثمين» (رقم: ١٨٦٧). والحمد لله على توفيقه.

فائدة: هٰذا الحديث فيه إثبات صفة العلو لله تعالى على خلقه، فنحن نثبتها على وجه لا نقص فيه بأي حال من الأحوال من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل؛ قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في «تفسيره» (٢/ ٢١١):

«فللناس في هٰذا المقام مقالات كثيرة جداً، ليس هٰذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هٰذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفيٌّ عن الله؛ فإنَّ الله لا يشبهه شيء من خلقه؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، بل الأمر كما قال الأئمة -منهم: نعيم بن حماد الخزاعي، شيخ البخاري، قال-: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه»، فمن أثبت لله ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلاله، ونفى عن الله تعالى النقائص؛ فقد سلك سبيل الهدى».

قلت: وعليه؛ فـ «في» هنا بمعنى على؛ فإنه ﷺ قال: «ارحموا من في الأرض» أي: على الأرض. فكذلك «يرحمكم من في السماء» أي: من على السماء سبحانه وتعالى.

وهٰذا مثل قوله تعالى في سورة آل عمران [١٣٧]: ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وقوله عن فرعون:

بخلاف شيخه الغماري ـ يؤكد أنه من أهل الأهواء يقيناً، فهو في حديث الجارية اتكأ في تضعيفه له على شيخه الغماري، وأما في تضعيفه لحديث «**ارْحَمُوا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السماء**»، لم يتكىء على شيخه ولا على غيره، وإنما اتكأ على هواه، فضعف الحديث بكل رواياته، وذلك في تعليقه على كتاب ابن الجوزي!!!.

= ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]؛ فإنَّ «في» في هاتين الآيتين بمعنى «على» ويكون المراد بالسماء السماء المعروفة (السقف المرفوع المحفوظ).

وقد تفسر «السماء» بالعلو؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [البقرة: ٢٢]، فالمطر لا ينزل من السماء نفسها، بل من السحاب المسخر بين السماء والأرض، فالمراد بالسماء في هٰذه الآية: العلو. وعليه؛ يكون معنى كونه تعالى «في السماء» أنه في العلو المطلق، فوق جميع المخلوقات.

وهٰذا المسلك هو المعروف عند أهل السنة والجماعة؛ فقد قال شارح «الطحاوية» أثناه سرده الأدلة على علوِّ الله تعالى (ص: ٣٢٠): «التصريح بأنه تعالى في السماء. وهٰذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين: إما أن تكون «في» بمعنى «على»، وإما أن يُراد بالسماء العلو. لا يختلفون في ذٰلك، ولا يجوز العمل على غيره». اهـ.

وقد ذكر الإمام ابن القيم في «الإعلام» (٢/ ٢٨١-٢٨٥) الأدلة: على علوِّ الله تعالى على خلقه، وقسَّمها ثمانية عشر نوعاً، ثم قال: «فهٰذه أنواع من الأدلة السمعية المحكمة إذا بُسطتْ أفرادُها كانت ألف دليلٍ على علوِّ الرب على خلقه واستوائه على عرشه» اهـ. فانظره، وانظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» و«الصواعق المرسلة» له، وقارن بـ«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (٣١٩-٣٢٢).

وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: الله فوق السماء السابعة على عرشه بائنٌ من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: «نعم، وهو على عرشه، ولا يخلو شيء من علمه»: وسنده صحيح؛ كما في «مختصر العلو» (ص: ١٨٩-١٩٠).

واعلم أن الإجماع منعقد على أن الله تعالى فوق سماواته، مستوٍ على عرشه استواءً يليق به سبحانه.

وفي ذٰلك قال الإمام أبو عمرو الأوزاعي: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى فوق عرشه، ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات».

وقال الإمام أبو عمر الطلمنكي: «أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته» وقال: «أجمع أهل السنة على أنه تعالى على عرشه على الحقيقة، لا على المجاز».

وقد نقل الإجماع غيرُ واحدٍ من السَّلف والخلف على ذٰلك. وانظر: «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢٧٩ - فما بعد)، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص: ٧٦) للإمام ابن القيم.

● **ما مدى صحة حديث: «قَبَضَ اللهُ قبْضةً من نُوره، فقال لها: كُوني محمداً»؟.**

الجواب: لا أَصْلَ لَه[١].

● **هل ثبت أن النبي ﷺ قال: إنَّ اللهَ خلقَ خَلْقَه في ظلمة، وألقى عليهم مِنْ نُوره، فَمَنْ أصابه من ذلك النور اهتدى، ومَنْ أخطأه ضَلَّ]؟.**

الجواب: نعم؛ هو وارد من حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ في «مسند الإمام أحمد»، وقد خرجته في بعض كتبي قديماً[٢].

---

(١) رُوي معناه في عدة أحاديث أسانيدها تدور بين شدَّةِ الضعفِ والوَضْع، أتى عليها كلها الشيخ عداب الحمش في رسالة له بعنوان: «النور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغُلوِّ الغالين».

وحَكَمَ شيخ الإسلام ابن تيمية في «المجموع» (١٨/ ٣٦٦) على حديث منها بالوضع، فانظره -إن شئت-.

(٢) **الحَـدِيـثُ صَحِـيـحٌ**.

أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٦)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (رقم ١٠٧٧، ١٠٧٩)، والآجري في «الشريعة» (ص١٧٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (رقم ٢٤٣، ٢٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (رقم ٦١٦٩، ٦١٧٠ ـ الإحسان)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٠) من طريق ربيعة بن يزيد عن عبدالله بن الديلمي عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعا به. وفي آخره:

قال عبد الله بن عمرو: فلذلك أقول: جف القلم بما هو كائن.

قال الحاكم: «صحيح»، ووافقه الذهبي.

قال شيخنا في «الصحيحة» (٣/ ٦٤): «وإسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات.

وله عند الآجري، والترمذي [٢٦٤٢]، وأحمد (٢/ ١٧٦، ١٩٧)، [وابن أبي عاصم في «السنة» (رقم ٢٤١، ٢٤٢)، والحاكم] طرق أخرى عن ابن الديلمي».

قلت: وحسنه الإمام الترمذي ـ رحمه الله ـ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٤): «ورجال أحد إسنادي أحمد ثقات».

● **ما قولكم -حفظكم الله- في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] وقوله: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، وأمثالها من الآيات؟!**

الجواب: السلف كانوا يقولون في مثل هذه الآية وأشباهها: أمِرُّوها كما جاءت. وهم لا يعنون: أمروها بدون فهم! وإنما أمروها كما جاءت؛ بفهم صحيح، بدون تشبيه أو تكييف أو تأويل أو تعطيل؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ففي هذه الآية تنزيه، وفيها ـ أيضا ـ إثبات لصفتي السمع والبصر.

فمعنى التنزيه: أننا نثبت الصفة التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ كما يليق بعظمته سبحانه وتعالى، ولا نكيّف ذلك فنقول: سمعه كسمعنا، وبصره كبصرنا، كما أننا لا نتأول ذلك كما فعل بعض غلاة المعتزلة حيث أولوا السمع والبصر بالعلم، مع أن الله قد وصف نفسه في غير ما آية في القران الكريم بالعلم، فتأويل أولئك للسمع والبصر بالعلم تعطيل، قال عنه العلماء المعطل يعبد عدماً، والمجسم يعبد صَنَماً.

وعلى هذا نقول في الآيتين السابقتين ـ الواردَتَيْنِ في السؤال ـ مِن استهزاءِ اللهِ عز وجل وسخريته: إنه استهزاءٌ وسخريةٌ يليقان بالله عز وجل، وليس كما تتوهمه الأفهام القاصرة مما فيه تشبيه بالمخلوقين!.

● **صفةُ النِّسْيَان صفةُ نقص، واللهُ سبحانه وتعالى لا يَنْسى بنص آيات في سُورتَيْ مريم وطه؛ في قوله: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١-٥٢] وآية: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، والمُتدبِّرُ للآياتِ يرى أن الآيات تُبيِّن أشياءَ تخصُّ اللهَ وحدَه لا علاقةَ للبشر بها، مثل: عِلم القرون الأولى. وكل ما يخص البشر لا ينسى، ووردتْ آياتٌ أخرى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٦٧]، و﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ**

﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦]، وكذلك وردَتْ أحاديث في «الصحيح» وفي «مشكاة المصابيح»: «فإني أنساك كما نسيتني»[١]، والمتدبر يرى هناك طرفين البشر ينسون الله فينساهم الله، والمَطْلَبُ: هل يُؤَوَّلُ النسيانُ بأي معنىً نريد أن نترك كيفيته لله تعالى؟ وإذا أولنا النسيان بمعنى مُعينٍ أن النسيان من الرحمة أو تأخير الحساب، فما الدليل على اختيارنا لهذا التأويل؟.

الجواب: واضح في النصوص المستشكَلَة بعضُ الشيء: أن المقصودَ بالنسيان المنسوب إلى الله هو النسيانُ الذي يتنزَّه ربُّنا عزَّ وجلَّ عنه؛ بدليل الآياتِ المذكورة في مَطْلع هذا السؤال، بل إن النسيان المنسوب للإنسان الذي نسى الله فنسيه اللهُ ليس المقصود به النسيان المتبادر إلى بعض الأذهان، وكذلك الحديث الذي استشهد به ليس فيه إشكال! فالنسيان المذكور فيه ليس هو النسيان الذي ضد الحفظ، فالنسيان في كل النصوص المسئول عنها هي بمعنى التَّركِ والإهمال، وليس بمعنى نسيان الذاكرة، وليس هذا مما يمكن إدخاله في موضوع التأويل؛ فإن الحديث: «**فإني أنساك كما نسيتني**» وإن أفجر إنسان على وجه الأرض لا يمكن أن ينسب إليه أنه نسى اللهَ بمعنى أنه ذهبَ عن حافِظَتِه كما يذهبُ عن حافظةِ شخصٍ ما عبارةٌ ما!

فالنسيانُ المذكور في الحديث ليس من هذا القبيل، وإنما المقصود به أنه نسى أوامر الله وأحكامه التي لو لم يَنْسَهَا ولم يُهْمِلْهَا ـ بل حفظها وعمل بها ـ؛ لكان جزاؤهُ أن يُثِيبَهُ ربُّه بما يستحقُّه كلُّ مُطِيع ذاكرٍ لأحكامِه مُتَّبِع إيَّاهَا، إذَن كان هذا النسيانُ المنسوبُ إلى الله هو أيضا ليس المعنى المتبادر إلى الذهن؛ لأن النسيانَ المنسوبَ إلى العبد ـ وهو ليس مُنَزَّهاً عن المعنى المتبادر من النسيان ـ (ليس هو المعنى المتبادر إلى الذهن)،

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (كتاب الزهد والرقائق، باب ما بين النفختين، رقم ٢٩٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارُّون في رؤية الشمس**» الحديث وفيه: «فيقول [الله]: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا. فيقول: **فإني أنساك كما نسيتني**...» إلخ.

فيكون المقابل (له، وهو) نسيان الله عز وجل بداهةً ليس من النوع الذي يتبادر إلى الذهن؛ لأنه ليس مقصوداً حتى من الإنسان المنسوب إليه النسيان، فمن باب أولى (أن لا يكون هو المنسوب) أيضا لله، فإذن؛ لابد من أن نأخذ معنى يناسبُ المعنى الذى فهمناه من النسيان المنسوب للإنسان، فما هو هذا المعنى؟ هو كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]، أي: تترك كما تركت العمل بالآيات، تترك ملقى في نار جهنم معذَّباً جزاء سيئاتك وإعراضك عن العمل بما شرع الله، والحديث مفسر الآية.

● قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] قيل في تأويلها أقوالٌ كثيرة، نرجوا بيان الحق منها.

الجواب: قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] قيل في تأويلها: وجاء ربك! وقيل غير ذلك من التأويل. ونحوهُ كذلك أولوا قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ﴾ [البقرة: ٢١٠]، فقال بعضهم: يأتيهم الله بظلل! فنفى بذلك حقيقة الإتيان اللائق بالله تعالى، بل غلا بعض ذوي الأهواء فقال: «قوله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ حكاية عن اليهود، والمعنى أنهم لا يقبلون دينك إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ليروه جهرةً؛ لأن اليهود كانوا مشبهة يجوزون على الله المجيء والذهاب! نقله الكوثري في تعليقه على «الأسماء والصفات» (ص٤٤٧-٤٤٨) عن الفخر الرازي وأقره!!.

فتأمل ـ هداني الله وإياك ـ كيف أنكر مجيء الله الصريح في الآيتين المذكورتين. وهو إنما يكون يوم القيامة كما جاء في «تفسير ابن جرير» لقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] فذكر (١٢/ ٢٤٥-٢٤٦) في قوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ عن قتادة وابن جريج: يوم القيامة. ونحوه عن ابن مسعود وغيره في «الدر المنثور» (١/ ٢٤١)، وانظر كلمة الإمام ابن راهويه في إثبات المجيء في الفقرة (٢١٣) (من «مختصر العلو»).

فنفى هٰذا المتأوِّل ببركة التأويل ! إتيان الله ومجيئه يوم القيامة الثابت في هذه الآيات الكريمة، والأحاديث في ذلك كثيرة ولم يكتف بهذا بل نسب القول بتجويز المجيء على الله إلى اليهود، وأن الآية نزلت في حقهم! ضلال وكذب!! أما الضلال فواضح من تحريف الآيات المستلزم الطعن في الأئمة الذين يؤمنون بمجيء الله تعالى يوم القيامة. وأما الكذبُ فإن أحداً من العلماء لم يذكر أن الآية نزلتْ في اليهود، بل السِّيَاقُ يدفعُ ذٰلك؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ . . .﴾ [البقرة: ٢٠٨-٢١١].

قلتُ: فأنت ترى أن الخطاب موجهٌ للمؤمين، ولذٰلك قال ابن جرير في «تفسيره» (٤/ ٢٥٩) لقوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾:

«يعني بذٰلك جل ثناؤه: فإنْ أخطأتم الحقَّ فضللتم عنه، وخالفتم الإسلام وشرائعه من بعد ما جاءتكم حُجَجِي، وبيناتُ هداي، واتضحتْ لكم صحةُ أَمْرِ الإسلام بالأدلة التي قطعتْ عُذْركم أيها المؤمنون؛ فاعْلَمُوا أن الله ذو عزةٍ. . .».

نعم قد روى ابن جرير (٤/ ٢٥٥) عن عكرمة [في] قوله [تعالى] ﴿ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ قال: نزلتْ في ثعلبةَ وعبد الله بن سلام و. . . و. . . كلهم من يهود، قالوا: يا رسول الله ! يوم السبت يوم كُنَّا نُعظِّمه، فَدَعْنَا فَلْنُسَبِّتْ فيه. . . فنزلت».

قلت: وهٰذا مع أنه في مؤمني اليهود **لا يصح إسناده** لإرساله، ولو صحَّ لم يجز القول بأنها «نزلت في حقِّ اليهود»؛ لأنها تعني عند الإطلاق كفارهم، والواقع خلافه ! فتأمل هٰذا رحمنا الله وإياك، هل تجد في هٰذه الآيات المصرحة بإتيان الله ومجيئه قرينةً من تلك القرائن الثلاث تضطر السامعَ إلى فهم ذٰلك على المجاز لا الحقيقة ؟! كلاَّ، ثُمَّ كلاَّ ! ولٰكنهم لما فهموا مجيءَ الله تعالى مجيئاً على نحو مجيءِ المخلوقِ

-وهٰذا تشبيه حقاً-؛ اضطرهم هٰذا الفهمُ الخاطىءُ إلى إنكاره ونسبته إلى اليهود! وصاروا إلى التأويل! وكان بوسعهم أن يُثبتوا لله تعالى هٰذه الصفةَ كما أثبتها السَّلفُ، دونَ تشبيهٍ، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وإلا فَهُم على ذٰلك سيتأوَّلونَ السمعَ والبصرَ أيضاً؛ لأنَّ الله تعالى قد أثبتَ للمخلوق سمعاً وبصراً في القرآن والسنة، فقد يقولون: إننا إذا أثبتنا السمعَ والبصرَ للهِ شبَّهناه بمخلوقاته! وهٰذا ما فعلَتْهُ المعتزلةُ تماماً، فإنهم تأوَّلوهما بالعِلْمِ تنزيهاً له تعالى عن المشابهة، زعموا! وبذٰلك آمنوا بالطرف الأول من الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ولم يؤمنوا بالطرف الآخر منها ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وأما الأشاعرةُ وغيرُهم مِنَ الخَلَفِ، فقد آمنوا بكل ذٰلك هنا، فجمعوا بين التنزيه والإثبات قائلين: سمعه ليس كسمعنا، وبصره ليس كبصرنا. فهٰذا هو الحق، وكان عليهم طَرْدُ ذٰلك في كل ما وصفَ اللهُ به نفسه، فيقال: مجيئه تعلى حقٌّ ولٰكنه ليس كمجيئنا، ونزوله إلى السماء الدنيا حقٌّ لتواتر الأحاديث بذٰلك[1] ولٰكن ليس كنزولنا، وهٰكذا في كل الصفات، ولٰكنهم لم يفعلوا ذٰلك مع الأسف، في كثيرٍ من الصفاتِ، منها ما نحن فيه فتأوَّلُوه بما سَبَقَ، أو بغيره ومنها الاستواء (أيضاً)!

● حديث: «لا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ؛ فإنَّ ابنَ آدمَ خُلِقَ على صُورَةِ الرحمٰنِ عزَّ وجلَ»، ما درجته؟

الجواب: هٰذا الحديث يرويه ابن خزيمة في كتابه «التوحيد»، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، لٰكنه بهٰذا اللفظ ضعيف، لا يصحُّ[2].

---

(١) انظر: (ص: ٥٩).

(٢) نعم، هو حَدِيثٌ ضَعِيفٌ.

أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٦٨/ ٤٩٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١/ ٨٥)، والآجري في «الشريعة» (ص٣١٥)، وأبو يعلى في «إبطال التأويلات» (١/ ٩٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٢٠٦/ ٢)، والدارقطني في «الصفات» (ص: ٣٧/ رقم: ٤٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٩١) من طرق عن جرير بن عبد الحميد عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر مرفوعاً به. =

ولٰكن ثبت في «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قَاتَلَ أحدُكُم أخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ؛ فإنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صُورَتِهِ**»، هٰكذا، أي: على صورة هٰذا المضروب[(٢)]. فهٰذا اللفظ هو الصحيح[(٣)].

= قلت: وسنده ضعيف؛ للآتي:

١- أن الثوري خالف الأعمش، فأرسله.

٢- الأعمش وحبيب، كلاهما مدلس، وقد عنعنا.

٣- أن جريراً -وإن كان ثقة إلا أنه- قد نُسب في آخر عمره إلى سوء الحفظ، كما في «الميزان».

ومما يؤكد ضعفه هنا أنه رواه مرةً -كما عند ابن أبي عاصم (رقم ٥١٨)- بلفظ: «على صورته».

قال شيخنا -حفظه الله- في «الضعيفة» (٣/٣١٩): «وخلاصة القول: إن الحديث ضعيف... وإنه إلى ذٰلك مخالف للأحاديث الصحيحة بألفاظ متقاربة، منها قوله ﷺ: «خَلَقَ اللهُ آدمَ على صُورَتِهِ، طُولُه سِتُّونَ ذِرَاعاً» أخرجه الشيخان وغيرهما «الصحيحة» (٤٥٠)».

قلت: وانظر: «الضعيفة» لشيخنا -حفظه الله- (رقم ١١٧٦)؛ ففيها ردٌّ جيد على من قوّى هٰذا الحديث من أهل العلم، والله أعلم.

(١) «**صحيح البخاري**» (رقم: ٢٥٥٩)، و«**صحيح مسلم**» (رقم: ٢٦١٢).

(٢) قال الإمام ابن خزيمة في «التوحيد»: «تَوَهَّمَ بعضُ من لم يتحرَّ العلمَ أن قوله: «**عَلى صُورَتِهِ**» يريد صورة الرحمن، عزَّ ربُّنا وجَلَّ عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله: «**خَلَقَ آدمَ على صُورتِهِ**»: الهاء في هٰذا الموضع كِنَايةٌ عن اسم المضروبِ والمشْتُومِ، أرادَ ﷺ أنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صورةِ هٰذا المضروبِ».

وقال الإمام ابن حبان في «صحيحه»: «يريد به صورة المضروب؛ لأن الضارب إذا ضرب وجه المسلم ضرب وجهاً خلق الله آدم على صورته».

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٥/٢١٧): «اختُلف في الضمير على من يعود، فالأكثر على أنه يعود على المضروب؛ لما تقدم من الأمر بإكرام وجهه، ولولا أن المراد التعليل بذٰلك لم يكن بهٰذه الجملة ارتباط بما قبلها».

(٣) قال المازري في «المعلم» (٣/١٦٩): «هٰذا الحديث بهٰذا اللفظ ثابت عند أهل النقل. ورواه بعضهم: «**إن الله خلق آدم على صورة الرحمٰن**»، وليس بثابت عند أهل الحديث». وانظر: «فتح الباري» (٥/١٨٣).

فهرس الآيات

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦] ..... ١٦، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٩
﴿ٱدْخُلُوا۟ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨] ١٦٦
﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] ٧٤
﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] ..... ٢٢، ٧٤
﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣] ٤٢
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ١١٩
﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] ١٦٣
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] ١٨
﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٩] ٣٦
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ٢٧
﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠] ٣١
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢] ٤٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟﴾ [الأنعام: ١٥٩] ١٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ [غافر: ٥٦] ٤٥
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأعراف: ٥٤] ..... ١٨، ٥٨، ١٠٥
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١] ٣٨
﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ﴾ [يس: ٨٢] ٥٩

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠] ٣١
﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج: ١٢] ٢١
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] ٢٤
﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣] ٢٥
﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٥٩] ٦٣
﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤] ..... ٧٤، ٧٥
﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٩] ..... ٢٠، ٧٣، ٧٤
﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤] ٧٣
﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٧] ٣٠
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ [الأنعام: ٦١] ٧٦
﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [النجم: ٣٠] ١٦١
﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] ٤٩
﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] ..... ١٨، ٢٠، ٦٠، ١٠٥
﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١] ١٥٤
﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦] ١٥٣
﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة: ٧٩] ١٦٣
﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن: ٢٦] ٣٦
﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان: ٦] ٧٣
﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١١] ٢١
﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾ [المؤمنون: ٢٨] ٢٠
﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٨] ٧٧

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧] ١٣١
﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ [الفتح: ٢٩] ١٠٥
﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ [الفجر: ١٥-١٧] ٤٣
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [التوبة: ١٢٤] ٤٩
﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩] ٤٤
﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ٥٠
﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠-١٤] ٧٥
﴿ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٣٧] ١٦٠
﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢] ٦٥
﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل: ٧٤] ..... ٦٥، ١٦٠
﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ [هود: ٧٤] ٧٧
﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ ٱلْعِلْمُ
بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ [الجاثية: ١٧] ٧٧
﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس: ٣٢] ٢٨
﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه: ٥١-٥٢] ١٦٣
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] ٣٢
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] ١٥
﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ [الجن: ٢١] ٣٧
﴿ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ ﴾ [الجن: ٢٢] ٣٧
﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ٥٠] ٣٦

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٥] ٣٦
﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] ٣٧
﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] ٣٦
﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ [طه: ١٢٦] ١٦٣-١٦٤
﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ [الذاريات: ٥٢] ٦٩
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ٥
﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] ٧٩
﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥] ٤٠
﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ [الحديد: ١٠] ٤٠
﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣] ٢٠
﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨] ٤٠
﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن﴾ [الحشر: ٨-٩] ٤٠
﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤] ١٦٣
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ... ٦١، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٨٠، ١٠٥، ١١٧، ١٢٤، ١٤٧، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٧
﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٤] ١٩
﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ [الأنفال: ٦٧] ٣٨
﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] ٧٩
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ﴾ [الفتح: ٢٩] ٤٠
﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] ٨٧

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [النحل: ٩٧] ٥٢
﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ﴾ [يوسف: ٣٦] ٦٢
﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥] ١٨
﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧] ١٦٣
﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون: ١] ٣٣
﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ [الحج: ٧٨] ٥
﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ ﴾ [الحديد: ٣] ٥٨
﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] ١٦٠
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى ﴾ [الفتح: ٤] ٥٠
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ ﴾ [الحديد: ٤] ٧٩
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ ﴾ [البقرة: ٢١٠] ..... ٢١، ١٦٥
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾ [الأعراف: ٥٣] ٦٢
﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [الأنفال: ٢] ٥٠
﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم ﴾ [التوبة: ١٢٤] ٥٠
﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴾ [هود: ٤٤] ..... ٢٠، ١٠٥
﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن ﴾ [الأنفال: ٦٠] ٢٩
﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ٥
﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ [البقرة: ٢٢] ١٦١
﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [المؤمنون: ٥٢] ٢٥
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨] ..... ٥٨، ٥٧

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ..... ٢١، ٩٤، ١٦٣، ١٦٥
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] ١١٤
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٠] ٤٠
﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] ٨٣
﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] ٣٦
﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] ٣٧
﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] ١٣٢
﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [طه: ١١٣] ١٨
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ٥
﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ٤٦
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ﴾ [الإسراء: ٣٦] ..... ١٦، ٢٣، ٦٠، ٦١
﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] ١٦١
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ١٦٠
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] ١٥٦
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥] ٤٤
﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ١٠٧
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] ..... ١٦، ٥٥
﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] ٣١
﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] ٣٣
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤] ..... ٢٠، ٧٣
﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] ..... ١٦٠، ١٢٤

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣] ٧٦
﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ [البينة: ٥] ٢٥
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠] ٥٩
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ٣٨
﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] ١٥٠
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ٣٨
﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ﴾ [النساء: ١١٥] ٧
﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣] ١٥٢
﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣] ١٥٢
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦] ١٦٥
﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٥] ..... ٧٦، ٧٧
﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] ١٣٢
﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ١٦٧
﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ٧٩
﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] ٧٩
﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ..... ٧٧، ٧٩
﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١] ..... ٦٩، ٥٠
﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦] ٥٠
﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا﴾ [هود: ٣٨] ٧٥
﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٦٥] ٢١

﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ ﴾ [مريم: ٤٢] ٥٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] ..... ٥، ١٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ ﴾ [الحشر: ١٨] ٢٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة: ٢٠٨-٢١١] ١٦٦
﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ [المائدة: ٦٧] ٣٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ﴾ [النساء: ١] ..... ٥، ١٣، ٢٦
﴿ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [الإسراء: ٥٧] ٢٤
﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٦] ٦٢
﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ [النحل: ٥٠] ١٥٤
﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ﴾ [الأنعام: ٩٥] ١١٩
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ٢١
﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢١] ٥٦
﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا ﴾ [طه: ١١٠] ٦٠
﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا ﴾ [الحديد: ٤] ٩
﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾ [المائدة: ٣] ٣

●● فهرس الأحاديث ●●

الحديث	درجته	رقم الصفحة
ائتني بها . . أين الله . . من أنا؟	مسلم	١٣٢
أتشهدين أن لا إله إلا الله	صحيح	١٣٣
ادع، فقد استجيب لك	صحيح	٩٥
إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم	حسن صحيح	١٣٦
إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم	صحيح	٧
إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه	متفق عليه	١٦٨
إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث	رواه مسلم	٣٩
أذن لي أحدث عن ملك من ملائكة الله	صحيح	١٤٢
ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم	صحيح	١٥٨
ارحموا من في الأرض يرحمكم من	صحيح لغيره ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١	
أسألك بكل اسم سميت به نفسك	صحيح	٩٣، ٩٥
اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي	حسن	٩٨
اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين	حسن صحيح	٩٧
أصليت؟ فقم فصل ركعتين	متفق عليه	٤٥
ألا أحب أن أكون عبدًا شكورًا	متفق عليه	٣٥
أفلا أكون عبدًا شكورًا	متفق عليه	٣٥
اقبلوا البشرى يا بني تميم	البخاري	١٣٢

اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم	مسلم	٥٨
أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون	متفق عليه	١٠٧
أما هو قد جاءه اليقين من ربه	البخاري	٣٦
إن الإيمان بضع وسبعون شعبة	متفق عليه	٤٨
إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما	متفق عليه	٥١
أنت الأول فليس قبلك شيء	مسلم	٥٨
أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟!	متفق عليه	٣٥
إن قلوب بني آدم بين أصبعين من	مسلم	٨٢، ٨٣
إن لله تسعة وتسعين اسمًا	ضعيف	٩١
إن لله تسعة وتسعين اسمًا	متفق عليه	٩٢
إن لله ملائكة وهم الكروبيون	ضعيف جدًا	١٤١
إن الله أجاركم من ثلاث	صحيح لغيره	٨
إن الله خلق خلقه في ظلمة وألقى	صحيح	١٦٢
إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل	متفق عليه	٩
إن الله يقيض في رأس كل مائة سنة من	صحيح إلى الإمام أحمد	١١
إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا بن آدم	مسلم	٦٨
إن الله يمن على أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل	ضعيف بهذا اللفظ	١١
إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أَوْشَكَ	صحيح	٤٤
إنه والله لو كان موسى حيًا بين	حسن	١٤٤

إني والله أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى	متـفق عليه	٣٥
إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة	مـسلم	٣٢
أين السائل؟ إلا الدين، أخبرني	مـسلم	٣٧
الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه	مـسلم	٧٩
الإيمان بضع وستون شعبة	متفق عليه	٤٨
أين الله؟	مـسلم	١٣٣، ١٤٦
أيها الناس إنه ليس لي تحريم ما أحل الله	مـسلم	٣٥
تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن	صحـيح	١٤٥
تصدق رجل من دينار من درهمه من ثوبه	مـسلم	٢٦
حتى ترجوا إلى دينكم	حسن صـحيح	٤٥
الحجر الأسود يمين الله في الأرض	ضعـيف جدًا	٨٤
خلق الله آدم على صورته	متفق عليه	١٦٨
خير الناس قرني ثم الذين يلونهم	متفق عليه	٣٩، ٤٠
الخيمة درة مجوفة طولها في السماء	متفق عليه	١٣٥
الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا	صحيح لغيره	١٣٤، ١٥٦
سألت ربي عز وجل أربعًا فأعطاني ثلاثًا	صحيح لـغيره	٨
الشيطان يجري من ابن آدم	متـفق عليه	٣٠
عبدي! جعت فلم تطعمني، عبدي! مرضت فلم تعدني	مـسلم	٨٢، ٨٦، ٨٧
على رسلكما إنها صفية بنت حيي	متـفق عليه	٣٠
فإني أنساك كما نسيتني	مـسلم	١٦٤

فمن رغب عن سنتي فليس مني	متـفق عليه	٣٥
فيقول: ألا هل من داعٍ فأستجيب له	متفق عليه	١٢١
قبض الله قبضة من نوره فقال لها:	لا أصل لـه	١٦٢
كان خُلقه القرآن	مـسلم	١٤٤
كان الله ولا شيء معه	البخاري	١٣٢
كان الله ولم يكن شيء غيره	البخاري	١٣٢
كل بدعة ضلالة	صحيح	٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣١
كنت سمعه	البـخاري	٨٢
لا يجمع الله أمتي على ضلالةٍ أبدًا	صحيح	٧
لا تزال طائفة من أمتي منصورة	صحيح	٦
لا يزال من أمتي أمة قائمة	متفق عليه	٦
لا يزال أناس من أمتي ظاهرين	صحيح	٦
لقد دعا الله باسمه الأعظم	صحيح	٩٦
لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا	صحيح	٩٦
لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل	صحيح	٩٦
لا نبي بعدي	متفق عليه	١٠٧
لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده	متفق عليه	٤١
لا تقبحـوا الوجه، فإن ابن آدم خُلق على صورة الرحمن	ضعـيف	١٦٧
ليس الخبر كالمعاينة	صحـيح	٤٩

ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به	البخاري	٣٧
ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن فقال	صحيح	٩٣
ما المسئول عنها بأعلم من السائل	متفق عليه	٣٧
من سن في الإسلام سنة حسنة	مسلم	٢٦، ٢٨، ٢٩
من عادى لي وليًا فقد	البخاري	٨١
من عمل عملاً ليس عليه عملنا فهو رد	مسلم	٣١
من لا يرحم لا يرحم	متفق عليه	١٥٩
من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء	صحيح لغيره	١٥٨
من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عزَّ وجل	متفق عليه	١٥٩
نعم، وأنت صابرٌ محتسبٌ مُقبل غير مدبر	مسلم	٣٧
هل تضارون في رؤية الشمس؟	مسلم	١٦٤
وأنت الظاهر فليس فوقك شيء	مسلم	١٤٢
وما يدريك أن الله أكرمه؟	البخاري	٣٦
ويد الله على الجماعة	صحيح	٧١
يأتي الركن يوم القيامة أعظم من أبي قبيس	ضعيف جدًا	٨٤
يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من	متفق عليه	٥٠
يقبض الله الأرض ويطوي السموات	متفق عليه	١٥٠
يقول الله: عبدي! مرضت فلم تعُدني	مسلم	٨٢
ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى	متفق عليه	٢١، ٥٨، ٥٩
ينزل الله إلى السماء الدنيا	متفق عليه	١٥٣

●● فهرس الآثار ●●

أجمع المسلمون من أهل السنة على	أبو عمر الطلمنكي	١٦١
استوى على العرش	ابن عباس	٧٤
الاستواء غير مجهول والكيف	ربيعة	١١٢
الاستواء معلوم، والكيف مجهول	مالك	١١٢،٢٠
الاستواء معلوم والكيف مجهول	مالك	١٢٥،٦١،٢٠
الاستواء معلوم، والكيف مجهول	ربيعة	١٢٥
اسكت، العرب لا تقول للرجل	ابن الأعرابي	١٠٤
أكثر الناس شكًا عند الموت أصحاب الكلام	أحد المتكلمين	١٠٩
اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله	صحابي مبهم	٩٥
اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد	صحابي مبهم	٩٥
اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إلا إلا أنت	صحابي مبهم	٩٦
اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا	ابن مسعود	٥٠
أمرُّوها كما جاءت بلا تفسير (بلا كيف)	الأوزاعي	١١٢
أمرُّوها كما جاءت بلا تفسير (بلا كيف)	مالك	١١٢
أمرُّوها كما جاءت بلا تفسير (بلا كيف)	الليث بن سعد	١١٢
إن الأنبياء لا يورثون	أبو بكر	٣٨
إن جبريل سأل النبي ﷺ عن الساعة	عمر	٣٧
إن رجلاً من الأنصار جاء بأمة سوداء	عبيد الله بن عتبة	١٣٣
إنما يكون التشبيه إذا قال	إسحاق بن راهويه	١٤٧

إني عند النبي ﷺ إذا دخل قوم من بني تميم	عمران بن حصين	١٣٢
أو يأتي ربك : يوم القيامة	قتادة	١٦٥
أو يأتي ربك: يوم القيامة	ابن جريج	١٦٥
أو يأتي ربك: يوم القيامة	ابن مسعود	١٦٥
الإيمان قول وعمل يزيد وينقُص	الشافعي	٥٠
الإيمان يزيد وينقص	ابن عباس	٥٠
الإيمان يزيد وينقص	أبو هريرة	٥٠
الإيمان يزيد وينقص	أبو الدرداء	٥٠
الإيمان يزيد وينقص؛ فزيادته بالعمل ونقصانه	أحمد	٥٠
بترك العمل	ابن عباس	٧٦
بعين الله تبارك وتعالى	علي بن أبي طالب	١٠٧
تُخلِّفني في النساء والصبيان	أنس	٣٥
جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ	ابن عباس	٨٥
الحجر الأسود يمين الله في الأرض	سعد بن أبي وقاص	١٠٧
خلَّف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب	الوليد بن مسلم	١١٢
في غزوة تبوك	ابن عباس	٨٥
سألتُ الأوزاعيَّ ومالك بن أنس و	الجارية	١٥٦
فمن صافحه فكأنما صافح الله	سهل بن أبي صالح	٥٨
في السماء	عائشة	١٤٤
كان أبو صالح يأمرنا إذا أرد أحدنا أن ينام		
كان خلقه القرآن		

كان النبي ﷺ معتكفًا فأتيته	صفية ٣٠
كان النبي يقوم من الليل حتى تتفطر	عائشة ٣٥
كنا في صدر من النهار عند رسول الله ﷺ	جرير ٢٦
كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى فوق عرشه	الأوزاعي ١٦١
لما توفي عثمان بن مظعون أدرجناه	أم العلا ٣٦
من شبه الله بخلقه فقد كفر	نعيم بن حماد . ٦٥، ١٤٧، ١٦٠
نزلت في ثعلبة وعبد الله بن سلام	عكرمة ١٦٦
نعم وهو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه	أحمد بن حنبل ١٦١
هذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها	الخليل بن أحمد ١٠٣
هلموا نزدد إيمانًا	عمر ٥٠
هي العين الحقيقية	ابن عباس ٧٥
وكانت لي جارية ترعى غنمًا لي	معاوية بن الحكم السلمي.. ١٣٢
ولِمَ يسكت، لولا ما وقع فيه الناس	الإمام أحمد ١٣٨
يا رسول الله إن عليَّ رقبةً مؤمنةً	رجل من الأنصار ١٣٣
يا رسول الله هل نرى ربَّنا؟	الصحابة ١٦٤
يمين الله في الأرض	ابن عباس ٨٥

●● فهرس الرواة ●●

إبراهيم بن طمان ١٤٢
إبراهيم بن عبيد بن رفاعة ٩٧
إبراهيم بن ميمون العدني ٧
إبراهيم بن يزيد ٨٥
ابن أبي شيبة ١٥٧
ابن أبي عمر العدني ١٥٧
ابن أبي نجيح ٧٦
ابن جريج ..... ٧٦، ١٣٧، ١٦٥
ابن عبد البر ١١
ابن المديني ١٥٧
ابن وهب ٩
أبو الأحوص ١٥٩
أبو إسحاق السبيعي ..... ١٥٨، ١٥٩
أبو بشر ٤٩
أبو بكر بن عياش ١٣٦
أبو خزيمة ٩٦
أبو زيد اللغوي ٩١
أبو سلمة الجهني ٩٣
أبو صالح ٥٨

أبو ظبيان ١٥٨
أبو عبد الرحمن الخراساني ١٣٦
أبو عبيدة ابن عبد الله بن مسعود ..... ١٥٩، ١٦٠
أبو علقمة ..... ٩، ١٠
أبو عمر الطلمنكي ١٦١
أبو قابوس ..... ١٥٧، ١٥٨
أبو معشر المدائني ٨٤
أبو وكيع ١٥٨
أحمد بن حنبل ..... ١١، ١٥٧
إسحاق بن بشر الكاهلي ٨٤
الأعمش ..... ١٣٦، ١٦٧، ١٦٨
أنس بن سيرين ٩٦
الأوزاعي ١٦١
أيوب السختياني ١٣٦
الحسن بن محمد الزعفراني ١٥٧
القاسم بن عبد الرحمن ..... ٩٣، ٩٨
الوليد بن مسلم ٩١
بشير بن زياد الخراساني ١٣٧
ثابت ٩٧
جرير بن عبد الحميد ..... ١٦٧، ١٦٨
جعفر بن محمد ٩١

حبان بن زيد الشرعبي (أبو خراش) ١٥٨
حبيب بن أبي ثابت ..... ١٦٧، ١٦٨
حجاج بن محمد ٧٦
حريز بن عثمان ١٥٨
حفص بن أخي أنس ٩٦
حميد بن زنجويه ١١
الحميدي ١٥٧
حيوة بن شريح ١٣٦
خلف بن خليفة ٩٦
ربيعة بن يزيد ١٦٢
زهير بن محمد ٩١
سعيد بن أبي أيوب ..... ٩، ١٠
سعيد بن جبير ٤٩
سعيد بن زربى ٩٧
سفيان بن عيينة ..... ٩١، ١٢٧
سفيان الثوري ١٦٨
سهيل بن أبي صالح ٥٨
شراحيل المعافري ..... ٩، ١٠
شعبة ..... ٦، ١٥٩
شهر بن حوشب ..... ٩٧، ١٣٦
صدقة بن عبد الله القرشي ..... ١٤١، ١٤٢

طـاوس ٧
عاصـم الأحول ٩٧
عبد الله بن محمد الزهري ١٥٧
عبـد الله بن المؤمل ٨٤
عبد الله بن وهب ٢١
عبد الله بن بريدة ٩٠
عبد الله بن طاوس ٧
عبد الرحمن أبو القاسم ٩٣
عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني ٩٧
عبد الرزاق بن همام ٧
عبد العزيز بن مسلم ٩٧
عبـد الملك ١٣٦
عبد الملك بن عبد الحميد الميموني ١١
عبد الملك بن محمد الصنعاني ٩١
عبـيد الله بن أبي زياد ٩٧
عبيد الله بن عتبة بن مسعود ١٣٣
عطـاء؟ ..... ١٣٧،٨٥
عطاء بن أبي رباح ..... ١٦٧،١٣٦،٨٤
عطاء الخراساني ..... ١٣٦،٧٦
عكرمـة ..... ١٦٦،٧٦
عمـرو بن أبي سلمة ١٤١

●● فهرس الفرق ●●

الأشاعرة..... ٦٦، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٦، ١٢٠، ١٣٠، ١٥٠، ١٦٧
الباطنية القرامطة..... ٦٦، ١٠٦، ١٢٢، ١٣٠
الجهمية..... ٦٦، ١١٤، ١١٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٨، ١٤٧، ١٥١، ١٥٢
الحلولية [الصوفية]..... ٧٦، ٧٨، ١٠٦، ١٢٨، ١٢٩
الخوارج..... ١١٤
الروافض..... ٤١
الزنادقة..... ١٥٢
الشيعة..... ١٤٣، ١٤٩
القاديانية..... ١٠٧
الماتريدية..... ٦٦
المتكلمون [الفلاسفة]..... ١٠١، ١٠٥، ١٠٨، ١٠٩، ١٢٠، ١٢٢
المعتزلة..... ٦٦، ١٠٦، ١١٤، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٩، ١٣٠،
١٣٨، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٦٣، ١٦٧
النجارية..... ١٢٩

●● فهرس الأشعار ●●

الله أكبر هتكت أستاركم عينان..... ١٥١

ألم تر أن السيف ينقص العـصا ٦١

فأوردتم ماءً بفيفاء فاستوى ١٠٣

فلم أر إلا واصفًا كف نـادم ١٠٨

لا تحصروه في مكان إذ تقولوا مكان ١٥١

لا تعدموه بقولكم الأكوان..... ١٥١

لعمري قد طفت المعاهد كلها المعالم ١٠٨

نزهتموه بجهلكم عن عرشه ثان ١٥١

نهاية إقدام العقول عقالٌ ضلال ١٠٩

هذا وأصل بلية الإسلام من والبطلان..... ١١١

وكذلك الكرسي قد وسع بالبرهان ١٥١

وكم قد رأينا من رجالٍ ودولةٍ وزالوا ١٠٩

وكم من جبالٍ علت شرفاتها جبال ١٠٩

وكل نص أوهم التشبيها تنزيهًـا ١٠٨

وأرواحنا في وحشةٍ من جسومنا ووبال ١٠٩

والله أكبر جل عن شبهٍ كفـران ١٥١

والله أكبر ظاهرٌ ما فوقه شان ١٥١

والله أكبر عرشه وسع السما ذا الأركان ١٥١

والله فوق العرشي والكرسي الإنسـان ١٥١

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا وقـــالوا ١٠٩

●● فهرس الفوائد ●●

- تخريج حديث: «لا يجمع الله أمتي على ضلالة» من طريق صحيح لذاته غفل بعضُهم (!!)، وذكر شواهد أخرى له ٧-٨
- تخريج حديث: «إن الله يبعث لهذه الأمة من يجدد...»، والرد على من ضعفه ٩-١١
- سكوت الحاكم عن الحديث في «المستدرك» تصحيح له، ونقل عن السخاوي يؤيد ذلك ٩-١٠
- المجدِّد قد يكون أكثر من واحد ١٠
- وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق ١٤
- طريقة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات ..... ١٤، ٥٥
- سبب تحريف المحرِّفين لنصوص الأسماء والصفات ١٤-١٥
- أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية ١٥
- أهل السنة والجماعة يثبتون الاسم وما دل عليه من صفة وأثرها، إن كان من الأسماء المتعدية ..... ١٦، ١٨، ٥٥-٥٦
- أهل السنة والجماعة يثبتون الاسم وما دل عليه من صفة، إن كان من الأسماء اللازمة ..... ١٧، ٥٦-٥٧
- موقف أهل السنة والجماعة من صفات الله تعالى ١٨
- كلام قوي للشيخ ابن عثيمين في الأسماء والصفات التي لم ترد إثباتًا ولا نفيًا في الكتاب والسنة ١٨
- الواجب: إجراء نصوص القرآن والسنة على ظاهرها دون تحريف ١٩
- كيف تُفحم أهلَ التحريف؟ ١٩

- معنى الاستواء في لغة العرب، مع ذكر نوعيّه..... ٢٠
- قول مالك: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول..» أدق من اللفظ الآخر المشهور عنه..... ٢٠-٢١
- تفسير قول مالك وشرحه..... ٢١
- أسماء الله توقيفية، فلا يجوز أن نشتق من صفاته اسمًا لم يرد..... ٢٢
- الاستواء علوٌّ خاصٌّ بالعرش..... ٢٢
- الله غير مفتقرٍ إلى شيءٍ من مخلوقاته..... ٢٢
- إبطال تشبيه استواء الله تعالى باستواء الإنسان بأدلة عقلية قوية..... ٢٢
- القول في النزول كالقول في الاستواء والمجيء وسائر الصفات..... ٢٢
- لا يجوز تخيل كيفية ذات أو صفات الله تعالى..... ٢٣
- معنى التمثيل والتشبيه..... ٢٣
- كل معطِّل ممثِّل، وكل ممثِّل معطِّل..... ٢٤
- طريقة أهل السنة في عبادة الله تعالى قائمة على الإخلاص والاستعانة به عليها وبما شرع..... ٢٤-٢٥
- إشارة سريعة إلى بعض المنحرفين في عبادتهم..... ٢٥
- إبطال شبهة المبتدع حول حديث: «من سن في الإسلام...»..... ٢٦-٢٩
- ذكر نص الحديث كاملاً ، مع شرح غريبه..... ٢٦
- التقرب إلى الله تعالى بما لم يشرع هو ابتعاد وضلال..... ٢٧-٢٨
- احتجاج الإمام أحمد - رحمه الله - بحديث العرباض بن سارية..... ٢٧
- سبب ورود الحديث يعطي نصف الفقه..... ٢٨
- قوله ﷺ : «من سنَّ» أي: سن العمل تنفيذًا، لا تشريعًا..... ٢٨

- إبطال شبهات المبتدعين في عبادتهم بمسألة جمع القرآن وغيرها مما هو وسائل لا غايات ٢٩-٣٠
- دين الله كامل، ليس بحاجة إلى بدعٍ محدثة ٣٠
- الشيطان يزين للإنسان البدعة ٣٠
- دفع الإنسان الظنَّ السيءَ عن نفسه، وإن لم يكن أهلاً له مشروع ٣٠
- حكم الله الشرعي والقدري لا شريك له فيه أبدًا ٣١
- لا طريق إلى الوصول إلا خلف الرسول ٣١
- الجواب عما ادعاه بعض العلماء أنه بدعة حسنة ٣٢
- طريقة أهل السنة في حق الرسول ﷺ : الشهادة له بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم أنه رسول الله، ويحبونه حبًا تابعًا لمحبة الله تعالى ٣٢-٣٤
- كل من عصى الله ورسوله فإنه لم يحقِّق الشهادة ٣٣
- أهل السنة والجماعة يُنزلون رسولَ الله منزلته التي أنزله اللهُ ٣٤
- قول الرسول ﷺ مقدَّم على قول غيره ٣٤
- الرسول ﷺ ضرب المثل الأعلى في تحقيق العبودية ٣٥
- تفسير قوله ﷺ : «فمن رغب عن سنتي..» ٣٥
- الرسول ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه ٣٦-٣٧
- فتوى جيدة للجنة الدائمة في اختصاص الله تعالى بعلم الغيب ٣٦-٣٧
- فعل الأمر (قُلْ)، وروده في القرآن يُنبِّهُ إلى أن ما بعده له عناية خاصة ٣٧
- أحيانًا يُسأل الرسولُ ﷺ ، فيجيب ، فيأتيه الوحي بالاستثناء أو الاستدراك ٣٧
- إحالة المحقِّق على رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية من تحقيقه ٣٨
- الرسول ﷺ بشر يجوز عليه كل الخصائص البشرية والجسدية ٣٨

- حياة الرسول ﷺ في قبره حياة برزخية، لا حياة جسدية..... ٣٨
- طريقة أهل السنة والجماعة في حق الصحابة..... ٣٩
- الصحابة قد يتفاضل أحدهم على الآخر بمنقبة خاصة..... ٤٠
- ثناء الله تعالى على الصحابة ورضاه عنهم كثير في القرآن..... ٤٠
- اختلاف مراتب الصحابة بدلالة القرآن والسنة..... ٤٠
- حُبّ آل البيت من أجل قرابتهم من رسول الله ﷺ..... ٤١
- أهل السنة وسط بين طرفين في آل البيت..... ٤١
- طريقة أهل السنة في حق الأولياء - أيضًا - وسط بين طرفين..... ٤٢
- شرطا الولاية : الإيمان والتقوى..... ٤٢
- لا يلزم في كل وليٍّ أن يجعل الله له كرامة..... ٤٢
- كل كرامة لوليٍّ فإنها آية للنبيِّ الذي اتبعه..... ٤٣
- على العبد أن يكون طالبًا للاستقامة، لا طالبًا للكرامة..... ٤٣
- الآية أبلغ من المعجزة..... ٤٣
- طريقة أهل السنة والجماعة في إصلاح المجتمع..... ٤٣
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو المقوِّم للاجتماع والترابط..... ٤٤
- لا يلزم إذا رأيت شيئًا معروفًا أو منكرًا أن يكون عند غيرك كذلك إلا في شيء لا مجال للاجتهاد فيه..... ٤٤
- ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند أهل السنة والجماعة.... ٤٤-٤٨
- أولها : العلم بالحكم، وما هو العلم المراد..... ٤٥
- ثانيها: التأكد من أن هذا المعروف لم يُفعل، أو أن هذا المنكر قد فُعِلَ.. ٤٥
- ثالثها: أن لا يترتب على الأمر أو النهي مفسدة أعظم من المنفعةِ..... ٤٦

- قاعدة: درء المفاسد مقدَّم على جلب المصالح..... ٤٦
- نقل جيد عن شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم في مراتب التغيير..... ٤٧-٤٨
- قول أهل السنة والجماعة في الإيمان..... ٤٨
- لفظ «بضع وسبعون» أرجح من لفظ «بضع وستون» في حديث شعب الإيمان ٤٨
- زيادة الإيمان ونقصانه، وقوته وضعفه..... ٤٩
- من قال: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، خالف الشرع والواقع..... ٥٠
- الأدلة من الكتاب والسنة والآثار على زيادة الإيمان ونقصانه..... ٥٠
- إشادة الشيخ ابن عثيمين بالبلاد السعودية حكومة وشعبًا..... ٥١-٥٢
- دوم النعم بشكرها، لا بكفرها..... ٥٢
- الحياة الطيبة من ثمار الإيمان والعمل الصالح..... ٥٢
- سبب اختيار العلامة ابن عثيمين الكلام في الأسماء والصفات الآن... ٥٣-٥٤
- تقسيم أهل العلم التوحيد ثلاثة أقسام..... ٥٣
- الإيمان بالله تعالى لا يتم إلا بالإيمان بوجوده، وبربوبيته، وبألوهيته، وبأسمائه وصفاته..... ٥٣-٥٤
- الإشارة إلى خوض الجهال في الأسماء والصفات بالباطل..... ٥٤
- التفريق بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية لله تعالى..... ٥٧-٥٨
- الصفة قد تكون ذاتية فعلية، كالكلام..... ٥٩
- إبطال التشبيه بدلالة العقل من وجوه كثيرة..... ٥٩-٦٠
- أهل السنة لا يكيفون صفات الله تعالى..... ٦٠
- إبطال التكيف بدلالة العقل..... ٦١

- السبب في منع التكييف والتـمثيل..... ٦٢
- أهل البدعة يحرِّفون نصوص الأسماء والصفات..... ٦٢
- الفرق بين التحريف والتأويل..... ٦٢
- التأويل يُطلق على معانٍ ثلاثة..... ٦٣
- قول أهل السنة في صـفة المجيء لله تعالى..... ٦٣
- رد تحريف أهل البدعـة للمجيء من وجهين ٦٣
- أهل السنة والجماعة يتبرءون من التحريف..... ٦٣
- تمثيل صفـات الله تعالى تكذيب للقرآن الكريم..... ٦٤
- حكاية القاضي أبي يعلى الإجماعَ على تحريم تأويل آيات الصفات..... ٦٤
- العدول عن موقف أهل السنة والجماعة تطرف..... ٦٤
- من ضلال أهل البدع في الـغلو والتفريط..... ٦٥
- من شبَّه الله بخلقه كفر..... ٦٥
- ردٌّ مفحمٌ على من استلزم من الإثباتِ التشبيهَ..... ٦٥-٦٦
- ضلال المحرِّفين من أهل البدع للنصوص وبيان أقسامهم الثلاثة..... ٦٦
- ردٌّ قويٌّ عليهم جميعًا..... ٦٧
- التطرف في التنزيه يستلزم إبطال الدين كله وبيان ذلك بالأمثلة..... ٦٨
- إثبات الصفات في الوحيَيْن أكثر من إثبات المعاد..... ٦٨
- أهل السنة والجماعة وسط، يقولون: سمعنا وآمنا..... ٦٩
- أهل البدعة يرمون أهل السنة بالتشبيه والتجسيم والتمثيل!!..... ٦٩
- الحق لا يغيض بمثل هذه الألقـاب والافتراءات..... ٦٩-٧٠
- الأنبياء والمرسلون رُمُوا بـألقاب شنيعة..... ٦٩

- نفي التجسيم عن أهل السنة، وأن لفظة (التجسيم) لم ترد لا إثباتاً ولا نفياً!! وموقف أهل السنة منها ٧٠
- الجسم، كالجهة والتحيز وغيرهما مما لم يرد لا إثباتاً ولا نفياً ٧٠
- الرد على فرية التأويل من وجهين ٧١-٧٢
- ذكر عدة أمثلة رُمي أهل السنة بتأويلها، والرد عليهم ٧٣-٨٧
- المثال الأول: في الاستواء ٧٣-٧٤
- لفظ استوى يتغير معناه بتغير حرف الجر المقترن به ٧٣-٧٤
- المثال الثاني: في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] ٧٤
- دلالة اللفظ على معناه إما دلالة مطابقة أو دلالة تضمن أو دلالة التزام، وشرح ذٰلك ٧٥
- المثال الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٥] ٧٦
- كلام قوي في أن الذي يحضر المحتضر هم الملائكة ٧٧
- المثال الرابع: في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ٧٧
- كلام جيد للعلامة ابن عثيمين في إبطال تمسك أهل الحلول بهٰذه الآية ٧٨-٧٩
- كلام قوي لشيخ الإسلام في أحكام هٰذه المعية ٧٩-٨٠
- لا تعارض بين معية الله حقيقة وعلوه سبحانه؛ لأن المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان! ٨٠
- المثال الخامس: في قوله تعالى في الحديث القدسي: «كنتُ سمعه... وبصره... ويده... ورجله...» ٨١
- إفحام المخالفين في الرد عليهم ٨١-٨٢
- المثال السادس: في قوله ﷺ: «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمٰن...» ٨٢

- أهل السنة والجماعة يثبتون الأصابع لله تعالى، وأن كل قلب من بني آدم بين أصبعين من أصابعه من غير استلزام الحلول !! ٨٣
- البينية لا تستلزم المباشرة والمماسة ٨٣
- المثال الأخير: حديث: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض» ٨٤
- تخريج علمي للحديث، وبيان أنه باطل على كل حال ٨٤
- تخريجه من قول ابن عباس، وبيان أنه شديد الضعف عنه ٨٥
- ذكر نص حديث قدسي جليل في فضل عيادة المريض وإطعام الجائع وسقي العطشىٰ، وإبطال شبهة التأويل عنه ٨٦
- وجوب الأخذ بالظاهر مالم ترد قرينة صحيحة لصرفه ٨٧
- القسم الثاني في الأسئلة والأجوبة للعلامة الألباني -حفظه الله- ٨٩
- المقصود بكلمة (عقيدة) في اصطلاح العلماء ٩١
ذكر الأسماء في حديث أبي هريرة مدرج من كلام الوليد بن مسلم ٩١
- تضعيف الحديث بذكر الأسماء وتصحيحه بدونها ٩١-٩٢
- لا يمكن لعالم ما أن يحصر الأسماء التسعة والتسعين، لكنه يستطيع حصر الأسماء الحسنى وهي أكثر من مئة ٩٢
- الأسماء الحسنى أكثر من تسعة وتسعين اسماً ٩٢-٩٣
- تخريج حديث «اللهم إني عبدك...» تخريجاً مختصراً والإحالة إلى تعليق المحقق على «شرح الحديث القدسي: يا عبادي» لابن تيمية ٩٣
- توسُّع ابن العربي وابن الوزير في عدد الأسماء غير مرضي ! ٩٤
- لا يجوز اشتقاق اسم من صفة لم يرد مشتقاً في الكتاب أو السنة ٩٤
- حكم الاستغاثة بكلام الله تعالى ٩٥

- اسم الله الأعظم هو لفظ الجلالة (الله)، مع تخريج ثلاثة أحاديث صحيحة تدل على ذٰلك تخريجاً علمياً ٩٥-٩٨
- تعليلٌ طيبٌ، وسرٌّ بديعٌ في أن لفظ الجلالة هو الاسم الأعظم ٩٨
- آيات الصفات متشابهة ومحكمة في آن واحدٍ ٩٨
- مخالفة الخَلَف للسَّلف في تفسير آيات الصفات إنما هو بسبب إعراضهم عن الاتباع، واستلزامهم التشبيه في الإثبات !! ٩٩
- الإمام أبو الحسن الأشعري رجع عن القول بالتأويل ٩٩
- وكذٰلك العلامة أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين، وألَّف في ذٰلك رسالة نافعة، ونقل العلامة الألباني عنها وصفه في تحيره وتردده بين السلف والخلف برهة من الزمن ٩٩-١٠٣
- رد مفحم من أبي محمد الجويني على المتأولين المحرِّفين ١٠١
- بيانه -رحمه الله- السبب الذي حمل علماء الكلام على تأويل الاستواء بالاستيلاء ١٠١
- رد الجويني على الأشاعرة، وإلزامه لهم بإثبات الاستواء ١٠٢-١٠٣
- نصيحة الجويني لغيره باتباع السَّلف ١٠٣
- منشأ ضلال متأولي الاستواء بالاستيلاء هو التشبيه ١٠٣
- الرد عليهم من وجوه كثيرة ١٠٣-١٠٤
- المؤوِّلة وقعوا في التعطيل، ونسبة الشريك لله في خلقه يضاده في أمره !! ١٠٤-١٠٥
- المؤولة دخلوا في مآزق أظهرت تناقضهم ١٠٥
- الاستواء في لغة العرب لا يستلزم المشابهة ١٠٥
- استواء كل شيء بحسبه ١٠٥

- تأويل الاستواء بالاستيلاء من صنيع أهل الكلام ١٠٥-١٠٦
- علم الكلام والحكمة اليونانية هما أضر شيء على العقائد ١٠٦
- إفحام باطني ينكر الأسماء الحسنى والجنة والنار للمعتزلة والأشاعرة ١٠٦
- شيء من انحراف طائفة القاديانية ١٠٧
- قول أهل التأويل: مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وأحكم! ... ١٠٧
- إشاعة البيجوري المقالة السابقة، والرد عليه ١٠٨
- رجوع علماء كبار من المتكلمين إلى مذهب السلف ١٠٨
- أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام ١٠٩
- بيان الإمام السفاريني منشأ ضلال الخلف في نصوص الصفات ١١٠
- السَّلف لم يفوِّضوا المعنى، بل الكيف ١١٠
- غلط وخطأ الكوثري الهالك على السَّلف الصالح ١١٠
- ونحو الشيخ سلامة القضاعي منحى الكوثري ١١١
- تَعَجُّبُ العلامة الألباني السني من الكوثري الجهمي ١١١
- بعض النصوص عن السلف في الصفات الإلهية مع تخريجها ١١٢
- قول السلف: «أمروها كما جاءت بلا كيف» موافق لقول مَنْ قال: «الاستواء غير مجهول»، وبيان ذلك ١١٣
- النقل عن الخطابي وابن عبد البر مذهب أهل السنة والجماعة في الصفات ١١٣-١١٤
- تأثر الخلف بعلم الكلام ١١٤
- ذكر عداء الكوثري الشديد لأهل السنة والجماعة ١١٤
- دفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ ١١٥

- خطأ الشيخ أبي زهرة على شيخ الإسلام ابن تيمية ١١٥
- بيان حال كتاب «دفع شبه التشبيه» لابن الجوزي، والمعلِّق عليه ١١٥-١١٦
- الرد على أبي زهرة، وبيان خطئه في فهم كلام شيخ الإسلام..... ١١٦
- شيخ الإسلام يقرر أنه لا يلزم من نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا أن يصير العرش فوقه تعالى وهو تحت العرش..... ١١٧
- ابن تيمية يقرر أنه لا يلزم التشابه بين شيئين اتفقا في اسم عام ١١٨
- عدم إنصاف أبي زهرة شيخَ الإسلام ابنَ تيمية!..... ١١٩
- أثر سوء فهم أبي زهرة عن شيخ الإسلام ابن تيمية ١٢٠
- الرد عليه في تأويله النزول بفيوض النعم الإلهية ١٢١
- تخبُّط أبي زهرة في نصوص الصفات..... ١٢١
- ردُّ العلامة الألباني عليه..... ١٢٢
- كلام رائع للخطيب البغدادي في الصفات ١٢٣
- الأحاديث المروية في الصفات إما ثابتة، وإما ساقطة، وإما مختلف فيها.... ١٢٤
- اعتماد العلماء المحققين على كلام الخطيب البغدادي ١٢٥
- بيان شيخ الإسلام مذهب السلف في الصفات ١٢٥
- بيان ابن تيمية سبب تحريف المعطلة، ورده عليهم ١٢٦
- السلف الصالح أجمعوا على علو الله تعالى على خلقه ١٢٧
- كيف تناقش حلولياً وتفحمه؟..... ١٢٨
- بيان ضلال الجهمية في مسالة الاستواء والرد عليهم..... ١٢٩
- بيان الإمام أحمد عوار الجهمية في المسألة نفسها بكلام قوي متين..... ١٢٩
- قول بعض غلاة النفاة: الله، لا فوق، ولا تحت، ولا... ولا ١٣٠

- إفحام من يزعم أن حديث الجارية مضطرب ١٣٠-١٣١
- لا يُعرف إمام واحد ضعَّف الحديث، حتى الذين أوَّلوه!! ١٣١
- الله تعالى منزه عن المكان باتفاق جميع العلماء ١٣٢
- جماهير المسلمين ـ وللأسف ـ يجهلون السؤال النبوي للجارية! ١٣٣
- سبب هذا الجهل، بل والاستنكار لهذا السؤال ١٣٣-١٣٤
- معنى قول الجارية: «في السماء» ..... ١٣٥، ١٣٩
- خلاص المسلمين مما حل بهم من المصائب هو الرجوع إلى الدين ١٣٥
- تخريج حديث بيع العينة تخريجاً علمياً مطولاً ١٣٥-١٣٧
- رد العلامة الألباني على مَنْ ضعفه من المعاصرين، ورميه إياه بالجهل بعلم الحديث ١٣٧
- قول القائل: «الله فوق عرشه بذاته» كقول السلف: «بائن من خلقه» .. ١٣٧-١٣٨
- مناظرة مع أحد المشايخ الأزهريين ١٣٩-١٤٢
- إفحام الألباني مُنَاظِرَهُ الأزهريَّ ١٤٢
- تصحيح المفاهيم قبل إقامة الدولة المسلمة!! ١٤٣
- نقل مُطوَّل عن الأستاذ الأديب سيد قطب ـ رحمه الله ـ يؤيد ذلك ١٤٣-١٤٥
- الرد على من خطأ سؤال «أين الله» ووصف ربه بالعدم ١٤٥-١٤٦
- الرد على من زعم أن الفوقية تستلزم التشبيه والتجسيم ١٤٦-١٤٨
- من أقوال السلف في تكفير المشبِّه ١٤٧
- لفظ التشبيه في كلام الناس مجمل ١٤٧-١٤٨
- الرد على من استلزم من إثبات الفوقية نسبة الجهة ١٤٨-١٥٠
- لفظ الجهة فيه تفصيل ١٤٨

- الرد على من استلزم من إثبات الفوقية لله تعالى إثبات المكان ١٥٠-١٥٢
- لفظ المكان كلفظ الجهة ١٥٠
- شعر قوي للإمام ابن القيم في الموضوع ١٥١
- لا ينبغي نفيُ أو إثباتُ لفظِ الجهة والمكان إلا بعد بيان المراد منهما ١٥٢
- افتراء الكوثري على شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥٢
- افتراء على ابن تيمية في حديث النزول ١٥٣
- افتراء على شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري ١٥٣
- كلام قوى متين للإمام أبي محمد الجويني في تقريب مسألة العلو إلى الأفهام والإشارة إلى كلام مقارب له في «الرسالة العرشية» لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٥٤-١٥٥
- أثر الإيمان باستواء الله تعالى على خلقه ١٥٥-١٥٦
- تخريج حديث: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» تخريجاً علمياً مطولاً، وبيان أنه حديث صحيح لغيره ١٥٦-١٦٠
- من فوائد هذا الحديث إثبات العلو لله تعالى على خلقه، وترجيح الحافظ ابن كثير لمذهب السلف في تفسيره المشهور ١٦٠
- حروف الجر تتناوب ١٦٠-١٦١
- الإجماع منعقد على استواء الله تعالى على عرشه ١٦١
- حديث: «قبض الله قبضة من نوره، فقال لها: كوني محمداً» لا أصل له، وجميع ما في هذا المعنى من أحاديث فإنه لا يصح ألبتة ١٦٢
- حديث: «إن الله خلق الخلق في ظلمة، وألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل» حديث صحيح، وتخريجه ١٦٢
- أقوال السلف في آيات الصفات وأحاديثها ١٦٣

- النسيان المنفي عن الله تعالى هو النسيان المعروف، أما النسيان المثبت له فهو بمعنى الترك ١٦٣-١٦٥
- إثبات صفة المجيء لله تعالى، والرد على متأوليها ١٦٥-١٦٧
- تضعيف أثر عكرمة في قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨] ١٦٦
- المعتزلة تأولت صفتا السمع والبصر لله تعالى بالعلم!! ١٦٧
- أحاديث النزول متواترة ٥٩-١٦٧
- حديث خلق ابن آدم على صورة الرحمٰن عز وجل، وبيان ضعفه ١٦٧-١٦٨
- تصحيح الحديث بلفظ: «على صورته» كما عند الشيخين ١٦٨
- كلام جيد للإمام ابن خزيمة وابن حبان وابن حجر في تفسير الحديث ١٦٨
- تضعيف الإمام المازري للفظ الأول، وتصحيحه للفظ الثاني ١٦٨

الموضوعات والمحتويات

- المقدمة ٥-١٢
- منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل ١٣-٥٠
- المراد بأهل السنة والجماعة وبيان طريقهم ١٤
- أولاً: بيان طريق أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته مع أمثلة توضح تلك الطريقة ١٤-٢٤
- ثانياً: طريقة أهل السنة والجماعة في عبادة الله ٢٤-٣٢
- ثالثاً: طريقة أهل السنة والجماعة في حق الرسول ﷺ ٣٢-٣٩
- رابعاً: طريقة أهل السنة والجماعة في حق الصحابة رضي الله عنهم ٣٩-٤١
- خامساً: طريقة أهل السنة والجماعة في حق الأولياء والأئمة ٤٢-٤٣
- سادساً: طريقة أهل السنة والجماعة في إصلاح المجتمع ٤٣-٤٨
- سابعاً: قول أهل السنة والجماعة في الإيمان ٤٨-٥٠
- أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنة منها ٥١-٨٧
- سبب اختيار هٰذا الموضوع بالذات ٥٣-٥٤
- العناصر الرئيسية للموضوع ٥٤-٥٥
- العنصر الأول: موقف أهل السنة في أسماء الله تبارك وتعالى ٥٥-٦١
- العنصر الثاني: في نصوص الأسماء والصفات ٦٢-٦٤
- العنصر الثالث: العدول عن هٰذا الموقف تطرف دائر بين الإفراط والتفريط ٦٤-٦٧
- العنصر الرابع: التطرف في التنزيه يستلزم إبطال الدين كله ٦٨-٦٩

- العنصر الخامس: أن بعض أهل التحريف والتعطيل قالوا: إن أهل السنة مشبهة ومجسمة وممثلة !! ٦٩-٧٠
- العنصر السادس: ادعى أهل التحريف والتعطيل على أهل السنة أنهم أولوا بعض النصوص ليلزموهم بتأويل البقية أو المداهنة فيها ٧١-٨٧
- المثال الأول: في الاستواء ٧٣-٧٤
- المثال الثاني: في إثبات العين ٧٤-٧٦
- المثال الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥] ٧٦-٧٧
- المثال الرابع: في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ... ٧٧-٨٠
- المثال الخامس: في حديث: «من عادى لي ولياً...» ٨١-٨٢
- المثال السادس: في قوله ﷺ: «إن قلوب بني آدم بين أصبعين...» ٨٢-٨٣
- المثال السابع: في حديث: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض» ٨٤-٨٧
- أسئلة وأجوبة في الأسماء والصفات ٨٩-١٦٨
- السؤال الأول: ما المقصود بكلمة (العقيدة)؟ ٩١
- السؤال الثاني: حديث التسعة والتسعين اسماً والإدراج فيه ٩٢-٩٣
- السؤال الثالث: هل تظن أنه يمكن لعالم محقق أن يتوصل إلى تحديد الأسماء التسعة والتسعين؟ ٩٢
- السؤال الرابع: عدد الأسماء الحسنى ٩٢-٩٥
- السؤال الخامس: هل يجوز أن نستغيث بكلام الله؟ ٩٥
- السؤال السادس: ما هو الاسم الأعظم؟ ٩٥-٩٨
- السؤال السابع: هل آيات الصفات من المتشابهات؟ ٩٨-٩٩

- السؤال الثامن: ما هو سبب مخالفة الخلف للسلف في تفسيرهم لآيات الاستواء وغيرها من آيات الصفات وأحاديثها، مع أن الحق فيها واضح جلي؟ . . ٩٩-١٠٣
- السؤال التاسع: ما هو منشأ ضلال من فسَّر الاستواء بالاستيلاء؟ ١٠٣-١٠٧
- السؤال العاشر: ما ردُّكم على من يقول: طريقة الخَلَف أعلم وأحكم، وطريقة السلف أسلم؟ ١٠٨-١٣٠
- السؤال الحادي عشر: الرد على من زعم أن حديث الجارية مضطرب أو شاذ مع أنه في «صحيح مسلم» ١٣٠-١٣٢
- السؤال الثاني عشر: هل في قول الجارية «الله في السماء» إثبات المكان لله تعالى؟ ١٣٢-١٣٧
- السؤال الثالث عشر: ما رأيكم فيمن يقول: الله تعالى فوق عرشه بذاته؟ ١٣٧-١٣٨
- السؤال الرابع عشر: هل يفهم من جواب الجارية أن الله تعالى داخل السماء؟ ١٣٨
- السؤال الخامس عشر: ما معنى قولها: «في السماء»؟ ١٣٩-١٤٤
- السؤال السادس عشر: ما رأي فضيلتكم فيمن يقول: إن سؤال «أين الله» خطأ، ولا يجوز؛ لأن الله لا يوصف بأنه فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار، لا داخل العالم ولا خارجه؟ ١٤٥-١٤٦
- السؤال السابع عشر: لقد اشتهر عند الخلف نسبة كل من يثبت الفوقية لله تعالى إلى أنه مشبه أو مجسم، أو إلى أنه ينسب لله الجهة والمكان، فما جوابكم عن هٰذه الشبهات؟ ١٤٦-١٥٦
- السؤال الثامن عشر: ما درجة حديث: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»؟ ١٥٦-١٦١
- السؤال التاسع عشر: ما مدى صحة حديث: «قبض الله قبضة من نوره، فقال لا: كوني محمداً»؟ ١٦٢

- السؤال العشرون: هل ثبت أن النبي ﷺ قال: «إن الله خلق خلقه في ظلمة، وألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضلَّ»؟. ١٦٢
- السؤال الحادي والعشرون: ما تفسير قوله تعالى: ﴿اللهُ يستهزئ بهم﴾ [البقرة: ١٥] وقوله: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] وأمثالهما من الآيات؟ ١٦٣
- السؤال الثاني والعشرون: ما المقصود بالنسيان المنسوب إلى الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُم﴾ [التوبة: ٦٧] وأمثالها من الآيات؟ ١٣٦-١٦٥
- السؤال الثالث والعشرون: ما هو الحق في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]؟ ١٦٥-١٦٧
- السوال الرابع والعشرون: ما درجة حديث: «لا تقبحوا الوجه..». ١٦٧-١٦٨
- الفهارس العلمية ١٦٩-٢٠٨

***

قامت بالجمع التصويري
والإخراج الفني لهذا الكتاب
دار التابعين للنشر والتوزيع
٢٥ ش أحمد عصمت بعين شمس - برج التوحيد - الدور الأول
ت: ٤٩٣٨١٤٤ - فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥

مطابع الأهرام التجارية. قليوب. مصر